سلسلة الذاكرة الصحفية (٢)

كربلاء في مجلة العرفان

الجزء الثالث

تأليف

Web: www.alkafeel.net
E-Mail: turath.karbala@gmail.com

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث كربلاء، مؤلف. كربلاء في مجلة العرفان. الجزء الثالث/ تأليف مركز تراث كربلاء، قسم شؤون المعارف الاسلامية والإنسانية.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، 1440هـ. = 2019.
3 مجلد؛ 24سم.-(سلسلة الذاكرة الصحفية؛2)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية وكشافات.
1 . كربلاء(العراق)--تاريخ--خطب ومقالات. أ. العنوان.
LCC: DS79.9.K3 .A8375 2019
DDC: 305.80095674
مركز الفهرسة ونضم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

اسم الكتاب: كربلاء في مجلة العرفان الجزء الثالث.
تأليف: مركز تراث كربلاء- قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.
الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية.
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م
عدد النسخ: ١٠٠ نسخة
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٩٤٧ لسنة ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفَصْلُ الرّابِعُ:
القَضِيَّةُ الحُسَيْنِيَّةُ

السياسة الحسينية[1] أو أسرار مذهب الإمامية[2]

كثر المستشرقون أي الذين درسوا أحوال الشرق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوروبا[3]، وأفادوا قومهم ووطنهم ونظامهم فوائد جمة، وهؤلاء وإن اتحدوا في الاسم، ولكنهم اختلفوا في الأغراض والمقاصد.

فمنهم من ليس له غرض إلّا السياسة يسيحون في البلاد الشرقية، ويدرسون أحوالها وشؤونها وغرضهم ليس إلّا الاستعمار والاحتلال، ولم تتوفق أوروبا إلى استعمار واستلاب واحتلال أغلب الممالك الشرقيّة إلّا بفضل هؤلاء الذين لهم اليد الطولى على أوروبا، وحق عليها أن تشكرهم مدى الدهر.

ومنهم من ليس له غرض إلّا إلقاء الشكوك والشبهات بين المسلمين، وإشاعة مبدأ الإلحاد والزندقة بين الشرقيين يتجولون في البلاد ويتنقلون من محل إلى آخر، ويؤسسون المكاتب والمستشفيات، وغرف القراءة، ودور الطبابة والعجزة، وليس لهم غرض إلّا ما ذكرناه.

---

(١) جاء في هذه المقالة كثير من الآراء التي نتحفظ عليها ولا نقول بها، إلا أننا لم نناقشها وتركناها كما هي، حيث أنها تعرض وجهة نظر المستشرقين للإسلام عمومًا وللقضية الحسينية خصوصًا.

(٢) صدر الدين الصدر، السياسة الحسينية أو أسرار مذهب الإمامية، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع، الجزء التاسع والعاشر، كانون الأوّل سنة١٩١٢م، ص ٣٤١ – ٣٥٦.

(٣) [مركز تراث كربلاء] شكلت هذه الحقيقة ظاهرة ثقافية بارزة في مطلع القرن العشرين تم من خلالها التعرض لمختلف تفاصيل التاريخ العربي والاسلامي من قبل المستشرقين. للتفاصيل ينظر: علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الاسلامي، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٨).

إن أوروبا عرفت أن العاطفة الدينية هي الحافظة اليوم لبلاد الإسلام فإذا زالت من نفوس المسلمين سهل عليها احتلال البلاد الإسلامية واستعمارها، فصارت تسعى بكل ذريعة في سلب هذه العاطفة وإشاعة الإلحاد والزندقة بين المسلمين.

ليس فعل أوروبا هذا بعجيب فإن السياسة توجب عليها أكثر من هذا، ولكن العجب من بعض المسلمين الذين يملأون الكتب والدفاتر، ويسودون الصحف والجرائد بشكر هؤلاء، ويرون لهم الحق العظيم في تأسيس هذه المشاريع التي يصفونها بالخيريّة، ولقد صدقوا في وصفهم هذا ولكن لأوروبا فقط.

ومنهم من ليس لهم غرض إلّا العلم والاكتشافات ودرس أحوال الأمم والشعوب، هؤلاء هم العلماء وطلّاب الحقيقة الذين لا يهمهم الاستعمار والاحتلال ولا التنصر ولا الإلحاد، ولقد أفادوا العالم المتمدن فوائد كثيرة بل إن استفادة الشرق من هؤلاء ليست بأقل من استفادة الغرب، وسوف يشكرهم التاريخ وأبناؤه وقد فعل.

ومن هذا القسم غالب مستشرقي ألمانيا وأميركا بالعكس من مستشرقي سائر الدول المتمدنة فإن أكثرهم من القسمين الأوّلين.

ولقد كتب المستشرقون الذين درسوا أحوال الشرق الكتب والرسائل، ولكنك لو عرفت ما في طيّها من الدسائس والحبائل؛ لبعدت عنها كبعد ما بين المشرقين اللهم إلّا كتب القسم الأخير فإنها: كتب علمية سياسية أدبية لا تنظر إلّا إلى الحقيقة.

ومن المستشرقين الذين هم من القسم الأخير الحكيمان المؤرخان الفيلسوفان

الشهيران المسيو(ماربين)[1] الألماني والدكتور(جوزف)[2] الفرنساوي فإنهما بحثا عن أحوال الشرق بحثًا دقيقًا، وكتبا عن الإسلام والمسلمين كتابة قلّما كتبها مستشرق أروبائي، فالأوّل في كتابه(السياسة الإسلامية) والثاني في كتابه(الإسلام والمسلمون).

وقد ترجمت جريدة(حبل متين) الفارسيّة المطبوعة في كلكته في عددها الثامن والعشرين من سنتها السابعة عشر فصلًا من كل كتاب يحتوي على أسرار شهادة الحسين بن علي عليه السلام، وكان لهذه الترجمة دوي في العالم الإسلامي وترجمها إلى التركيّة والهنديّة فعزمت على ترجمتها باللغة العربية – لغة الكتاب والسنّة– لأنها أحق بأمثال هذه المواضيع الدينيّة وعلقت عليهما بعض إيضاحات جزئية تحت خط عرضي إتمامًا للفائدة، ومن الله التوفيق والإعانة.

قال المسيو ماربين(الفصل السابع في فلسفة مذهب الشيعة):

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عليه السلام هو سبط محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته المحبوبة فاطمة عليها السلام، ويمكن أن يقال إنه كان مجمع فضائل هذا العصر وأعلم المسلمين بدين جدّه قد ورث الشجاعة عن أبيه، وحاز أعلى درجات السخاء الذي هو أحب صفات فصيح البيان طلق اللسان غيورًا صادقًا في الحديث غير مرعوب من العدو والمسلمين عامّة لهم عقيدة به، ومتفقون على مدحه والثناء عليه

(١) [مركز تراث كربلاء] مفكر الماني له كتاب أسمّاه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الامام الحسين عليه السلام.
ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، د. ت)، ج٢، ص٢٤٣.

(٢) [مركز تراث كربلاء] وفي كتابه هذا بين دور الامام الحسين عليه السلام الرسالي، كما اوضح بان مراسم العزاء الحسيني جعلت كل شيعي داعية لمذهبه. ينظر: راجي انور، فاجعة كربلاء في الضمير العالمي الحديث، (بيروت: دار العلوم للطباعة والتحقيق والنشر، ٢٠٠٩)، ج٢، ص ٣٨٠.

قد أشغلوا كتبهم بذكر ملكاته الحسنة، وسجاياه المستحسنة حتى الذين لا يوالون أباه وأخاه[١].

يعتقد غالب المسلمين في الحسين عليه السلام عقائد عظيمة ولكن الذي يسعنا أن نذكره في كتابنا مع اطمئنان تام وعدم خوف المعارضة هو أن تابعي علي عليه السلام يعتقدون فيه فوق ما يقوله النصارى في حق المسيح عليه السلام [٢]، وكما إنا نقول: «إنّ المسيح لم يتحمل تلك المصائب إلّا لغفران ذنوب تابعيه يقولون ذلك في حق الحسين عليه السلام ويرونه شافعًا مطلقًا يوم القيامة».

والذي نقوله في حق الحسين عليه السلام، قولًا لا يقبل الإنكار هو إنا لم نجد بين أرباب الديانات من اختار سياسته المؤثرة ومع أن أباه عليًا عليه السلام كان من حكماء الإسلام وحكمياته وكلياته [٣] لم تنقص عن سائر الحكماء المعروفين لم تظهر منه السياسة الحسينية[٤].

ولإثبات هذه الجهة ينبغي لنا أن نرجع إلى تاريخ العرب قبل الإسلام وفي ذلك الحين نرى أن بين بني هاشم وبني أمية كانت لحمة نسب أي كانوا أولاد عم؛ لأن هاشم وأمية أخوان ابنا عبد مناف قد بلغت بينهما العداوة والبغضاء قبل الإسلام أقصى درجاتها، وطالما وقع القتال والجدال بينهما، وأصبح كل واحد موتورًا للآخر.

---

(١) غرضه الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين يوم رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح.

(٢) غرضه المراتب المعنوية وعلو الشأن كما يدل عليه قوله وكما إنا نقول دون الربوبية فإن الشيعة وعموم المسلمين موحدون لا يرون شريكًا له سبحانه وتعالى ولا معبود سواه.

(٣) يشير إلى نهج البلاغة وكلماته القصار عليه السلام.

(٤) إذا كان غرضه أنّه لم يتفق لعلي عليه السلام ما اتفق لولده الحسين عليه السلام كما هو الظاهر فصحيح وإلّا فلا.

امتازت قريش بين العرب وبنو هاشم وبنو أمية بين قريش بالعزة والحرمة، والسيادة كانت رياسة بني هاشم من حيث العلم والروحانية وبني أمية من حيث الثروة والمال، ولما ظهر الإسلام تضاعفت تلك العداوة بينهما حتى فتح محمّدﷺ مكّة ودخلت قريش وبنو أمية في طاعته فصار الجميع طوع إرادته[1]، وفازت بنو هاشم بالرياسة الروحانية والجسمانية، وعظم شأنهم بين العرب فثارت نيران الحسد في صدور بني أمية، وصاروا في صدد أخذ ثارات الجاهلية حتى توفي محمدﷺ فاغتنموا الفرصة فاجتهدوا أوّلًا في صرف الخلافة عن أصول ولاية العهد ثمّ قرروا أن تكون بالانتخابات، والأخذ بأكثرية الآراء، وقوة مخالفة بني أمية لم تدع أن تصير الأكثرية في جانب بني هاشم فحازت بنو أمية السبق في هذا الميدان، وغلبوا بني هاشم وبمناسبة هذه الخلافة المختلفة ارتقت بنو أمية مقامًا منيعًا، وسهلوا الطريق لمن يأتي بعدهم، ولم يزل مقامهم يعلو عند الخلفاء يومًا فيومًا وأصبحوا من أقوى دعائم السلطنة الإسلامية حتى تعيين ثالث الخلفاء من بني أمية(عثمان بن عفان) فصاروا أرباب الأمر والنهي في كل أمر ومكان وأحكموا المقام لمن يأتي بعدهم.

لم تكن لبني أمية عقيدة ثابتة في الإسلام، ولا كان إخلاصهم كما يراد نظرًا لتلك العداوة والبغضاء وموتورية بني هاشم لبني أمية حتى إنهم كانوا يرون من العار اتباع دين عرف بين الناس باسم بني هاشم، ولكن لكثرة المسلمين في ذلك العهد، وتوقف نيل آمالهم على التظاهر بالدين والعمل باسم الإسلام ألزمهم حفظ الظاهر، وعدم المجاهرة بخلاف الشرع حتى إذا استحكم أمرهم، وقويت دعائم عزمهم صاروا

(١) دخل النبيﷺ مكة المكرمة ومكنه الله من رقاب قريش ولا سيّما بني أمية، فقال لهم: ما تروني فاعلًا بكم؟ قالوا: أخ وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

يخالفون الأحكام الإسلاميّة ويهزؤُون بالدين، وبني هاشم في المجامع العمومية وعلى رؤوس الأشهاد[1].

لما عرف بنو هاشم حقيقة الحال واطلعوا على مقاصد بني أمية صاروا يتخذون التدابير اللازمة في هذا الباب فانتقدوا أعمال عثمان وأظهروها بأشكال عجيبة، وأطوار غريبة حتى ثار المسلمون عليه وقتلوه، واشترك في قتله رؤساء طبقات المسلمين فصارت الأكثرية في جانب علي عليه السلام فأصبح رابع الخلفاء.

لما بويع علي عليه السلام تيقن بنو أمية أن السيادة والعظمة ستعود إلى بني هاشم كما كانت في زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخالف معاوية وكان عاملًا في الشام من قبل من تقدم معروفًا بالدهاء والفطانة، وبعد النظر وأوقع الاختلاف بين المسلمين بذريعة أن قتل عثمان كان بإشارة علي عليه السلام وعادت الحروب كما كانت قبل الإسلام، وبما أن معاوية لم ينتصر في هذه الحروب

---

(١) كان يزيد بن معاوية في قصره على جيرون فلما رأى سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه أنشد يقول:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت ... تلك الشموس على ربى جيرون

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

وقال لما أدخلوا سبايا عليه وأحضر رأس الحسين عليه السلام بين يديه:

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناهم ببدر فاعتدل

إلى أن قال:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحيّ نزل

واستفتح الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فألًا بالمصحف فخرج(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه من يده ورماه بالسهم وأنشد يقول:

تهددني بجبار عنيد ... فها أنا ذا جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

كما أنه لم يغلب ازداد طمع بني أمية وتظاهروا بعدم الإذعان لرياسة بني هاشم ولم يطل العهد حتى قتلوا عليًّا عليه السلام [1] وصارت الغلبة لمعاوية وصالحه الحسن عليه السلام الذي هو خامس الخلفاء[2] ورجعت الخلافة ثانيًا إلى بني أمية.

كلَّما ازداد معاوية نفوذًا واقتدارًا ازداد سعيه في اضمحلال بني هاشم، واتخاذ التدابير العملية في جعلهم نسيًا منسيًا حتى إنه لم يترك بابًا يوصله إلى محو اسمهم وإعفاء أثرهم إلّا طرقه، ولا منهجًا إلّا نهجه، والحسين عليه السلام مع أنه كان تحت نفوذ أخيه الحسن عليه السلام بقي على الحياد فلا وافق بني أمية ولا خالفهم، وكان يقول علنًا[3]: «إني أقتل في طريق الحق، ولا أوافق الباطل، فكان بنو أمية من هذه الجهة في تشويق واضطراب».

دام هذا التجاذب إلى أن توفي الحسن عليه السلام ومات معاوية، وقام يزيد بالأمر بعهد من أبيه، وألغي قانون الانتخاب والأكثرية، وصاروا يطلبون رضا الأكابر وبيعة أهل الحل والعقد بعد تعيين ولي العهد.

فلما رأى الحسين عليه السلام أن حركات بني أمية ولهم يومئذ السلطة المطلقة المحاطة بالرياسة الروحانية أوشكت أن تضعف عقائد المسلمين بدين جدّه، وأن عداوتهم القديمة لبني هاشم توجب بذل تمام جهدهم في محوهم بايع يزيد أو لم يبايع، ومع دوام هذه الحال زمانًا

---

(١) هذا اشتباه من المؤلف فإن الذين قتلوا أمير المؤمنين عليه السلام هم الخوارج كما أنهم أرادوا قتل معاوية وعمرو بن العاص أيضًا.

(٢) على أن تكون له الخلافة من بعده، وأن لا يطالب أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء، وأن يقضي ديونهم ويعطيه ما في بيت مال الكوفة وخراج داراب جرد وأن لا يسب عليًا عليه السلام فلما دخل معاوية الكوفة وتمكن من الأمر لم يفِ بشيء من الشروط.

(٣) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص الكلام وتعليقاته في: مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية، تحقيق محمد الحسون، (قم: مطبعة نكارش، ٢٠١٩)، ج٨، ص٣٧٢.

ما لا يبقى من بني هاشم اسم ولا رسم عزم على إعلان الثورة في الإسلام ضد بني أمية، كما أنه عدّ التمرد عن طاعة يزيد يوم قام مقام أبيه معاوية من الأمور الواجبة، وأظهر مخالفته ليزيد في حال أن يزيد يجتهد في أخذ البيعة له من الحسين عليه السلام هذا هو السبب في إقدام الحسين عليه السلام عالمًا عامدًا على الموت وإعلان الثورة في الإسلام لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظره.

لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذاك العصر، وكيفية نجاح بني أمية في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس، وتزلزل المسلمين أن الحسين عليه السلام قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام وإن لم تقع تلك الواقعة، ولم تظهر تلك الحسيّات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين عليه السلام لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعيًا بل وكان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد.

عزم الحسين عليه السلام على إنجاح هذا المقصد، وإعلان ثورة ضد بني أمية من يوم توفي والده فلما قام يزيد مقام معاوية خرج من المدينة، وكان يظهر مقصده العالي، ويبث روح الثورة في المراكز المهمة الإسلامية كمكة والعراق وأينما حلّ ازدادت نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدّمة الثورة من بني أمية، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين عليه السلام، وكان يعلم أن الثورة إذا أعلنت في جهة، والحسين عليه السلام قائدها مع تنفر المسلمين عمومًا من حكومة بني أمية، وميل القلوب، وتوجه الأنظار إلى الحسين عليه السلام عمت جميع البلاد، وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم فعزم قبل كل شيء من يوم بويع على قتل الحسين عليه السلام، ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسيٍّ صدر من بني أمية الذي جعلهم نسيًا منسيًا، ولم يبقَ منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الأدلة على أن الحسين عليه السلام أقدم على قتل نفسه، ولم تكن في نظره سلطنة ولا رياسة هو أنه مضافًا إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التي وقف عليها زمن

أبيه وأخيه في قتال بني أمية كان يعلم أنه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد لا يمكنه المقاومة والغلبة، وكان يقول من يوم توفي والده أنه يقتل وأعلن يوم خروجه من المدينة أنه يمضي إلى القتل وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتبعوه من باب إتمام الحجّة حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعًا بالدنيا[1]، وطالما كان يقول خير لي مصرع أنا ملاقيه ولو لم يكن قصده ذلك، ولم يكن عالمًا عامدًا لجمع الجنود؛ ولسعى في تكثير أصحابه وزيادة استعداده لا أن يفرق الذين كانوا معه، ولكن لما لم يكن له قصد إلّا القتل مقدّمة لذلك المقصد العالي، وإعلان الثورة المقدّسة ضد يزيد رأى أن خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلومية فإن أثر هكذا مصائب أشد وأكثر في القلوب.

من الظاهر أن الحسين عليه السلام مع ما كانت له من المحبوبية في قلوب المسلمين في ذلك الزمان لو كان يطلب قوة واستعدادًا لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشًا جرارًا، ولكنه لو صنع ذلك لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلومية التي أنتجت تلك الثورة العظيمة هذا هو الذي سبب ألّا يبقى عنده أحد إلّا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه كأولادهم وإخوانه وبني إخوته وبني أعمامه وجماعة من خواص أصحابه حتى إنه أمر هؤلاء أيضًا بمفارقته ولكنهم أبوا عليه[2] ذلك، وهؤلاء أيضًا كانوا من المعروفين بين

---

(١) لما أتى الحسين عليه السلام خبر قتل(عبدالله بن يقطر)(ومسلم بن عقيل) أعلم الناس بذلك وقال: «قد خذلَنا شيعتُنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا زمام فتفرقوا يمينًا وشمالًا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة وإنما فعل ذلك لأنه علم أن الأعراب ظنوا أنه يأتي بلدًا قد استقامت له طاعة أهله فأراد أن يعلموا على ما يقدمون عليه».

(٢) جمع الحسين عليه السلام أصحابه ليلة عاشوراء وقال: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء. اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين(أما بعد) فإني لا أعلم أصحابًا أوفى وخيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعًا عني الخير ألا وإني لا

المسلمين بجلالة القدر، وعظم المنزلة، وقتلهم معه مما يزيد في عظم المصيبة وأثر الوقعة، نعم، إنَّ الحسين عليه السلام بمبلغ علمه، وحسن سياسته بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أمية، وإظهار عداوتهم لبني هاشم، وسلك في ذلك كل طريق.

لما كان يعلم عداوة بني أمية له وبني هاشم، ويعرف أنهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله وذلك يؤيد مقصوده ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين ولا سيّما العرب كما وقع ذلك حملهم معه، وجاء بهم من المدينة. نعم، إن ظلم بني أمية، وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسباياه أثر في قلوب المسلمين تأثيرًا عظيمًا لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر في فعله هذا عقيدة بني أمية في الإسلام، وسلوكهم مع المسلمين ولا سيّما ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لهذا كان الحسين عليه السلام يقول في جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر أني أمضي إلى القتل، ولما كانت أفكار المانعين محدودة، وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين عليه السلام العالية لم يألوا جهدهم في منعه، وآخر ما أجابهم قوله: إن الله شاء ذلك وجدي أمرني، فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال؟ فقال: إنّ الله شاء أن يراهن سبايا، ولما كان بينهم رئيسًا روحانيًا لم يكن لهم بدّ عن السكوت.

ومما يدل على أنه لم يكن له غرض إلّا ذلك المقصد العالي الذي كان في نفسه، ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وإمارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية كما تصوره بعض المؤرخين منا أنه قال لبعض ذوي النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: إن بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة يبعث الله رجالًا يعرفون الحق

أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا فإني قد أذنت لكم جميعًا فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام الخ... فأبوا عليه.

من الباطل يزورون قبورنا، ويبكون على مصابنا، ويأخذون ثأرنا من أعدائنا أولئك جماعة ينشرون دين الله وشريعة جدي، وأنا وجدي نحبهم وهم يحشرون معنا يوم القيامة.

ولو تأمل المتأمل في كلمات الحسين عليه السلام وحركاته يرى أنه لم يترك طريقًا من السياسة إلّا سلكه في إظهار شنائع بني أمية وعداوتهم القلبية مع بني هاشم ومظلومية نفسه، وهذا مما يدل على حسن سياسته، وقوة قلبه، وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان نظره حتى إنه في آخر ساعات حياته عمل عملًا حيّر عقول الفلاسفة، ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة، والأفكار المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات وهو قصة الرضيع.

لما كان يعلم أن بني أمية لا يرحمون له صغيرًا رفع طفله الصغير تعظيمًا للمصيبة على يده أمام القوم، وطلب منهم أن يأتوه شربة من الماء فلم يجيبوه إلّا بالسهم، ويغلب على الظن أن غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بني أمية لبني هاشم وأنها إلى أي درجة بلغت، ولا يظن أحد أن يزيد كان مجبورًا على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل الدفاع عن نفسه لأن قتل الطفل الرضيع في تلك الحال بتلك الكيفية ليس هو إلّا توحش وعداوة سبعية المنافية لقواعد كل دين وشريعة، ويمكن أن تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أمية، ورفع الستار عن قبائح أعمالهم، ونياتهم الفاسدة بين العالم ولا سيّما المسلمين وأنهم يخالفون الإسلام في حركاتهم بل يسعون بعصبية جاهلية إلى اضمحلال آل محمد وجعلهم أيدي سبا.

ونظرًا لتلك الخيالات العالية التي كانت في نظر الحسين عليه السلام مضافًا إلى وفور علمه، وسياسته التي كان لا يشك فيه اثنان لم يرتكب أمرًا يوجب مجبورية بني أمية للدفاع حتى إنه مع ذلك النفوذ والاقتدار الذي كان له في ذلك العصر لم يسعَ في تسخير البلاد

الإسلامية وضمها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد إلى أن حاصروه في واد غير ذي زرع قبل أن تبدو منه أقل حركة عدائية أو تظهر منه ثورة ضد بني أمية.

لم يقل الحسين عليه السلام يومًا سأكون ملكًا أو سلطانًا وأصبح صاحب سلطة، فقد كان يبث روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أمية، واضمحلال الدين إن دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميته، وهو مسرور، ولما حوصر في تلك الأرض القفراء أظهر لهم من باب إتمام الحجة بأنهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدال على سلامة نفس الحسين عليه السلام في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قتل قبل الحسين عليه السلام ظلمًا وعدوانًا كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الأعداء كما وقع تكرارًا في بني إسرائيل وقصة يحيى من أعظم الحوادث التاريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم يرَ نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين عليه السلام فاقت الجميع.

لم يرشدنا التاريخ إلى أحد من الروحانيين وأرباب الديانات أنه أقدم على قتل نفسه عالمًا عامدًا لمقاصد عالية لا تنجح إلّا بعد قتله، فإن كل واحد من أرباب الديانات الذين قتلوا ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلمًا، وبمقدار مظلوميتهم قامت الثورة بعدهم وقصد الحسين عليه السلام كانت عن علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير في التاريخ فإنه لم يزل يوالي السعي في تهيئة أسباب قتله نظرًا لذلك المقصد العالي، ولم نجد في التاريخ رجلًا ضحى بحياته عالمًا عامدًا لترويج ديانته من بعده الّا الحسين عليه السلام.

المصائب التي تحملها الحسين عليه السلام في طريق إحياء دين جده تفوق على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم نرد على أحد منهم، نعم إن، هناك رجالًا قتلوا في طريق إحياء

الدين ولكنّهم لم يكونوا كالحسين عليه السلام فإنه ضحى نفسه العزيزة في طريق إحياء دين جده، وفداه بأولاده وإخوانه وأقربائه وأحبائه وأمواله وعياله، ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتى تكون في حكم مصيبة واحدة، بل وقعت متوالية وواحدة بعد أخرى، ويختص الحسين عليه السلام دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب كما يشهد له التاريخ.

لم تنتهِ المصائب التي وردت على الحسين عليه السلام من قتله وقتل أصحابه، وتسيير نسائه وبناته إلّا وانكشف الغطاء عن سرائر بني أمية، وقبائح أعمالهم، وظهرت بين المسلمين الحسيّات السياسية، وتوطدت أسباب الثورة ضد سلطنة يزيد وبني أمية، وعلم الجميع أن بني أمية مخربي الإسلام، وصار الجميع يرفض بدعهم وتقولاتهم، وعرفوا بالظلم والغصب بالعكس من بني هاشم فإنهم عرفوا بالمظلومية وأن لهم الرياسة الروحانية بالاستحقاق، وإليهم تنمى الحقيقة الروحانية.

كأن المسلمين بعد قتل الحسين عليه السلام قد دخلوا في دور جديد، وظهرت الروحانية الإسلامية بأجلى مظاهرها، وتجددت بعد أن كانت مندرسة غائبة عن أذهان المسلمين، وكما أنه لا يشك اثنان في تفوق مصائب روحاني السلف، فكذلك لا يشك في الثورة التي حدثت بعده بأنها فاقت سائر الثورات السالفة وأن امتدادها وأثرها أكثر وإن بها ظهرت للعالم مظلومية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت أول نتيجة هذه الثورة اختصاص الرياسة الروحانية التي لها أهميّة عظمى في عالم السياسة ببني هاشم وخصوصًا في أولاد الحسين عليه السلام[1] وإلى حال التاريخ بنظر عموم المسلمين إلى بني هاشم ولا سيّما أولاد الحسين عليه السلام نظرهم إلى الروحانيين ولم يطل العهد

(١) يشير إلى الاثني عشر سلام الله عليهم.

حتى نزعت تلك السلطنة من بني أمية، وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في أقل من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبقَ منهم عين ولا أثر، وأينما ذكرت أسماؤهم في متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة، وكل ذلك نتيجة سياسة الحسين عليه السلام الذي يمكن أن يقال إنه لم يأتِ في أرباب الديانات والروحانيين رجلٌ عرف عواقب الأمور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين عليه السلام والتاريخ لم يرشدنا.

قبل أن تصل سبايا الحسين عليه السلام إلى الشام قامت الثورة[1] ضد يزيد وظهرت بمظلومية الحسين سرائر بني أمية، وكشف الغطاء عن نياتهم، وتوجه اللوم على يزيد حتى من أهل داره وحرمه[2]، وصار يزيد يسمع تقديس الحسين عليه السلام وأولاد علي وعظمتهم ومظلوميتهم بعد أن لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير، وكان يصعب عليه ذلك إلّا أنه لم يكن له بدّ غير السكوت، ولما أراد تبرئة نفسه من تلك الأعمال ألقى المسؤولية على عماله، ولم يزل يسمع محامد الحسين عليه السلام قال ذات يوم: إن سلطنة الحسين عليه السلام كانت أوهن عليّ من هذا المقام العالي الذي فاز به آل علي عليه السلام وبنو هاشم.

وبالآخرة فشيعة الحسين عليه السلام لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوة بني هاشم وعظمتهم حتى لم يمضِ أقل من قرن إلّا وصارت السلطنة الإسلامية الوسيعة

---

(١) يشير إلى قصة التوابين وتحزبهم في الكوفة إلى أن خرجوا سنة إحدى وستين يطلبون ثارات الحسين عليه السلام.

(٢) لما دخل السبايا على يزيد ووضعوا الرأس الشريف بين يديه وسمعت بذلك زوجته هند بنت عبد الله بن عامر تقنعت بثوبها وخرجت وقالت: يا يزيد، أرأس الحسين بن علي عليهما السلام وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم فاعولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصريخة قريش عجل عليه ابن زياد فقتله، -قتله الله- ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكث به ثغره.

في بني هاشم[1] من دون مزاحم وأبادوا بني أمية [2] على وجه لم يبقَ منهم اسم ولا رسم غير أفراد تسلموا زمام السلطنة في الأندلس إلى كم قرن، ولم يبقَ فعلًا من تلك العظمة التي سيطرت على المسلمين قرونًا عديدة أثر، ولم يوجد من أولئك شخص ولو تحت ستر الخفاء، ولو وجد فلا يمكنه إظهار نسبه وحسبه نظرًا لشناعة ذلك كما أن المشهور في سلالة آل قاجار أرباب السلطة في إيران أنهم من أولاد بني أمية ولكنهم ينكرون ذلك أشد إنكارًا ويبرأون من هذه النسبة.

ولما انتهت السلطنة بعد قرن إلى بني هاشم كانت في أولاد عم الحسين عليه السلام دون أولاده لأنهم اعتزلوا الناس وأذعن الجميع لهم بالرياسة الروحانية، نعم، نال أولاد عم الحسين عليه السلام هذه السلطة وتوفقوا لسبب ثورات شيعة الحسين عليه السلام للقبض على زمامها، ولكنهم بعد أن استلموا زمام الأمور، وانقاد لهم الجمهور صاروا في صدد منع تلك الثورات التي نالوا السلطة ببركتها خوفًا من رجوع السلطنة الإسلامية إلى أولاد الحسين عليه السلام وانتزاعها من أيديهم، كما انتزعت من بني أمية فقلّت تلك الثورات يومًا فيومًا لمنع هؤلاء أوّلًا ولاضمحلال بني أمية ثانيًا، فلما رأى عقلاء شيعة علي عليه السلام ذلك عرفوا أن تلك الثورات لا تقاوم سلطنة أولاد عمهم؛ لزيادة اقتدارهم وتفرق الأهواء والآراء العمومية تركوها بحسب الظاهر، ولكنهم في الحقيقة غيروا شكلها وأظهروها بصورة أخرى أعني بالاجتماع وعقد الاجتماع وعقد الاجتماعات وذكر الوقائع المحزنة والمصائب المؤلمة التي وردت على الحسين عليه السلام حفظًا لروح الثورة، وتمهيدًا لأسباب النهضة، وصونًا لها عن الاضمحلال والاندراس.

---

(١) يعني بني العباس.

(٢) يشير إلى استئصال السفاح بني أمية وقتله رجالهم ووضعه السيف فيهم كما هو مذكور في التاريخ.

التفت سلاطين بني هاشم إلى ذلك فأخذهم الخوف والوجل فصاروا يمنعون شيعة الحسين عليه السلام من إقامة العزاء الحسيني وذكر مصائب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد على الحسين عليه السلام حتى بلغ المنع بهم إلى حد أن من يظهر ولاء علي والحسين عليهما السلام يعاقبوه بأشد ما يكون كأنه مجرم سياسي، وقتل بهذا الجرم وصلب وجرح وحبس ألوفًا من شيعة الحسين عليه السلام، ولكن بالرغم من هذه التضييقات لم يتمكنوا من قلع بذور الثورة من شيعة علي عليه السلام، وكلما اشتدوا في المنع والمقاومة ازداد روح الثورة، وقويت الشيعة حتى كانت عاقبة الأمر أن تقوضت أعلام سلطنة هذه الطبقة بتدابير شيعة الحسين عليه السلام، وتداول السلطنة مدة قليلة أولاد الحسين عليه السلام[1] تداول أولاد الحسين عليه السلام الرياسة الروحانية واحدًا بعد واحد[2]، وجعلوا إقامة عزاء الحسين عليه السلام، وذكر المصائب التي وردت عليه من أعظم أجزاء المذهب، وظهرت هذه الحركة السياسية متدرجة بصبغة دينية، وكل ما ازدادت شيعة الحسين عليه السلام وكثرت قوتهم ازداد ذكر مصائبه ظهورًا، وبسعيهم وراء هذا الأمر صارت قوتهم تزداد، ورقيهم يتضاعف، ثمّ غيّر العقلاء طريقة ذكر المصائب، وزادوا عليها الشروح والحواشي حتى بلغ الحال إلى ما نراه اليوم من ظهور عظم هذه المصيبة في كل مكان ازداد فيه المسلمون حتى سرى ذلك متدرجًا إلى غيرهم ولا سيّما في الصين والهند، وعمدة أسباب تأثير تلك المصيبة في أهالي الهند هو أن المسلمين نحو نحوهم في إقامة العزاء والمآتم.

---

(١) يشير إلى الدولة العلوية الفاطمية بمصر التي ابتدأت بالمهدي سنة ست وتسعين ومائتين وانتهت بالعاضد سنة سبع وستين وخمسمائة، وفيهم يقول السيّد الشريف الرضي (طاب ثراه):

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصي

(٢) يشير إلى الأئمة الاثني عشر سلام الله عليهم.

لم يتداول شيعة الحسين عليه السلام إقامة عزائه في الهند إلّا منذ مائة سنة، ولم يعهد قبل ذلك ومع هذا فقد استوعب الهند شرقًا وغربًا في هذه المدة القليلة، ويظهر أنه يومًا فيومًا في زيادة.

إن عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين عليه السلام إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنا لم نرَ في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين عليه السلام من الحسبات السياسية، والثورات المذهبية بسبب إقامة عزاء الحسين عليه السلام وكل من أمعن النظر في رقي شيعة علي الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين عليه السلام شعارهم في مدة مائة سنة يذعن أنهم فازوا بأعظم الرقي فإنه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين عليهما السلام في الهند إلّا ما يعدوا بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعية إذا قيسوا بغيرهم وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهظة، والقوة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة، وإن كان قسسنا يحزنون القلوب بذكر مصائب المسيح عليه السلام ولكن لا بذلك الشكل والأسلوب المتداول بين الشيعة الحسين عليه السلام، ويغلب على الظن أن سبب ذلك هو أن مصائب الحسين عليه السلام أشد حزنًا وأعظم تأثيرًا من مصائب المسيح عليه السلام فعلى مؤرخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ولا ينسبونها إلى الجنون.

يقول المؤلف: «إنّي أعتقد بأن بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلامية، وترقي المسلمين هو مسبب من شهادة الحسين عليه السلام وحدوث تلك الوقائع المحزنة، وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة، وإباء الضيم ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين عليه السلام ومادامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلًا ولا يدخلون

في أسر أحد».

ينبغي لنا أن ندقق النظر فيما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس إقامة عزاء الحسين عليه السلام، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين عليه السلام في إسلامبول مع مترجم وسمعتهم يقولون الحسين عليه السلام الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا لم يتحمل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه، وعلو حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من الله، وأعداؤه قد خسرت الدنيا والآخرة فرأيت بعد ذلك، وعلمت أنهم في الحقيقة يدرس بعضهم بعضًا علنًا بأنكم إن كنتم شيعة الحسين عليه السلام وأصحاب شرف إن كنتم تطلبون السيادة والفخر فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تتحملوا الذل بل اختاروا الموت بعزة على الحياة بذلة حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة وتحظوا بالفلاح.

من المعلوم حال الأمة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد في أي درجة تكون في الملكات العظيمة، والسجايا العالية نعم هكذا أمة تحوي كل نوع من أنواع السعادة والشرف، وتكون جميع أفرادها جندًا مدافعون عن عزهم وشرفهم هذا هو التمدن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق هذا هو معنى تدريس أصول السياسة.

نحن الأوروبائيون بمجرد أن نرى مخالفة حركات قوم آخرين لحركاتنا ومنافاتها لأصول مذهبنا ننسبهم إلى الجنون والتوحش في حال إنا لو عرفنا أغراضهم ومقاصدهم المشروعة لقلنا أنها حركات عقلية سياسية كما نشاهد ذلك في هذه الفرقة، والقوم بأحسن وجه والذي يجب علينا هو أن نعرف حقيقة العادات والرسومات المتداولة

بين كل قوم وإلّا فأهالي آسيا لا يستحسنون بعض مراسمنا وحركاتنا أيضًا بل يرونها حركات وحشية غير مهذبة[1].

وفوق تلك المنافع السياسية الطبيعية التي ذكرناها فإنهم يرون في إقامة عزاء الحسين عليه السلام جزيل الأجر، وعظيم الثواب في الآخرة.

إن ابن التاريخ والمطلع على طباع وأخلاق أهالي آسيا يذعن أن إصلاح أخلاقهم، وإلقاء التعليمات السياسية عليهم اليوم لا يمكن إلّا باسم الدين والمذهب بل وإلى قرنين آخرين، فينبغي أن يستفيد من فوائد حب القوم والوطن باسم المذهب كما كان ذلك في أوروبا قبل كم قرن، نعم، لا يمكن فعلًا طلب النهضة والإصلاح من أهالي آسيا باسم القوم والوطن كما هو في أوروبا، ولكن يمكن باسم الدين والمذهب الذي ترجع فوائده أيضًا إلى القوم والوطن.

لا ترفرف اليوم راية الاستقلال على المسلمين الذين يبلغون ثلاثمائة مليون إلّا على خمسين مليونًا [2] منهم فإذا تركوا الدين وراءهم ظهريًا، ونادوا بالإصلاح باسم القوم والوطن كان ضرره أكثر من نفعه لأن خمسة أضعافهم تحت سيطرة الأجانب، والأغيار ليس لهم حياة سياسية وقومية فنداء هذا السدس باسم القوم والوطن يوجب عدم اشتراك أولئك في الحياة السياسية بخلاف ما لو نودي فيهم باسم الجامعة الإسلامية فإنها تعم جميع المسلمين، وتودع فيهم روح الثورة والسياسة وذلك بوساطة الروابط الروحانية الموجودة بين المسلمين الذين هم تحت سلطة الأجانب فينفضون تراب الذل عن أذيالهم ويلقون نيّر السلطة الأجنبية عن عواتقهم، ولا مؤثر كإقامة عزاء الحسين عليه السلام

(١) كالرقص واختلاط الرجال بالنساء واقتناء الكلاب وشبهها.

(٢) هذا في زمان المؤلف أمّا اليوم فلا يبلغون أربعين مليونًا.

فإن ذلك يحدث فيهم روح النهضة وإن دام ذلك بين المسلمين مدة قرنين وعمّ الجميع ظهرت فيهم حياة سياسية جديدة، وليس هذا الاستقلال الجزئي الذي عليه المسلمون اليوم إلّا بوساطة هذه النكتة، وسيأتي يوم نرى فيه الدول الإسلامية تصبح قوية، ويدخل عموم المسلمين تحت لواء الاتحاد كل ذلك بوساطة هذه النكتة، فإنا لا نرى بين طبقات المسلمين من ينكر ذكر مصائب الحسين عليه السلام وينفر منها، بل نرى من الجميع إقبالًا طبيعيًا ورغبة فطرية على أداء هذه العادة المذهبية، ولا نرى طريقًا لاتحاد المسلمين المختلفي العقائد إلّا تعقيب هذا المبدأ.

الحسين عليه السلام أشبه الروحانيين بالمسيح ولكن مصائبه أشد وأصعب، كما أن فوز شيعته كفوز شيعة المسيح عليه السلام في القرون الأوّلى فلو أن المسيحيين نهجوا على سيرة شيعة الحسين عليه السلام لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمورة، كما إنا نرى من يوم رفعت بعض الموانع عن شيعة الحسين عليه السلام أخذوا في الانتشار والتغلب على سائر طبقات المسلمين وغيرهم كالسيل الجارف.

المرأة في وقعة كربلاء[1]

غامرت المرأة العربيّة في كلّ معترك من معتركات الحياة، وكانت المجلية في مغامراتها، والسابقة في تطوّعها ومسابقتها، ولقد تغلغلت في أحشاء هذا المجتمع، حتى بلغت سويداء قلبه، ونالت منه كلّ مطلب ومأرب[2].

لم تكن المرأة العربيّة جليسة بيتها وأسيرة خباها، كما يزعم الزاعمون، ويتوهّم المتوهّمون، ولكن شاركت الرجل في نعمه وبؤسه وسعده ونحسه، ولم تتركه يعمل وحده، ولم تكتفِ أن تكون شاعرة وخطيبة، وممرضة وطبيبة، بل صاحبته في حروبه وغزواته، فكانت تقوم بشؤونه جميعها، وتقتحم المعارك حينما ترى الحاجة ماسة إليها، ولا غرو فالشريك يواسي شريكه، وما أجمل المواساة ولا سيّما عند الشدائد.

وهب أن لكلّ من الرجل والمرأة وظيفة يحسن أن لا يتعدياها، ولكن هناك أحوال شاذّة توجب على كلّ منهما الخروج عن وظيفته التي خلق لها.

كنت أقرأ كلّ سنة وقعة كربلاء التي حدثت سنة الإحدى والستين للهجرة، وكانت لطخة عارٍ في جبين الإسلام الوضّاح، وفي تاريخ تلك الدولة العربيّة الفتيّة، كما كانت صحائف مباهاة وفخر للإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه الذين كانوا لمن بعدهم

---

(١) المرأة في وقعة كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد السادس عشر، الجزء الرابع، تشرين الثّاني ١٩٢٨م، ص٣٦١-٣٦٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] للاطلاع على نمنذج وتفاصيل مشرفة للمرأة العربية المسلمة ينظر على سبيل المثال: محمد عطية الابراشي، مكانة المرأة في الاسلام، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت).

مثلًا أعلى في الإباء والشمم وكبر النفس والثورة على الظلم والظالمين، واستنكار عمل الفسقة المتهتكين، بل هي لعمر أبيك ثورة الفضيلة على الرذيلة، والحق على الباطل إنّ الباطل كان زهوقا.

نعم، كنت أقرأ تلك الوقعة فأرى للمرأة حظًا عظيمًا في خوض غمارها، إن لم نقل في إيقاد نارها، إذ لو صحّت قضيّة أرينب بنت إسحاق لكانت هي أحد الأسباب والمسببات التي حدت بيزيد لمطاردة الحسين وقتله.

هذه كلمة تمهيديّة أوردناها بين يدي مقالنا هذا الذي نتلوه عليك تنويهًا بأعمال المرأة، وهي مرآة الكون اللامعة البرّاقة. قال الطبري: كانت ماريّة ابنة منقذ العبديّة تتشيّع، وكانت دارها مألفًا للشيعة يتحدّثون فيه وهي بصريّة، وكان ذلك على أثر اجتماع الشيعة بالبصرة، وخروجهم لنصرة الإمام الحسين عليه السلام[1].

وكانت امرأة في الكوفة تسمّى(طوعة)[2] أجارت مسلم بن عقيل بن أبي طالب لما تفرّق عنه أصحابه، وبقي وحيدًا فريدًا، وقدّمت له الزاد والماء، وخبّأته بغرفة في داخل دارها، لكن ابنها شعر به فوشى لابن زياد.

ولما أتى رسول الحسين إلى زهير بن القين يدعوه إليه تلكأ قليلًا، فقالت له زوجته

---

(١) [مركز تراث كربلاء] للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦)، ج٣، ص٢٧٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هي امرأة مسلمة، كانت جارية للأشعث بن قيس الكندي، أعتقها فتزوجها أسيد بن مالك، وأنجبت منه ولداً، عرفت بموقفها في إيوائها ونصرتها لسفير الحسين بن علي إلى الكوفة مسلم بن عقيل في بيتها عندما تفرق أهل الكوفة عنه وبقي يجول في طرقاتها وحيداً لا يعرف أحداً هناك، للتفاصيل ينظر: ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م)، ج٣، ص٢٤٤.

دلهم بنت عمرو: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه فلو أتيته فسمعت من كلامه، فمضى إليه زهير فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحول إلى الحسين عليه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين لأفتديه بروحي، وأقيه بنفسي، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمها؛ ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته، وقالت: جار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين.

ولما برز أصحاب الإمام الحسين عليه السلام للقتال كان ممّن برز وهب بن حباب الكلبي[1]، فأحسن في الجلاد، وبالغ في الجهاد، وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليها، وقال: يا أمّاه أرضيت أم لا؟ فقالت الأم: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: «بالله عليك لا تفجعني بنفسك»، فقالت له أمّه: «يا بني إعزب عن قول زوجتك، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيك، تنل شفاعة جدّه يوم القيامة»، فرجع ولم يزل يقاتل حتى قطعت يداه، وأخذت امرأته عمودًا وأقبلت نحوه، وهي تقول: «فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: «لن أعود دون أن أموت معك»، فقال الإمام

---

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو من شهداء كربلاء ومن الشخصيات التي يحتذى بها، أسلم وهب بن حباب الكلبي ذلك البطل النصراني على يد الحسين عليه السلام ليحصل بإسلامه على أعلى وسام في الإسلام وهو الشهادة بين يدي الحسين ويبرز يوم عاشوراء وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب ... أدرك ثاري بعد ثار صحبي
وأدفع الكرب أمام الكرب ... ليس جهادي في الوغى باللعب

للتفاصيل ينظر: ابن طاووس، مقتل الحسين، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٣)، ص١٦١.

الحسين عليه السلام: «جزيتم من أهل بيت خيرًا ارجعي إلى النساء رحمك الله»، فانصرفت إليهن، وقيل إنّ أمّه قتلت بعده وهي تقاتل. وقاتل مع الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف امرأتان وهما: أم عبد الله بن عمير، فإنّها بعد قتل ولدها أخذت عمود خيمة، وبرزت إلى الأعداء، فردّها الإمام الحسين عليه السلام وقال: «ارجعي رحمك الله، فقد وضع الله عنك الجهاد»، وأم عمر بن جنادة فإنّها على ما روي أخذت بعد قتل ولدها رأسه، وضربت به رجلًا فقتلته، ثمّ أخذت تقول:

أنا عجوز في النساء ضعيفة بالية خاوية نحيفة
أضربكم ضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة

فأتاها الإمام الحسين عليه السلام وردّها إلى الخيمة.

وروى حميد بن مسلم[1] قال: رأيت امرأة من بني بكر بن وائل مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين في فسطاطهن وهم يسلبونهن أخذت سيفًا، وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: «يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله لا حكم إلّا لله يا لثارات رسول الله»، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله.

ولما أُخِذَت نساء الإمام الحسين عليه السلام وبناته سبايا للشام مرّوا بهن في سكك الكوفة،

(١) [مركز تراث كربلاء] هو من رواة يوم عاشوراء حيث روى أخبار عديدة من أحداث واقعة كربلاء، فقد شهد حميد بن مسلم يوم عاشوراء، وكان في معسكر عمر بن سعد ومن مواقفه دفاعه عن الإمام السجاد ومنع الشمر عن قتله، كما احتج على الشمر عندما أراد حرق الخيم، ولامه على ذلك، وبعد المعركة أرسله عمر بن سعد مع خولى أن يأخذا رأس الإمام الحسين إلى ابن زياد، وقد شارك حميد مع التوابين في ثورتهم بعد وقعة الطف، وبعد أن انهزم التوابون حاول أن يقترب من المختار الثقفي، ولكن امتنع عن هذا الأمر؛ لأنّه رأى المختار بأنه جاد في عزمه على قتل قتلة الإمام الحسين، فقام أصحاب المختار بمطاردته، ولكن لم يقبضوا عليه. ينظر: ابو مخنف، واقعة الطف، (قم: المطبعة العلمية، د.ت)، ص٢٢٩.

فأشرفت امرأة من الكوفيّات، وقالت: «من أيّ الأسارى أنتن»؟ فقلن لها: «نحن أسارى آل محمد»، فنزلت من سطحها، وجمعت لهن ملاءً وأُزرًا ومقانع فتغطين.

قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي عليها السلام[1] يومئذ ولم أرَ خفرة قط أنطق منها كأنّها تفرغ عن لسان أبيها، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا فلما سكنت الأنفاس وهدأت الأجراس قالت:

«الحمد لله والصلاة على محمّد وآله الطاهرين أمّا بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثًا، تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون؟ إي والله فابكوا كثيرًا، واضحكوا قليلًا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار محجّتكم، ومدرة حجّتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعدًا لكم وسحقًا، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ دم له سفكتم، وأيّ حرمة له انتهكتم، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء سواء فقماء كطلاع الأرض أو ملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دمًا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنّكم المهل؛ فإنّه لا يحفّزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربّك لبالمرصاد».

---

(١) وقد نسب هذه الخطبة صاحب بلاغات النساء لأم كلثوم وهي التي يقال إنها زينب الكبرى والمرجّح أنّها زينب؛ لأنّ لأمّ كلثوم خطبة تأتي.

وخطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء، فقالت:

«الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا تراث، اللهم إنّي أعوذ بك أن افتري عليك الكذب أو أن أقول عليك خلاف ما نزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام المسلوب حقّه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعسًا لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيمًا في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيّب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه اللهم فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هذّبته اللهم للإسلام صغيرًا، وحمدت مناقبه كبيرًا، ولم يزل ناصحًا لك ولرسولك، حتى قبضته إليك زاهدًا في الدنيا، غير حريص عليها راغبًا، في الآخرة، مجاهدًا لك في سبيلك، رضيته فهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد: يا أهل الكوفة يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنًا، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته على الأرض في بلاده لعباده، وأكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمّد على كثير ممّن خلق تفضيلًا بيّنا، فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالًا، وأموالنا نهبًا، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله، ومكرًا مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزء العظيم في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير، لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا

بما أتاكم، والله لا يحبّ كلّ مختال فخور، تبًا لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأنّ قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب، ويذيق بعضكم بأس بعض، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين، ويلكم أتدرون أيّة يد طاعتنا منكم، وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا أم بأيّة رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا، والله قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة، فأنتم لا تهتدون، فتبًا لكم، يا أهل الكوفة أيّ تراث لرسول الله قبلكم وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدّ بنيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخر، فقال:

نحن قتلنا عليًا وبني علي بسيوف هنديّة ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأيّ نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث[1] والأثلب[2] افتخرت، بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله، وأذهب عنهم الرجس، فأكظم واقعِ كما أقعى أبوك، فإنّما لكلّ امرئ ما كسب، وما قدّمت يداه أحسدتمونا، ويلًا لكم على ما فضلنا الله تعالى.

فما ذنبنا أن جاش دهرًا بحورنا وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور».

وخطبت أم كلثوم بنت علي عليها السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء، فقالت:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هي دُقاقُ التَرابَ .ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ١٧٩.
(٢) [مركز تراث كربلاء] هي دقاق الحجارة . الفراهيدي، العين، ج٨، ص٢٢٧.

«يا أهل الكوفة سوأة لكم مالكم خذلتم حسينًا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتبًا لكم وسحقًا. ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم، وأيّ وزر على ظهوركم حملتم، وأيّ دماء سفكتموها، وأيّ كريمة أصبتموها، وأيّ صبية سلبتموها، وأيّ أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبيّ، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا أنَّ حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون»، ثمّ قالت:

قتلتم أخي ظلمًا فويل لأمكم ... ستجزون نارًا حرّها يتوقد
سفكتم دماء حرّم الله سفكها ... وحرّمها القرآن ثمّ محمّد
ألا فابشروا بالنار، كلّكم غدًا ... لفي سقر حقًّا يقينًا مخلّد
وإنّي لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبيّ سيولد
بدمع غزير مستهل مكفكف ... على الخدّ مني دائمًا ليس يجمد

وجلس ابن زياد في القصر للناس وأذّن أذانًا عامًّا وجيء برأس الإمام الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، وأدخل نساء الإمام الحسين عليه السلام وصبيانه إليه، فجلست زينب بنت علي عليها السلام متنكرة فسأل عنها فقيل: زينب بنت علي، فأقبل إليها فقال: الحمد لله الذي فضحكم، وأكذب أحدوثتكم، فقالت: إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك»؟، فقالت: «ما رأيت إلّا جميلًا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ، ثكلتك أمّك يا بن مرجانة».

قال الرّاوي: فغضب ابن زياد وكأنّه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث[1]: إنهّا امرأة،

(١) [مركز تراث كربلاء] هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيّ من بني مخزوم، قيل أنه ولد في أيام بدر، وقيل قبل الهجرة بسنتين على حسب أختلاف

والمرأة لا تؤآخذ بشيء من منطقها، فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين، والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصليّ، فإن كان هذا شفاك فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوك شاعرًا سجّاعًا، فقالت: يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة.

وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تندب الإمام الحسين عليه السلام وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي أهل بيتي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ولما أمر يزيد بإحضار رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه، وجعل ينكث ثناياه، واستشهد بأبيات ابن الزبعري المشهورة التي يقول في آخرها:

لعبت هاشم في الملك فلا ... خبر جاء ولا وحيّ نزل

قامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام فقالت[1]: «الحمد لله ربّ العالمين، وصلّ الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[2]، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا

الرواة، شهِد معركة القادسية، وأبلى فيها، مسح النبي رأسه، ودعا له بالبركة في صفقته وبيعه، فكسب مالا عظيما، وكان من أغنى أهل الكوفة، وليَ إمرة الكوفة نيابةً لزياد بن أبيه: للتفاصيل ينظر: محمد علي الا ردبيلي، جامع الرواة، (د.ك: مكتبة المحمدي، د.ت)، ج١، ص٦١٩.

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص خطبتها عليها السلام في. ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ٢١٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الروم، آية: ١٠.

أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أنّ بنا هوانًا على الله وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان فرحًا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلًا مهلًا أنسيت قول الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[1]، أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدنيء والشريف ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشّهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم.

لأهلوا واستهلوا فرحًا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

منتحيًا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنّة تنكتها بمخصرتك[2]، وكيف لا تقول ذلك ونكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمّدﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردّن وشيكًا موردهم، ولتودنّ أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فو الله

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٧٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] المخصرة: ما يُتوكَّأ عليه كالعَصا والعكَّازة. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٦٤٦.

ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، وحسبك بالله حاكماً، وبمحمّد خصيماً، وبجبرائيل ظهيرًا، وسيعلم من سوّل لك، ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلًا، وأيّكم شرّ مكانًا، وأضعف جندًا، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنمًا لتتخذن مغرمًا، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما ربّك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى، وعليه المعوّل فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله ربّ العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

هذا ما عثرنا عليه في كتب من كتبوا عن وقعة كربلاء، وقد ذكر صاحب بلاغات النساء المتوفى سنة ٢٨٠هـ، خطبة أم كلثوم في الكوفة، وخطبة زينب أمام يزيد مع بعض التغيير والزيادة والنقص عمّا كتبناه.

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

فجدير بالمرأة اليوم أن تحذو حذو أولئك النسوة الراقيات، ويواسين أزواجهن في السرّاء والضرّاء لا أن يكن عليهم بدلًا من أن يكن لهنّ، ويحصرن عنايتهن بالخلاعة والأزياء، وعلى المحامين عنهن من الرجال مأجورين أو متطوعين أن يحصروا محاماتهم بصاحبات الفضيلة، ويؤنبون المنغمسات بالرذيلة، وإلّا فالمحاماة على إطلاقها إغراء، ويا بعد ما بين الثراء والجوزاء.

حول نهضة الحسين عليه السلام[1]

سرحت الطرف في كتاب نهضة الإمام الحسين عليه السلام للعلّامة الشهير الأستاذ الشهرستانيّ، فألفيته كما أنبأت عنه الصحف، وتقاريض النقدة الأعلام حاويًا لمباحث حكمية في عبارات سردها تبهر الناظر بلطف انسجامها، ودقيق نظامها، فقد كشف فيها الغطاء عن سرّ النهضة الحسينيّة، وحكامها على أحسن نمط يوافق العصر الحاضر.

بيد أنّي وجدت جملة من كلماته تلمح من وراء الستار إلى أن حسينًا عليه السلام قد اغترّ بمواعيد أهل الكوفة، وانخدع بمكاتيبهم المموّهة، وأنّه كان يأمل رئاسة العراق، والسيطرة عليه أملًا وطيدًا، ورجاء واثقًا فقلب له الكوفيون ظهر المجن، ودهمه العدو على غرّة منه، وغير بصيرة في الأمر[2] وهذا لعمري رأي ليس حقيقًا بالتصديق، فإنّ من نظر في تاريخ الإمام الحسين عليه السلام من حين ما ودّع قبر جدّه وداع مفارق لا يأمل الرجوع إليه، ومنذ وروده مكّة وخروجه منها، وما جرى له في الطريق من مكالماته مع الذين يريدون تثبيطه عن المسير إلى العراق، ويشيرون عليه باللحاق إلى اليمن أو غيره من الأقطار، يصبح من اليقين على مثل ضوء الشمس بأنّ حسين البصيرة كان يرى ما ينتهي إليه أمره.

---

(١) حول نهضة الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد الثّامن عشر، الجزء الأوّل والثاني، آب وأيلول ١٩٢٩م، ص١٨٥.

(٢) راجع صفحة ٢٦-٣٦-٤١-٥٤-٥٥-٧٠-٨٠ من كتاب نهضة الحسين، الجزء الأوّل والثّاني.

المراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مأتم الحسين عليه السلام[1]

أو نظرة في مقالات المسلمين ومحبتهم لآل البيت عليهم السلام

لم يكن في الحسبان أنّ الشعائر الحسينيّة التي اتخذتها الشيعة سنّة من عهد(آل بويه)[2] إلى يومنا هذا، تجعل مسألة نظرية تتضارب فيها الأفكار، وتختلف الأنظار إذ لا شكّ في فوائدها التي تعود بالنفع العميم على هذه الطائفة، وليت من ناقش في ذلك أدلى بحجّة واضحة، وبرهان قاطع؛ لنتبعه فإنّ الحقّ أحقّ أن يتّبع.

ولا يخفى على ذوي الأنظار الثاقبة، وأولي البصائر أهميّة(المآتم الحسينيّة) فإنّها أعظم درس يبيّن للملأ عظمة الإمام الشّهيد، وخطر جهوداته التي كابدها لإحياء الدين الإسلاميّ، إذ يتلى فيها تاريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام، ويبيّن فيها بطريق فلسفيّ واقعة الطف، وأسرار شهادة الإمام عليه السلام.

---

(١) نور الدين آل شرف الدين الموسوي، مأتم الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد الواحد والعشرون، الجزء الثالث، آذار ١٩٣١م، ص٣٦٢-٣٦٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هم سلالة من الديلم حكمت في غرب إيران والعراق سنوات، ينحدرون من أعالي جبال الديلم ويرجعون في نسبهم إلى ملوك الساسانية. استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية. للتفاصيل ينظر: حين منيمنة، تاريخ الدولة البويهية: السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، (د.ك: دار الجامعية، ١٩٨٧).

وناهيك أنّها أعظم مبشر إلى الدين الحنيف؛ لما يبيّن فيها من محاسن الدين الإسلاميّ، ومناقب الرسول الأعظم وآله الكرام، ممّا يثبّت قلوب العامّة على الإيمان، ويزيدهم بصيرة في نبيهم الكريمﷺ والعاملين من آله وصحبه، فيضاعف حبّهم وإكبارهم، وترسّخ عقائدهم، ويتسرّى أعظامهم إلى كلّ عامل دينيّ، يبثّ في قومه حبّ الفضيلة، ويحبب إليهم العادات الحسنة، والأخلاق الفاضلة، وبعبارة وجيزة يشرب في قلوبهم حبّ نبيهم ومن اتّبع سنّته، وتمشّى مع منهاجه.

ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع، فقد ألّفت فيه رسائل عديدة تكشف وجه الستار، وتميط حجب الشكوك التي تتعاور هذه المآتم المقدّسة، فمن يريد الوقوف على فائدة هذه المآتم تفصيلًا، ويرغب في الاطلاع على أهميّتها فليرجع إلى«المجالس الفاخرة»[1] و«النظرة الدامعة»[2] و«النقد النزيه»[3] و«وتحت راية الحسين»[4] و«رنة الأسى»[5] و«الشعار الحسينيّ»[6]، وغيرها كلّ هذه الرسائل جليلة الشأن في بابها، تبينّ فوائد المآتم وتدفع الشبهات، وتزيل الشكوك، ففيها بغية الطالب، وهداية المرشد، وقمع حجج المانعين.

وممّا نأسف منه جدّ الأسف أنّ بعض الجهابذة من الغربيين التفتوا إلى فوائد هذه المآتم الشريفة، وأكبروها غاية الإكبار، والمسلمون أنفسهم خفت عليهم تلك الفوائد الجليلة، ولنذكر بعض كلمات الغربيين لتدحض حجّة من يدّعي أنّ المآتم تجلب سخرية

(١) للعلاّمة المجاهد حجّة الإسلام السيّد عبد الحسين شرف الدين.
(٢) للعلاّمة الكبير البحّاثة والكاتب القدير الشّيخ مرتضى آل يس الكاظميّ.
(٣) للعلاّمة المفضال المتتّبع الشّيخ عبدالحسين الحليّ.
(٤) للعلاّمة المفضال السيّد محمّد عليّ شرف الدين، وقد نشرت منها الهدى فصولاً إضافيّة.
(٥) للعلاّمة المفضال الشّيخ عبد الله السبيتيّ.
(٦) للعلاّمة المفضال الشّيخ محمّد حسين مظفّر.

الأجانب.

قال الدكتور(جوزف) الفرنساوي[1]: «لم تكن هذه الفرقة(يعني الشيعة) ظاهرة في القرون الأوّلى الإسلاميّة كأختها، ويمكن أن تنسب قلّتهم إلى سببين أحدهما: أنّ الرئاسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب، كانت بيد الفرقة الأخرى، والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم، ونظرًا لحفظ لنفوس الشيعة حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثّاني عليهم بالتقيّة، فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدو القوّي الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرًّا، ويبكون على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمضِ زمن قبل إلّا وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين من أظهره، وبعد أمير تيمور حيث رجعت السلطة في إيران إلى الصفويّة، وصارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سيّاح فرنسا أنّ الشيعة فعلًا سدس المسلمين أو سبعهم».

ونظرًا إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل دون جبر وإكراه، يمكن أن يقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن أو قرنين، والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام، الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعيًا إلى مذهبه.

---

(١) المجالس الفاخر ة، قال مؤلّفها- دام ظلّه-: قبل نقل كلمة الدكتور نبهك إلى بعضها يعني بعض الأسرار حكيمًا للغربيين، وفيلسوفًا للمستشرقين الدكتور «جوزيف» الفرنساويّ في كتابه(الإسلام والمسلمون) والمسيو(ماربين) الألمانيّ في كتابه(السياسة الإسلاميّة)، وقد ترجمت جريدة(الحبل المتين) الفارسيّة في عدد(٨٣ من أعداد سنة ١٧) فصلين من ذينك الكتابين النفيسين(إلى أن قال) فنشرت مجلّة(العلم) أحد الفصلين ومجلّة(العرفان) نشرت الآخر حبذا لو تعيد نشر الفصلين بتمامهما العرفان الزاهرة.

ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد والاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الإمام الحسين عليه السلام، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة، فقد رأيت في نزل(مارسل) شيعيًّا غريبًا من أهالي البحرين يقيم مأتم الإمام الحسين عليه السلام، وهو منفرد ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ثمّ يقسِّم ما أحضره من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين: فبعضهم يبذلها في خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك، وبعضهم يعين أوقافًا لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الأوّل ويمكن أن يقال: إنّ فرق الإسلام جميعها من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم، بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعف أوقاف سائرالمسلمين أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين. إلى أن قال: (من المعلوم أنّ مذهبًا دعاته خمسون أو ستون مليونًا لا بدّ أن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتى إنّ الرؤساء الروحانيين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة. وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة إقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام، من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الأعيان والأكابر؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة) إلى أن قال: «وهم يكابدون المشاق في تحرّي العبارات الرائعة، والجمل الواضحة عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم، ومصائب أهل البيت عليهم السلام على المنابر في المجالس العموميّة» إلى أن قال: «بل إنّ آحاد وأفراد هذه الطائفة دعاة، وما دخلوا بين أمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها، وليس العدد الذي نراه اليوم في الهند من الشيعة إلّا هو أثر إقامة هذه المآتم» إلى أن قال: «ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة

بصبغة مذهبيّة منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد، والقريب هو قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الإمام الحسين عليه السلام، وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوروبا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرج، وصارت تمثّل الأمور السياسيّة المهمّة في دور التمثيل للخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم غرضين تفريح النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسيّة، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة وأظهرته بصبغة دينيّة».

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التي وردت على الإمام الحسين عليه السلام مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد عليهم السلام، إذا انضمت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواص هذه الفرقة أو عوامها فوق ما يتصوّر، وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

نكتفي بهذا القدر من هذه الكلمة البليغة وإن كنا نودّ نقلها برمّتها بما فيها من الحقائق الراهنة، والأسرار الشريفة فليعتبر أولئك المهوسون، وليغمد سيفه من يجرّد سيف نقمته على هذه المآتم المقدّسة بدعوى أنّها توجب الهزء والسخريّة من الأجانب.

وقال المسيو (ماربين) الألماني:

«إنّ عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الإمام الحسين عليه السلام إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نرَ في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسنات السياسيّة، والثورات المذهبيّة بسبب إقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وكلّ من أمعن النظر

في رقي شيعة الإمام علي عليه السلام، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة، يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقي» إلى أن قال: «فعلى مؤرخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ولا ينسبوها إلى الجنون» إلى آخرها، والكلمة جميعها على هذا الطراز.

ونكتفي بهذا الأنموذج منها فالإنصاف والأمانة قضيا على هذين الفيلسوفين أن يبرزا هذه الحقيقة ناصعة الأديم غير مشوّهة بالعصبية والافتراء، ونودّ من صميم القلب أن تكون هذه المسألة موضع البحث والتمحيص بشرط أن لا تشوّه بشكل غير مألوف لأغراض هناك، بل بشكلها التي عليه من الوجهة الدينيّة والاجتماعيّة، ويدلي كلّ من المبيحين والمحرمين بحجّته؛ لتتضح هذه المسألة التي صوّرت بأشكال مختلفة، والتي عملت فيها يد المدنيّة الجديدة الخلّابة.

وممّا عجبت منه جدًّا - بل أسفت - أنّ محمّد علي الحاجّ سالمين[1] الذي يحدّثنا العرفان الزاهر بنبوغه، وأنّه داعية إلى الدين الإسلاميّ اقتفى أثر أولئك المهوسين، فغدا يضرب على ذلك الوتر الذي تغلق المسامع ألحانه ونغماته.

رأيت له مقالًا منشورًا في(العرفان الأغر، الجزء الأوّل من المجلّد الثّاني تحت عنوان: المسلمون ومحبتهم لآل البيت)، فأخذ العنوان من نفسي غاية الاستحسان، لكن عندما تصفّحت المقال رأيت أنّ الكاتب قد شطّ به قلمه عن الموضوع. ولم تكن كتابة المقال بأسلوب حسن، وعبارات جيّدة، الأمر الذي أوقفني في حيرة وارتباك، فإنّ قلم الصحافي ممتاز، وأسلوبه في الكتابة ساحر، على الأخص إن كان مؤلّفًا كسماحة(سالمين)، كما يظهر

(١) [مركز تراث كربلاء] هو محمد علي سالمين، داعية وكاتب هندي، صاحب جريدة (ديوائن ميسج) التي تصدر في بومباي باللغة الإنكليزية . محسن الامين، اعيان الشيعة، ج١٠، ص٣٨٠.

في مقاله، وقد تعرّض في غضون المقال إلى المآتم الحسينيّة، ولم يكن ذلك التعرّض له ربط في موضوعه، ولكن من باب الشيء بالشيء يذكر.

والأستاذ أنكر على الشيعة تمام الإنكار ما يقومون به من لطم الصدر، والتمثيل. والنياحة على الإمام الحسين عليه السلام، وزعم أنّ ذلك محرّم بل بدعة وضلالة.

إنّها حملات شديدة، ولهجات غريبة ظهرت بمظهر الإصلاح؟! ولم يعلم(سالمين) أنّه ضرب على وتر اهتزّت له فرحًا قلوب أولئك الرجال الذين ينصبون الحبائل لهذه الطائفة، ويكيدون للإسلام كيدهم.

استدلّ سماحته على حرمة لطم الصدر بالآية الشريفة: ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ**﴾[1] يجدر بنا أن نسأل سماحة الأستاذ ما المراد من هذه التهلكة؟؟

ولو تأملنا قليلًا لرأينا معناها الإقدام على ما يؤول إلى هلاك النفس أو الإضرار بها إلى التلف، إذن أين التهلكة من لطم الصدر باليدين !؟

ونحن نلتمس من الأستاذ(سالمين) أن يلطم صدره زمن ساعة أو ساعتين فإن حصل له شيء من ذلك، فأنا ضمين له كلّ ما يقترح! على أنّه لو تنزلنا وسلمنا حصول الضرر، فالضرر المحرّم، وهو ما يعتقد الشخص بحصوله، ويرى أنّ في فعل ذلك الشيء ضررًا، ومع ذلك يقدم عليه، ولكن لو اعتقد غيره بحصول الضرر ولم يعتقد الفاعل، فلا حرمة قطعًا، وإن اعتقد سماحة(سالمين) بحصول ضرر ينشأ عن لطم صدره، فلا ملزم له بذلك، ويحرّم عليه اللطم عندئذ، ولا شكّ أنّ لاطمي صدورهم لا يعتقدون بحصول أيّ ضرر وآيّة ذلك إقدامهم على لطم صدورهم، ثمّ أردف سماحته هذه الآية بآية ثانية

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة البقرة، آية: ١٩٥.

وهي: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]، وقد خفي على الأستاذ أنّ المعصية إنّما تتحقّق بمخالفة أمر الشارع، وارتكاب ما نهى عنه وبأيّ كتاب؟ أم بأيّة سنّة؟ وردَ نهي عن لطم الصدر؛ ليكون فاعله عاصيًا فيستحقّ لذلك أن يخلّد في نار جهنم؟ - نعوذ بالله - فما هذه التمويهات والمغالطات؟!

أمّا النياحة التي ادّعى الأستاذ حرمتها للأخبار الثلاثة التي أوردها - ولا حاجة إلى نقلها- فيكفي في جوازها ما روي في الصحيح عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فإنّه قال: «قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبني عشر سنين أيّام منى»[2] ولتكن هذه الرّواية حاكمة على تلك الأخبار.

ولو أريد في النياحة البكاء فالأمر سهل جدًّا، فإنّ شواهد المقام كثيرة لا تكاد تحصى، فكم بكى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في موارد عديدة بكى عمّه حمزة، وولده إبراهيم، وبكى جعفر ذا الجناحين، وقد صحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حينما رجع من أحد جعلت نساء الأنصار يبكين قتلاهن، ولم تبكِ امرأة منهن حمزة، فعندئذ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «ولكن حمزة لا بواكي له»[3]، ولا يخفى ما في هذه العبارة الوجيزة من الحثّ والبعث على البكاء، وكفى بها وحدها دليلًا على الجواز بل على الرجحان.

لم يكفِ سماحة سالمين أن ادّعى حرمة هذه الأشياء، بل تدرج في الترقّي وزعم أنّها بدعة وضلالة، وكلّ ضلالة في النار، وأورد الحديث الشريف: كلّ بدعة ضلالة، وكلّ

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة النساء، آية: ١٤.

(٢) رنّة الأسى ص٣٤.

(٣) المجالس الفاخرة ص ٥ وفيها من الشواهد على جواز البكاء ورجحانه ما هو مقنع للمانع أو المشكك، فمن أراد تحقيق المسألة فليرجع إليها من الصفحة الأوّلى إلى الصفحة الخامسة.

ضلالة في النار، يختلف المراد من البدعة تارة يراد بها التي لم يرد بها نصّ من نبيّ أو إمام، وهذه ليست على إطلاقها محرّمة، بل تكون محرّمة، لو ورد نصّ بحرمتها، فشرب التتن و(الشاي) لم يرد بحليتهما نصّ، ولم يرد نصّ بتحريمهما أيضًا فهما مباحان، كما هو مقرّر في أصول الفقه أنّ الأصل الأوّلي الإباحة لكن بعد الفحص، وعند فقدان الدليل على التّحريم، وثانية يراد بها: التي تكون قولًا ثانيًا قبالة قول النبيّ أو الإمام، وهذه هي الضلالة التي هي في النار.

والمآتم لو سلمنا أنّه يطلق عليها بدعة، فتكون من القسم الأوّل طبعًا، حيث لم يرد نصّ بتحريمها ومع ذلك أقامتها الشيعة، هذا مع غض النظر عن العمومات التي تدلّ على رجحانها، على أنّ النياحة والبكاء وما شاكل ذلك على الإمام الحسين عليه السلام الشّهيد مستثناة(على مثل الحسين فليبك الباكون ولتشق الجيوب)[٤].

والأستاذ لم يأتنا بحديث من طرق الشيعة، وكان الأجدر به أن يأتي بأحاديث قد روتها الشيعة؛ لتكون حجّة عليهم، كما تفعل الشيعة عندما تناقش غيرها فإنّها تدلي بحججها من طرقهم.

إلى هنا نكتفي بالنظر في المقال، وبقي ملاحظات تركناها طلبًا للاختصار.

لم أقصد بكلمتي هذه إلّا الذود عن الحقيقة، وعسى أن يكون فيها مقنع للأستاذ، وأن لا تكون قد أحدثت في نفسه شيئًا، فإنّي أقدّر شخصيّة الأستاذ، وأكبر جهوداته تجاه الدين الإسلاميّ. وبالختام أحييّ الأستاذ تحيّة إخلاص ومودة.

---

(٤) [مركز تراث كربلاء] وهذا الكلام في الاصل للامام الرضا عليه السلام، في سياق حديثه عن شهر المحرم الحرام. ينظر: الشيخ الصدوق، الامالي، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ)، ص١٩٠.

المواقف السامية في كربلاء[1]

إنّ فاجعة كربلاء غرّة لامعة في جبين البطولة والتضحية، ولا يستطيع الدهر أن يمحو تلك الصحائف اللامعة في تاريخ الشمم العربيّ والإباء الهاشميّ، وأن يجرّ ذيل النسيان على تلك المواقف السامية الخالدة.

فأبطال كربلاء خالدون مقدّسون، ما بقي في المعاطس[2] شمم[3]، وفي النفوس عزّة، وما أبى الناس الضيم، ونفروا من الذلّ.

وأبطال كربلاء مثلٌ أعلى للثائرين على الظلم والاستعباد ما ثار الناس على الظلم والاستعباد. وما أريد في هذه السطور القليلة أن استعرض تفاصيل ذاك الحادث التاريخيّ المفجع، بل أريد في هذه الكلمة الموجزة أن أشير إلى بعض المواقف السامية التي وقفها أولئك الأبطال المذاويد، فرفعتهم إلى سدّة التخليد، وليرى القارئ أيّ إباء وحميّة كانا يحتدمان في تلك النفوس العظيمة.

وعلى من يريد تفصيلًا أن يرجع إلى ما كتبه العلّامة الأوحد السيّد هبة الدين الشهرستانيّ في كتابه(نهضة الحسين) الذي جاء وافيًا بالمرام، ومحللًا أحسن تحليل لتلك

---

(١) حسن الأمين، المواقف السامية في كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الثّاني والعشرون، الجزء الثاني، حزيران ١٩٣١م، ص٢٠٢- ٢٠٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] المعاطس جمع معطس وهي الانف. ينظر: الشيخ الصدوق، معاني الاخبار، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٧٩ هـ)، ص٣٥٧.

(٣) [مركز تراث كربلاء] شَمَمُ الَأنْفِ: اِرْتِفَاعُ قَصَبَةِ الَأنْفِ وَحُسْنُهَا، والمراد بها هنا الارتفاع عزة وشموخاً . ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٦١.

النفس الكبيرة التي قادت أولئك الأبطال إلى تلك الدرجات العالية من السمو والعظمة.

يقول لنا المؤرخون إنّ الحسين عليه السلام، بعد أن وطّد العزم على الاستقتال والاستماتة دون ثلم الشرف، وإذلال النفس، وبعد أن قرّر أن يذهب فريسة السيوف دفاعًا عن المبدأ السامي، والهدف العالي، وبعد أن أبى أن يستسلم لإعدائه، وأن يلين لهم قناته.. إنّه بعد أن عزم على كلّ ذلك جمع أصحابه وجنوده وأهل بيته عليهم السلام ليلة العاشر من المحرّم، وهي الليلة التي عرف أنّ أعداءه مناجزوه في صباحها، فوقف فيهم خطيبًا قائلا[1]:

«...**إنّني لا أعلم أصحابًا أوفى، ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرًا...ألا وإنّي لأظن يومًا لنا من هؤلاء، إلّا وأنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعًا في حلّ ليس عليكم من ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم فإنّهم لا يريدون غيري...**».

حقًا إنّه لإنصاف مدهش فالحسين عليه السلام عرف أنّه مستشهد لا محالة، وكيف لا يعرف ذلك، والقوم يقولون له إمّا أن تستسلم أو تقتل!

ودون استسلام الحسين خرط القتاد!

إذن فلا مناص من لقيا السيوف والأسنّة، ولا مناص من ورود حوض الشهادة، ولكن إذا كان الحسين يحمل بين جنبيه روحًا شريفة حرّة تنبو به عن مواطن الهوان، وتدفعه إلى الموت دون عزّة نفسه، فلماذا يضحي بمن التفّوا حوله، ولعلّ فيهم من يكره

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: عزيز الله العطاردي، مسند الامام السجاد عليه السلام، (د.ك: دار عطارد، ١٣٧٩هـ).، ج١، ص٢٦٦.

أن يلقى غدًا ما سيلقى(الحسين)، فهو مقيم معه على غير رضى، إذن فليس من الإنصاف في شيء أن لا يحلّ من يودّ مفارقته، وأن لا ينبّه أنصاره ويحذّرهم ما سيلاقيه.

فبماذا أجاب أولئك الأحرار الكرام سيّدهم؛ وبماذا ردّوا على تلك الخطبة البليغة؟ لقد قال أخوته، وأبناؤه، وبنو أخيه، وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟

لا أرانا الله ذلك أبدًا !، بدأ بهذا القول أخوه العبّاس عليه السلام. العبّاس تلك النفس المشتعلة حمية ونخوة، والملتهبة حماسة وبطولة!

وليس كالعبّاس مقدامًا مقحامًا ذوّادًا عن الشرف. واتّبع العباس الجماعة فتكلّموا بمثله ونحوه، ولكن الحسين عاد فنظر إلى بني عقيل وقد فجعوا بسيّدهم مسلم، ورأى أنّه يكفيهم ذلك الشّهيد البار فقال لهم: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم!.

فلمس هذا القول أوتار قلوبهم فهزّها، وأثار كامنها وهيّج نخوتها؛ فأجابوه: فما يقول الناس لنا، وما نقول لهم؟!. إنّا تركنا سيّدنا وشيخنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن برمح، ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا!

لا والله ما نفعل؛ ولكنّنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل دونك حتى نرد موردك فقبّح الله العيش بعدك!

وثار ثائر الصحب الكرام؛ ولم يشاؤوا أن يكونوا أقلّ من أهل بيته حمية ونصرة له، فقام خطيبهم مسلم بن عوسجة الأسدي[1] يقول:

(١) [مركز تراث كربلاء] من أصحاب رسول الإسلام محمد، ومن أصحاب الامامين علي بن أبي

«أنحن نخلي عنك، وقد أحاط بك هذا العدو، وبم نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟ لا والله لا يراني الله أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولم أفارقك أو أموت معك...!».

ثمّ تتابع بقية الصحب والأنصار ينسجون على هذا المنوال، ويؤيّدون هذا القول! حقًّا إنّها لأجوبة بليغة تقنع الحسين عليه السلام بالسكوت عن لحاقهم به، ومتابعتهم طريقته، وحقًّا إنّه لأشرف موقف يقفه جنود من سيّدهم وقائدهم.

وحقًّا إنّه لخير درس ألقوه على أمتهم العربيّة في الثبات على المبادئ الحقّة، والعقائد القويمة، وإذا كان هؤلاء أبوا ترك سيّدهم، وأبوا إلّا القتل بين يديه، وهم قد اجتمعوا حوله لنصرته، وساروا معه لتنفيذ خطّته، فهناك ما هو أدهش من هذا! وهناك ما يوقف المرء خاشعًا أمام تلك النفوس التي استهواها الحقّ، فترامت حوله غير حاسبة للهول والشدّة والموت حسابًا.

ذلك أنّه كان بين أمراء الجيش الموفد لقتال الإمام الحسين عليه السلام أمير يقال له: الحرّ بن يزيد[1]، وهذا الأمير كان أوّل من لقي الإمام الحسين عليه السلام بجيشه قبل أن تلقاه بقيّة

طالب وولده الامام الحسين عليهما السلام، شارك في العديد من الحروب منها فتح أذربيجان، قُتل في معركة كربلاء سنة ٦١ هـ. وكان من الذين بايعوا رسول الحسين مسلم بن عقيل في الكوفة. للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٦٩.

(١) [مركز تراث كربلاء] أحد زعماء أهل الكوفة وساداتها، قد أرسله عبيد الله بن زياد ليساير الحسينعليه السلام، ويراقب حركته، وقد ندم في اللحظات الأخيرة في يوم عاشوراء؛ فالتحق بالحسينعليه السلام، واستشهد معه بكربلاء سنة ٦١ هـ؛ ومن هنا نال منزلة خاصة . للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الاخبار الطوال، (القاهرة: دار احياء الكتاب العربي، ١٩٦٠)، ص٢٤٩.

الجيوش، وقد كان موفدًا للتضييق على الإمام الحسين عليه السلام، وسدّ المنافذ في وجهه حتى يرد الكوفة على ابن زياد مستسلمًا، فلمّا تجمّعت الجيوش في كربلاء، ورأى(الحرّ) عزم القوم على قتال الحسين أو يستسلم، ورأى امتناع الحسين عن الاستسلام، وعلم أنّه مقتول لا محالة، عزّ ذلك عليه، وعظم في عينه، وهاله أن يرى مثال الإباء والشمم والفضيلة في مثل تلك القلّة من الأنصار، فلما اصطفت الجيوش وتهيأت للاشتباك وقف من الناس موقفًا ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس فقال له يا قرّة: هل سقيت فرسك اليوم؟... قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرّة: ظننت أنّه يريد أن ينتحي فلا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه، فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه.

فأخذ الحرّ يدنو من الإمام الحسين عليه السلام قليلًا قليلا، فقال له المهاجر بن أوس: «ما تريد يا بن يزيد؟. أتريد أن تحمل»؟.... فلم يجبه، وأخذه مثل الأفكل: وهي الرعدة فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب والله، ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا الموقف، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك؟..! ثمّ ضرب الحرّ فرسه قاصدًا إلى الحسين ويده على رأسه، فلما وصل إلى الإمام الحسين عليه السلام قال: أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، وأنّي قد جئتك تائبًا ممّا كان مني إلى ربّي، مواسيًا لك بنفسي حتى أموت بين يديك!

ثمّ كان الحرّ هذا أوّل من قتل من جند الإمام الحسين عليه السلام؛ فلما قتل، وقف الحسين وجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: أنت الحرّ كما سمّتك أمّك.

أجل، إنّه لحرّ باسل هو هذا الذي يتخلى عن إمارة الجيش، ويترك الآلاف لينضم إلى

فئة قليلة لأنّها تمثّل الفضيلة الخالصة.

وإنّها لنفس حرّة أبية تلك التي تدفع بصاحبها إلى هذا الموقف السامي.

وإذا كان(الحرّ) أميرًا وقائدًا، فهو ذو نفس كبيرة فلا يستكثر عليه أن يندفع إلى مواقف الشرف والشمم لو كان فيها هلاكه، فما قولك بعبد أسود لم يعتد أن يرتقي مراقي العزّ، بل عاش عيش العبيد، وناهيك بعيش العبيد، وما فيه من الحطّة والصغار وتعود الذّل، ولما جاء يوم كربلاء تجلّت فيه الأنفة بأجلى مظهر ذاك هو(جون)[1] مولى أبي ذر الغفاري الصحابيّ الشّهير، فإنّه لما رأى احتدام المعركة، وتساقط القتلى، ثارت نخوته، وتقدّم للبراز.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: أنت في أذن منّي، فإنّما تبعتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا.

فالإمام الحسين عليه السلام رأى من الظلم أن يصيب هذا العبد سوءًا بسببه، وهو إنّما يتبعنه لجر مغنم، فأذن له بل أمره بالانصراف عنه، والتنحّي عن القتال.

ولكنّ ذلك العبد أثبت أنّ نفسه ليست بالموالي نفسه، وأنّ روحه ليست بروح العبيد، بل هو أيضًا ذو شمم وحمية، فإنّه أجاب الإمام الحسين عليه السلام: يابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم!

لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو جَون بن حُوَي، مولى أبي ذر الغفاري ومن شهداء كربلاء. منعه الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عن القتال، ولكنه قال للإمام: والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، وهو من الشهداء الذين وقف عليهم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ودعا له بالخير. للتفاصيل ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ٩٩.

ولعمري إنّ هذا منتهى الوفاء وغاية الإخلاص، وهذي هي المواساة والموقف الأشدّ تأثيرًا على النفس، والأعظم وقعًا على القلب هو: موقف البطل(مسلم بن عوسجة الأسدي) ساعة مصرعه، فقد كان هو وحبيب بن مظاهر، وزهير بن القين عيون أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وكبار رجاله، وأعظم المندفعين في الذود عنه، لذلك كانت مصارعهم تقع عليه وقعًا عظيمًا وتهدّه هدًّا، فلما صرع مسلم بن عوسجة وبقي به رمق مشى إليه الإمام الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر. فقال له حبيب: لولا أنّي في الأثر من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمّك، فقال له مسلم: فإنّي أوصيك بهذا؛ وأشار إلى الحسين، فقاتل دونه حتى تموت، فقال له حبيب، لأنعمنك عينًا!

فمسلم بن عوسجة الذي هوى لوجهه يصارع المنيّة، ويدافع الموت، والذي شقّت السيوف رأسه، ومزّقت النبال صدره، وقطّعت الأسنّة قلبه، وأصبح بينه وبين أن يلفظ النفس الأخير هنيهة لم ينسَ الإمام الحسين عليه السلام.

وإنّ سكرات الموت، وحشرجات الروح، وألم الجراح، وعذاب النزع، وأوجاع الطعن لم تنسِ(مسلمًا) أن يوصي بالإمام الحسين عليه السلام.

وإنّ ذلك المصرع الذي يشغل الإنسان إلّا عن نفسه، ويبعده عن التفكير إلّا بما هو صائر إليه لم يشغل(ابن عوسجة) عن التفكير بأمر الحسين!...فراح يقول لحبيب: أوصيك بهذا.

وقد حفظ حبيب الوصيّة، وأنعمه كما وعده عينًا، فمضى في أثره، وسار في الطريق التي سار عليها مسلم.

جادوا بأنفسهم عن نفس سيّدهم وقد رأوا لبثهم من بعده عارا

هذه نبذة صغيرة عن بعض مواقف صحب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، أمّا موقف الحسين نفسه فدونه كلّ موقف، وحسبه أن أصبح قدوة لأباة الضيم، ومثالًا لذوي الشمم والأنفة، وهذا مصعب بن الزبير[1] حين أصبح بين أمرين: إمّا الفرار أو القتل سنح له موقف الحسين في كربلاء فقال:

وإنّ الألى بالطف من آل هاشم تأسّوا فسنّوا للكرام التأسيا

وخاض غمرة الحرب ساعة حتى هوى عن جواده قتيلًا.

ولقد وقف الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يخوض المعركة بتلك الفئة من الأبطال في أعدائه يخطبهم ويقول من كلام: «ألا أنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وقد أعذرت وأنذرت. إلّا وإنّي زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلان الناصر».

ثمّ وصل كلامه بأبيات فروة بن مسيك المراديّ فقال[2]:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو مصعب بن الزبير ابن العوام الأسدي، ابن الصحابي الزبير بن العوام، وأمه هي الرباب بنت أنيف الكلبية، كان أميرًا على العراق في خلافة أخيه عبد الله بن الزبير، وقُتِل في معركه أمام جيش عبد الملك بن مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يرافقه في الجيش، عند دير الجاثليق في جمادى الآخرة ٧٢ هـ وأمر الحجاج بقطع رأسه وبعث به إلى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة. للتفاصيل ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج٣، ص٣٧٣.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ينظر تلك الابيات في . ابن نما الحلي، مثير الاحزان، (الجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠)، ص٤٠.

فـــإن نَهـــزِم فـــهـــزامـــون قـــدمًـــا وإن نُهـــزَم فـــغَـــير مُـــهـــزمـــيـــنـــا
ومـــا إن طـــبـــنـــا جـــبـــن ولـــكـــن مـــنـــايـــانـــا ودولـــــة آخـــريـــنـــا
إذا مـــا المـــوت رفـــع عـــن أنـــاس بـــكـــلـــكـــلـــه أنـــــاخ بـــآخـــريـــنـــا
فـــأفـــنـــى ذلـــكـــم سروات قـــومـــي كـــمـــا أفـــنـــى الـــقـــرون الأوّلـــيـــنـــا
فـــقـــل لـــلـــشـــامـــتـــين بـــنـــا أفـــيـــقـــوا سيـــلـــقـــى الـــشـــامـــتـــون كـــمـــا لقينا

هذا هو سحر البيان، وهذي البلاغة المتناهية، ولقد رسم في هذه الكلمات الموجزة الخطّة التي سيسير عليها، بل قد شرح موقفه أتمّ شرح، وأظهر السبب الذي يدفعه إلى هذه المجازفة الخطرة، فهو يقف بين موقفين، بين السلّة أي بين أن تسلّ السيوف فيذهب فريستها، وبين الذلّة؛ وهيهات منه الذلّة.

أجل هيهات منه الذلّة، وبين جنبيه ذاك القلب الكبير، وفي يمناه ذاك الصارم البتّار وتحته ذاك الجواد الكرّار، هيهات منه الذلّة وطريق الاستشهاد مفتوح لا يردّ عليه أحدًا.

فما هو إذن بالمستسلم للأدعياء، ولا هو بخاضع للمتهتكين، ولا بنازل على حكم المبطلين فإمّا أن يعيش عيشة كلّها فخار، أو يموت ميتة كلّها فخار، فأمّا وقد تعذّر عيش الفخار، وعلى أرائك الملك والسيادة أمثال ابن معاوية، وابن زياد، فإلى موت الفخار بين ثوران النقع، واشتباك الصوارم.

فإنّه لعظيم على الأباة الكرام أن يعيشوا في ظلّ الأنذال اللئام، هذا موقفه قبيل المعركة، وقبل أن يصاب أحد من رجاله بسوء، أمّا بعد المعركة، وبعد أن قتل أنصاره وأهل بيته، ولم يبقَ لديه جندي واحد يذبّ عنه، وأصبح فريدًا بين تلك الجموع الهائلة؛ فإنّه خرج إلى أعدائه وهو يردّد: القتل أولى من ركوب العار.

ثمّ حمل عليهم يضربهم بسيفه، ويجادلهم برمحه، ويدافعهم عن نفسه وهو يقول:

أنـــا الحـــسـين بـــن عـلي آلـيـــت أن لا أنـثـنـي

حقًّا إنّه لهزيج حرب مؤثر هذا الهزيج، وأنشودة ثورة مشجية هذه الأنشودة! وحقًّا إنّه لموقف بطولة خارقة هذا للوقف، فالرجل يبصر بعينيه أخوته وأبناءه وأهله وأصحابه ممدّدين قد فلقت هاماتهم، وشوهّت وجوههم، وشقّت صدورهم، ويبصر الآلاف تحيط به من كلّ ناحية تودّ تمزيق قلبه، ثمّ هو لا ينثني ولا يضعف ولا يوهن كلّ ذلك من عزمه، ولا يحوله عن عقيدته، بل يقوم إليهم بقدم ثابتة، فيردي العشرات منهم، وتفرّ جموعهم من بين يديه.

قال بعض من رووا حادثة كربلاء، ولقد أبدع فيما قال: «...فو الله ما رأيت مكثورًا أي مغلوبًا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشًا، ولا أمضى جنانًا، ولا أجرأ مقدمًا منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، وإن كانت الرجّالة لتشدّ عليه، فيشدّ عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وعن شماله، ولقد كان يحمل عليهم فيفرّون من بين يديه، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله. وهو مع ذلك قد نهكه الظمأ فيطلب ماء فلا يجد إليه سبيلًا، وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتى أجلّوه عنه»!.

(١)يـــا بـن الـذيـن تـوارثـوا العلـ يـــا قـبـيـلا عـــن قـبـيـل
والـــســـابـقـين بـمـجـدهـم في كـــلّ جـيـل كـــلّ جـيـل
إن تمـــس مـنـكـسر الـلـو ا ملـقـى عـلى وجـه الـرمـول

(١) [مركز تراث كربلاء] وهذه الابيات للشاعر الحاج هاشم الكعبي ينظر: جواد شبر، ادب الطف، (بيروت: مؤسسة الاعلى للطباعة، ١٩٦٩م)، ج٦، ص٢١٦.

فلقد قتلت مهذّبًا من كلّ عيب في القتيل
جم المناقب لم تكن تعطي العدى كف الذليل
يهدى لك الذكر الجمـ ـيل على الزمان المستطيل

كلمات في شهادة الحسين وذكراها[1]

١- ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقًا فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برمًا.

٢- ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام.(الحسين بن علي عليه السلام)

٣- يا بن زياد أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة.(علي بن الحسين عليه السلام)

٤- ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطريّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم، ويحيي نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلًا، من الظالم وإن كان محقًا، ولا سيّما إذا مرّت عليه السنون والأعوام، وهؤلاء مصنفو أوربا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه، وقتله مع أنّهم لا يعتقدون بهم يدعون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزين، وهذه الأمور الطبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة.الدكتور(جوزيف الفرنسي)

إنّ عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة

(١) ماربين الألماني، كلمات في شهادة الحسين وذكراها، مجلّة العرفان، المجلّد الخامس والعشرون، الجزء الثاني، آيار ١٩٣٤م، ص١١٣.

إقامة الشيعة لعزاء الإمام الحسين عليه السلام إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام. فإذا لم نرَ في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الإمام الحسين عليه السلام من الحسيّات السياسيّة والثورات المذهبيّة بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر في رقي شيعة علي عليه السلام الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقي فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث المجموع إذا قيسوا بغيرهم.

يوم عاشوراء يوم التضحية والإباء[1]

يوم عاشوراء أي العاشر من المحرّم، هو اليوم الذي قتل فيه الإمام الشّهيد الحسين بن علي عليهما السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع خيرة أصحابه وأهل بيته مفضّلًا الاستشهاد على الذلّ والاستعباد، آبيًا أن يمدّ يد البيعة ليزيد بن معاوية بفسقه وتهتكه.

وقد امتلأت صفحات الكتب والتاريخ في تفصيل هذه الوقعة المشؤومة، وألّف بها كتب عدة على حدة بحثتها من الجهات جميعها، وآخرها «كتاب الحسين» للأستاذ البحّاثة جلال الحسينيّ المصري[2] ورواية الحسين(نظماً) للأديب الشاعر السيّد محمّد رضا شرف الدين العامليّ[3]، ونحن نلمّ هنا بناحية من تلك النواحي وهي ناحية التضحية والإباء.

ولد الإمام الحسين عليه السلام في السنة الرابعة للهجرة النبويّة، وقتل سنة ٦١هـ فيكون عمره الشريف ٥٧سنة، وأبوه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة

(١) يوم عاشوراء يوم التضحية والإباء، مجلّة العرفان، المجلّد الخامس والعشرون، الجزء الثاني، آيار ١٩٣٤م، ص١١٤- ١١٥.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو اديب وقاضي مصري، لم تعرف سنة ولادته، توفي بالقاهرة عام ١٩٣٢م، له مؤلفات عديدة منها كتاب" الحسين" بجزئين و" حديث النفس" و" المرأة في زمن الفراعنة" و"العرب قبل الاسلام" وغيرها. ينظر. خير الدين الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٣) [مركز تراث كربلاء] هو شاعر وأديب، والده المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين. ولد في جبل عامل عام ١٩٠٩م، وعاش جلّ حياته في العراق وعمل في الصحافة والتدريس الجامعي، وتبوّأ مناصب في الملحقيات الثقافية والصحفية لبعض الدول العربية، توفي عام ١٩٧٠م. للتفاصيل ينظر: حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٣م)، ج١، ص٢١١.

النبيّ المصطفى ﷺ وفضله وفضل أبيه وأمّه وأخيه أعرف من أن يعرف.

وإذا استطال الشيء فقد قام بنفسه وصفات نور الشمس تذهب باطلا[1]

ولا غرو فهو فرع شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

نشأ الإمام الحسين عليه السلام في حجر أمّه وأبيه وجدّه، وتأدّب بآداب عالية لا يتسنّى لغيره أن يتأدّب بها، وورث عزّة النفس كابرًا عن كابر وإن لم يكن بين جنبيه سوى نفس أبيه لكفى.

كان عبد المطلب وعبد شمس وهاشم ونوفل أبناء قصي، ولكنّ هاشمًا وعبد المطلب كانا في جهة، وعبد شمس ونوفل في جهة ثانية، بيد أنّ العداوة المتأصلة كانت بين هاشم وعبد شمس، وفي ذلك قال قائلهم:

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا أعيذكما بالله أن تحدثا حربا[2]

وأميّة بن عبد شمس، فالعداوة إذن قديمة بين الهاشميين والأمويين، وزادت استفحالًا بما جرى بين علي ومعاوية من فتن وحروب، وإذا صحّت قصّة أرينب بنت إسحاق ولا نخالها إلّا صحيحة، فقد زادت العداوة استحكامًا؛ وخلاصتها أنّه كان لعبد الله بن سلام امرأة جميلة جدًّا تدعى أرينب هام يزيد بحبها، ولما علم أبوه ذلك طلب زوجها من المدينة إلى دمشق، ولما قدم عليه دسَّ له من مبتغاه بابنة معاوية واشترطت عليه شروطًا منها: طلاقه لامرأته فطلّقها، ولما انقضت عدّتها، أبدت له عللًا عليلة؛ فعلم أنّه خدع، وأرسل

(١) وهذا البيت للمتنبي كجزء من قصيدة في مدح امير المؤمنين عليه السلام . ينظر: محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، (قم: دار الحديث، ١٤٢٥هـ)، ص١٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] وهو جزء من مجموعة ابيات لأبو طالب عليه السلام. ينظر: علي الكوراني، درر النحو، (د.ك، د.م، ٢٠١٠م)، ص١٤٩.

معاوية أبا الدرداء يخطب أرينبَ ليزيد، فبدأ بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وسأله عن سبب قدومه فأنبأه، فقال له: اذكرني عندها فاختارت الحسين، وعاد عبد الله إلى المدينة فاستأذن الحسين بمقابلة أرينب، وطلب أمواله المودعة عندها، فأذن له وسلّمته أمواله، وتشاكيا وتعاتبا وفاضت دموعهما، ولما رآها الحسين على تلك الحالة طلّقها، وعقد لزوجها الأوّل عليها، فهذا الحادث أحفظ يزيد وأوغر صدره على الحسين فضلًا عن البغضاء القديمة بين الأسرتين.

ولما مات معاوية أرسل يزيد إلى عامله على المدينة يطلب أن يبايعه أهلها، ويخصّص الحسين وعبد الله بن الزبير فأبيا البيعة في حديث ليس هنا موضع سرده.

وخرج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة، ولما علم بذلك شيعة الكوفة أرسلوا إليه نحو اثني عشر ألف كتاب يبايعونه بالخلافة، ويدعونه للقدوم عليهم، وحانت لهم فرص كثيرة للفتك بعمال بني أميّة، فلم يفعلوا، وأبت الأقدار إلى أن تحصل هذه الفاجعة الفظيعة في الإسلام.

وكان ما كان ممّا لست أذكره فظن شرًّا ولا تسأل عن الخبر[1]

أقبل الإمام الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته ونساؤه وخيرة أصحابه؛ لأنّ أهل الأطماع تفرّقوا عنه، ودعا هؤلاء للانصراف فأبوا كلّ الإباء، وفضّلوا الموت معه على الحياة من دونه، وأقدموا على الموت فرحين مستبشرين؛ لأنّهم يعلمون أنّهم قتلوا مظلومين. وهكذا انتهت هذه المأساة، وهي مليئة بالعبر والعظات، وأقدم الإمام الشّهيد على الموت ولسان حاله ينشد:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] البيت في الاصل جزء من قصيدة (سقَى المَطيَرةَ ذاتَ الظّلّ والشَجَرِ) للشاعر العباسي ابن المعتز.

إن كـــان ديـــن محـمـد لم يستقم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني[1]

سنَّ الإمام الحسين عليه السلام لمن بعده سنّة التضحية والإباء، وعلّم الناس الثورة على الظلم والجور، وقبح الاستخذاء لدعاة الطغيان، وحاملي لواء الدعارة والفسق، وإنكار سلطة المتآمرين على الناس بقوّة العنف، والباطل لا يعامل الحقّ والإنصاف. وكان من جرّاء ذلك تنبّه الناس لما هم فيه من غفلة عن نصرة الحقّ، فقام فريق منهم يأخذون بثأر الإمام الحسين عليه السلام فقتلوا جلّ قتلته والمعتدين عليه، وانتشر التشيّع لأهل البيت عليهم السلام تحت ستار الخلفاء وازداد كره الناس للأمويين.

وأصبح ذكر أهل البيت عليهم السلام ملء المسامع والأفواه والمقل، ومقاماتهم المعظّمة تزار من كلّ حدب وصوب، وعلى العكس من ذلك أعداؤهم، ومن الحسن جدًّا ما يفعله الشيعة المعتدلون في إحياء هذه الذكرى التي تبعث عزّة النفس، والثورة على حكم الظالمين.

فـلـو رســـول الله يحـيـى بـعـدهـم قـعـد الـيـوم عـلـيـهـم لـلـعـزاء

والسّلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل، ورحمته وبركاته.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] وهذا البيت للشاعر الكربلائي محسن ابو الحب، حيث نظمة على لسان حال الامام الحسين عليه السلام. ينظر: محسن ابو الحب، ديوان الشيخ محسن ابو الحب، تحقيق: جليل كريم ابو الحب، (بيروت: بيت العلم للنابهين، ٢٠٠٣).

سياسة الحسين عليه السلام[1]

تقيم في بيروت جمعية الإصلاح في ناديها المدعو (نادي الحسين بن علي) ذكرى ومأتمًا للإمام الشّهيد في العشرة الأوّلى من المحرّم (وكذلك تفعل الجمعيّة الخيريّة العامليّة)، وقد استدعت هذه السنة معزيًّا مثقفًا الشّيخ محمّد نجيب زهر الدين من بنت جبيل، وهو خطيب ماهر، ومحاضر بارع، حافظ حسن الاختيار، ودعت جماعة من الفضلاء لإلقاء الخطب في هذا الموضوع، فألقى أوّلًا في إحدى الليالي فتى الجبل قصيدة عصماء، وارتجل في ليلة ثانية صاحب العرفان خطابًا أحاط به إحاطة مختصرة في تاريخ الأمّة العربيّة، والدعوة الإسلاميّة وما لاقى الرسول وآله وأصحابه من الألاقي في هذا السبيل، وبيّن ما للهجرة من فوائد، وألمّ بما قام به الإمام علي بن أبي طالب وولده الإمام الحسن عليهما السلام، ثمّ انتقل لشهادة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وما بها من عزّة نفس، وثورة على الظلم، وتمرّد على الباطل، وحثّ العامليين على القيام جميعًا لإصلاح شؤونهم؛ لأنّ القائمين بأمورهم قصّروا عن ذلك...

وألقى في ليلة ثالثة الأستاذ العلّامة صاحب التوقيع هذه المحاضرة النفيسة راجين أن يتابع كتابته للعرفان، غير معتذر بالقاموس ولا بحرب البسوس[2].

---

(١) أحمد رضا عضو المجمع العلمي العربي، سياسة الحسين عليه السلام، مجلّة العرفان، المجلّد الثامن والعشرون، الجزء الثاني، نيسان ١٩٣٨م، ص ١٣٠-١٣٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل الجساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة التغلبي ثأرا لخالته البسوس بنت منقذ وهي من قبيلة بني تميم بعد أن قتل كليب ناقة كانت لجارها

الحسين قبل نهضته:

استشرى حبّ الدنيا ونعيمها، وغلبت لذة الأمر والنهي على الأشراف والخاصّة، وانقسم الناس بانقسام السادة والكبراء منذ تأمر المترفون وأمروا، وأفلتوا من كثير من تعاليم الهداية النبويّة، ولكنّ الأمّة لم تكن خالية من عامل بالحقّ، جاد في طريق الصدق، عامر قلبه بالهداية، مستمسك بطريقة الرشاد والراشدين في جمع كلمة المسلمين، وكان عام الجماعة، وتمّ الصلح بين الإمام الحسن بن علي عليهما السلام الذي ختمت به الخلافة ومعاوية بن أبي سفيان الذي بدأ به الملك العضوض[1]، وما أقدم الحسن على ما أقدم إلاّ حرصًا على وحدة القوّة؛ ليتمّ الله للمسلمين وعده، ومع أنّ معاوية لم يفِ بشرط من شروط الصلح لم يستحل الحسن نقض ما تمّ من جهته من العقد، والإمام الحسن عليه السلام إمام حقّ فعقده لازم على الأمّة إلى مدّته، وبه تقيّد الإمام الحسين عليه السلام مادام معاوية حيًّا فلم يجب دعوة أهل العراق لما مات الحسن إلى خلع معاوية، بل أجابهم بأنّ بينه وبين معاوية عقدًا لا يجوز له نقضه حتى تنقضي مدّته، وكيف ينقضه وهو الإمام الزعيم بإحياء تعاليم جدّه، وفي أوّلها الوفاء بالعقد والعهد، والله يقول: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ﴾(٢) **ويقول:** ﴿ **فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[3].

على أنّ النقض سيكون وسيلة للتشنيع على ناقضيه، وذريعة للحط من كرامتهم بين

سعد بن شمس الجرمي، ويذكر المكثرون من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاما . للتفاصيل ينظر: محمد بن اسحق، حرب البسوس، (د.م: د.ط، ١٩٢٨م).

(١) [مركز تراث كربلاء] الملك العضوض: هو الملك المتعسف الظالم . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٥١.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] سورة التوبة، آية: ٤.

الناس، ووساطة لتفريق كلمة الناس وخداعهم ولو بإلباسه غير لباسه، فلما مات معاوية برئت ذمّة الإمام الحسين عليه السلام من العهد فقام يجهر بالحقّ.

نهضة الحسين:

يرى الأبيّ الحرّ صاحب المبدأ الراسخ الذي غلب حبّه أمّته على حبّه لنفسه أنّ ما يدعو إليه من الصلاح، وتقويم الأود والعمل بالحقّ، كلّ ذلك في خطر الاندراس بين الناس، ويرى العاملين بالمنكر جادّين في سبيلهم، وأنّ سكوت الآمرين بالمعروف عمّا أمروا به رهبة أو طمعًا سيؤدّي إلى موت الحقّ، ونمو البدعة السيئة، وفساد الأخلاق، وما ماتت إلّا بموت أخلاقها، وبخنوعها عن محاربة الذلّ والضيم والاستبداد.

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[1]

والاستبداد مغنٍ للشعوب هادم للعمران، يرى ذلك فيأبى له أباؤه الإقرار على مثله، فينهض ويثور غير مبال في هذا السبيل تقتيلًا أو تشريدًا، وإنّما الموت في سبيل الحقّ ونصرته حياة دائمة لا تعدّ عندها حياة الجسم الفاني شيئًا مذكورًا ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[2] على هذا مضى الشّهداء والصدّيقون، ويمثّل مفاداة هذا الرهط من الأباة عزّة الأمم، ورد جماح الظلم والاستبداد، وعلى هذا الطريق مشت الأمم إلى استغلالها، ولله در أبي الطيب المتنبي القائل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

رأى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ربيب الوحي وريحانة الهادي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متمم

(١) وهو بيت لشاعر النيل حافظ ابراهيم. ينظر: حافظ ابراهيم، ديوان حافظ ابراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧)، ص٦٧.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

مكارم الأخلاق، والمرسل لتطهير العالم من أدران الفساد، رأى سنّة جدّه، وتعاليمه العالية تمشي إلى الاضمحلال تدريجيًّا بما جهر به ذوو السلطان من هتك لحرماتها، وخلاف لها علانيّة في سبيل تأييد سلطانهم، وشفاء لأحقادهم الموروثة من جاهليتهم، وإحياء لعصبياتهم التي حاربها مصلح الأمّة ﷺ، ورأى أنّ أحكام الشرع تغيّر وتبدّل، ولا من يجهر بالأمر بالمعروف، وأنّ أساس الشورى قد تهدّم بتسليم أمر الأمّة على غير اختيار منها قوّة وقهرًا لمن لا ترضاه مع معالنته بالفجور، والتهتك واستباحة الحرام، وجهره بالإلحاد فلا خبر جاء ولا وحي نزل يهتف بأشياخه الذين قتلوا ببدر، وقد أعزّ الله بقتلهم الإسلام، فلا ينكر عليه منكر، ولا يزعه وازع، يرى الإمام الحسين عليه السلام ذلك كلّه فلا يرى الحياة مع الظالمين إلّا برمًا، وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحوله عن نصرة الحقّ قتل أو تقطيع أو تشريد، سبط الهادي والزعيم بإحياء سنّته، وكان ذوو السلطان يومئذ يعرفون هذا منه فكان أخوف ما يتخوفونه على سلطانهم، فأرادوه على البيعة ليزيد فأبى عليهم، وقبلها أراده معاوية على بيعة ابنه فلم يفز بطائل، وفي هذه البيعة ما فيها من إقرارهم على غوايتهم، والإملاء لهم فيزدادون إثمًا، ويكون أثمهم سنّة متبعة على تطاول الأمد إذ لم يقم في وجهها قائم، كما اتخذت سنّتهم في سبّ أبيه على المنابر دينًا عند أهل الشام عامّة حتى صعب على العبد الصالح عمر بن عبد العزيز نزعها إلّا بعد جهد. أبى الإمام الحسين عليه السلام عليهم ذلك، ورأى أمره بين السلّة والذلّة، ويأبى له الله وحجور طابت وطهرت أن يختار الذلّة.

فآثر أن يسعى إلى جمرة الوغى برجل ولا يعطي المقادة عن يد[1]

(١) [مركز تراث كربلاء] وهذا البيت جزء من قصيدة السيد حيدر الحلي بعنوان جزاء احمد صلى الله عليه واله وسلم.ينظر: السيد حيدر الحلي، ديوان السيد حيدر الحلي، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١١)، ص١٠٠.

وخرج من المدينة إلى مكّة معلنًا خطّته في وصيته التي كتبها لأخيه محمّد إذ يقول فيها: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله ﷺ أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي رسول الله وأبي علي... إلخ».

وأقام في مكّة يتدبّر الأمر نحوًا من خمسة أشهر جاءته أثناءها الوفود من الكوفة والكتب يستقدمونه إليهم، وهو يتأنى ولا يجيبهم شكًّا في وفائهم له بعد أن مات السلطان القاهر قلوبهم، ولعبت الأهواء بهم فتشتتوا واستذلوا، ولكن لم يأته من غير الكوفة ما أتاه منها، أرسل مسلمًا ابن عمه يستطلع له الخبر عنهم، وأوصاه أن يكتب إليه برأيه إذا رأى منهم اجتماعًا على ما كتبوا به إليه ورأى الخروج، فكتب إليه مسلم بعد أن رأى تزاحمهم على البيعة للإمام الحسين عليه السلام يشير عليه بالقدوم، وكانت السلطة الظالمة قد أخذت على الإمام الحسين عليه السلام بالأسداد، وصرّح يزيد من ذؤبانه ثلاثين شيطانًا لاغتياله حتى في الحرم الأقدس، وولّى على الموسم عمرو بن سعيد بن العاص في جيش عظيم، فإذا بقي في الحرم والحال هذه هتكت بقتله حرمته.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام يأبى له إباؤه ونفسه العالية، وحرصه على تعاليم جدّه من أن يخضع لهم، ويعطيهم بيعته على أنّه لو فعل لما أبقوا عليه كما فعلوا بأخيه الإمام الحسن عليه السلام، ويرى أنّ ظفرهم به، وارتكابهم في قتله، أعظم الفظائع التي تنفر منها النفوس. سيمدّ لهم في غوايتهم وغرورهم فيندفعون في أعمالهم المنكرة التي تغيض من عصبيتهم، وتهدم بنيان سلطتهم ولو بعد حين، وأنّ مفاداته هذه في سبيل مبدئه الشريف، ستكون قدوة لأباة الضيم، وأعداء الظلم والاستبداد، وسنّة تحيا بها روح الإباء والثورة على الجور.

الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنّه مقتول غيلة إن بقي في مكّة ومقتول حربًا إذا جاء الكوفة،

ولكن القتل تحت ظلال الأسنّة حيث يحمى أوار الحرب، وتستمر لظاها ويبلغ الجهد في حرب الظالمين منتهاه خير من القتل غيلة، وهو أعلق بما يريده الحسين من تأسيس سنّة الإباء في الأمّة، والجرأة في الثورة على الاستبداد.

ولم يتوجه تلقاء الكوفة واثقًا بنصرتهم له، بل قدم على القتل والشهادة ليكون المقتدى، والمتبع في الثورة على الظلم، وليبث هذه الروح العالية في الأمّة بعد أن قتلها عسف الأمويين، وطول العهد باستبدادهم، ولذلك يقول لما عزم على الخروج من مكّة: «كأنّي بأوصالي يقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشًا جوفًا، وأجربةً سغبًا».

أقدم على قتل جسمه لتسعد روحه العالية بإحياء هداية جده وسلامتها من عبث العابثين، فخرج يوم التروية ثامن ذي الحجّة قبل أن يقضي حجّه؛ لأنّه خاف القتل على حال لا يرضاها ولا تفي بالغرض.

حال الكوفة زمن خروج الحسين:

عمل الأمويون وأشياعهم على قتل روح الشجاعة والإقدام في نفوس أهل الكوفة، وقد كانوا جند الإمام علي عليه السلام في صفّين، وعرفوا بمشايعتهم عليًا وأبناءه، فقرّبوا الضعيفي الإيمان منهم، وأهل الشقاق، ورجال الفتنة بالأعطيات الوفيرة، والنعم السابغة، ولا عجب، فإنّ بأيديهم مال الأمّة، وفي المسلمين يتصرّفون به ما شاءت لهم أهواؤهم بلا رقيب ولا محاسب، وبثّوا فيهم روح التحاسد والتنابذ فتقطعت الأرحام بينهم، وانماثت قلوبهم التنازع، وفشلوا وذهبت ريحهم، وتراخى أهل الدين والصلاح في عقر ديارهم مخلّدين إلى الذلّة رهبة من سيف الظالم الفاتك الذي قتل الأخيار، واستبقى الأشرار، وأصبح الأمر بيد من لا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمّة.

هذا عمرو بن الحجاج يخذل ابن عمه وسيّد العشيرة هانئ بن عروة حتى قتل، وسحب برجله في الأسواق، وتخاذلت عنه مذحج فلا مذحج له اليوم وأين منه مذحج.

أخذت الرهبة والقوّة والبطش على الكوفيين مشاعرهم، وأذهبت نخوتهم وشجاعتهم منذ انحرف زعماؤهم وغووا بغواية ابن زياد، هؤلاء قادة الكوفة وأشرافها يبايعون مسلم بن عقيل وحوله ثمانية عشر ألفًا منهم، وهذا ابن زياد في قصر الإمارة، وليس معه سوى ثلاثين شرطيًّا وغير عشرين من أهل بيته وأشراف الكوفة، وهؤلاء بعض الأشراف الذين غلبهم الخوف من بطش ابن زياد يتسللون خفية إلى القصر من باب الروميين، ويجرؤ بعضهم وهو كثير بن شهاب فيقف على الشرفة يهدّد إخوانه بالأمس أنصار مسلم، ورجال الكوفة بحرمان ذريّتهم العطاء، وتفريق مقاتلتهم في مغازي الشام وأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والأخذ على الظنّة والتهمة، يهدّدهم ابن زياد بحرمانهم العطاء والمال ربّهم ومعبودهم، وبتفريق مقاتلتهم في مغازي الشام، والحرب ليست باقية من شأنهم لحرصهم على الحياة، وما أحبّ أحد الحياة إلا ذلّ فينفضّون من حول مسلم ويتفرّقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف فالناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غدًا يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف. وهكذا كان خوف الحرب يفعل بنفوسهم وهم أهل الكوفة الجند.

وهكذا أثّرت الرهبة وموت الشجاعة من القلوب فيهم حتى في قلوب المعروفين بالصلاح منهم، بقتل مسلم وهانئ ويجرّان بأرجلهما في أسواق الكوفة، ولا يقوم من عرف بالنجدة والصلاح والشرف لإنكار ذلك بعد أن بايعوا مسلمًا على الموت كسليمان

بن صرد الخزاعي[1] والمسيب بن نجبة[2] والحرّ الرياحي، بل ما هو أعظم من ذلك يضيّق الحرّ على الحسين وهو على رأس ألف فارس كوفي، ويمنعه من السير في طريقه فلا يدخل الكوفة ولا يصل إلى المدينة وفاقًا لأمر ابن زياد حتى ينزل كربلاء، ويتألب عليه جند الكوفة بعد أن استصرخوه والهين وسلّوا عليه سيفًا كان له في أيمانهم، وحشوا عليه نارًا اقتدحها على عدوهم فكانوا بموت قلوبهم إلبًا لإعدائهم على أوليائهم من غير عدل أفشوه فيهم ولا أمل أصبح لهم فيهم، بل جبنًا عن طلب الحقّ واستخذاء للظلم وذلّة في النفس.

الخاتمة:

على مثل هذه الحال، وبمثل هذه الأسباب، وفي مثل هذا العصر رغب الإمام الحسين عليه السلام في الشهادة، وسالت نفسه على شفرات السيوف ولهاذم الأسنّة، وأسرع إلى لقاء جدّه وأبيه وأمّه وأخيه، وتنبّهت بعد موت يزيد، وبعد تعاظم الفتن على الأمويين

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو سليمان بن صَرُد بن جون الخُزاعي، صحابي من سادات العرب ووجهاء الشيعة الموالين لأمير المؤمنين وولديه عليهم السلام، شارك في بعض المعارك التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام إبّان خلافته، وقاد ثورة التوابين المطالبين بثأر الإمام الحسينعليه السلام عام ٦٥ هـ في منطقة عين الوردة. للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ج ٢، ص ٣٥١.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمخ بن فرارة الفزارى تابعي، وقيل أدرك النبي، كان رأس قومه، شهد معركة القادسية وفتوح العراق، وكان مع علي بن أبي طالب في مشاهده، وسكن الكوفة، وكان من قادة ثورة التوابين على الدولة الأموية، بعد مقتل الامام الحسين علية السلام، فسير إليهم الخليفة الأموي مروان بن الحكم جيشًا بقيادة عبيد الله بن زياد فقُتِل في معركة عين الوردة. للتفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣٢.

نفوس أهل الإيمان الذين جبنوا عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام فخرجوا على الظالمين يقتلون أنفسهم في جهادهم ليتوب الله عليهم، وقبل ذلك قدّم الحرّ نفسه ليقتل تائبًا شهيدًا بين يدي سيّده الذي كان أوّل من جعجع به.

ثمّ جرت مظالم الأمويين عليهم الوبال فأصبحوا مثلًا للظلم والطغيان مادام الزمن وأدال الله منهم فانقلبت دولتهم، وأخذوا وقتلوا تقتيلًا، وما ربّك بغافل عمّا يعملون.

حول مصرع الحسين[1]

بينما كنت أطالع العدد(١٤٦) من مجلّة «الرسالة» المصريّة الصادر في ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦م وقعت على مقال للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني[2]، تحت عنوان(مصرع الحسين)، فحملني هذا العنوان التاريخيّ الأليم إلى مطالعة المقال بشوق وانتباه خاصّين، وذلك لأمرين: الأوّل إعجابي بأدب الكاتب وأسلوبه الإنشائيّ، ثانيًا: رغبتي بالوقوف على حقيقة الحوادث التاريخيّة.

ولكن يالخيبة الرجاء فإنّي لم أنهِ المقال حتى تغيّر رأيي في الكاتب كلّ التغيير، فهو إمّا جاهل بوقائع التاريخ، وهذا ما لا يصحّ وقوعه بأديب كالمازني، أو مغرض متحامل يريد أن يطمس وجه الصواب على وفق هواه ومراميه، وهذا ما أكبره على أديب كالمازني...

اسمع ما يقوله الأديب عن الإمام الحسين عليه السلام بعد مقدّمة طويلة: «....لا أدري كيف يستطيع المرء أن يفسر إقدامه(أي الحسين) على طلب الخلافة، وسعيه لانتزاعها من بني أميّة، فقد عرض نفسه على كثير من القبائل فما وجد منها إلّا إعراضًا وانصرافًا، أو على

---

(١) إبراهيم جمال الدين، ملاحظات حول مقال بعنوان مصرع الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد التاسع والعشرون، الجزء الأوّل، آذار ١٩٣٩م. ص٨١-٨٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو شاعر وناقد وصحفي وكاتب روائي مصري من شعراء العصر الحديث، ولد في القاهرة عام ١٨٨٩م، يعد احد كبار الكتاب في عصره كما عرف بأسلوبه الساخر سواء في الكتابة الأدبية أو الشعر، كانت قافته مزيج بين التراث العربي والأدب الإنجليزي، توفي المازني في مدينة القاهرة عام ١٩٤٩م. للتفاصيل ينظر: عبد اللطيف عبد الحليم، المازني شاعرا، (القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٩٨٥).

الأقلّ فتورًا شديدًا عن نصرته، من حقّه أن يثبط وليس من شأنه أن يشجّع. ولا يمكن أن يقال إنّه كان يرجو فلاحًا، فما كان في زحفه إلّا النساء وإلّا عشرات لا تغني...» يقول ذاك وهو عالم باضطراب قوله، واثق من بعده عن الحقيقة بعد المشرقين، ولكنّه الهوى –قاتله الله– يعمي الأبصار والبصائر فيرى الشمس شمعة ضئيلة النور، واليراعة قمرًا ساطعًا!...

ما كان الإمام الحسين عليه السلام ليطلب الخلافة لما فيها من مجد وجاه، ولا أراد الحرب لأجلها، وهل يعقل أن يتقدم إلى حرب مع دولة ذات بأس وصولة، وليس لديه إلّا حفنة من النساء والأطفال... إنّما أرغم على النزول عند رغبة المسلمين عامّة لما كتبوا إليه يبايعونه بالخلافة، ويلحون عليه بالسعي لتحقيقها، ولما أدرك أنّ يزيد بن معاوية غير صالح لها، وإنّه إن طال سلطانه تشتت أمور الإسلام وتضعضعت أركانه، وعلى الرغم من كلّ ذلك فإنّه لم يحرّك ساكنًا حتى بلغت الرسائل الواردة إليه من الكوفة وبقيّة الأمصار ملء خرج دابة. وفيها يبايعونه ويعدونه بالنصرة والتأييد ومحاربة العدو، وقبل سفره أرسل قبله إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام ليدرس له الحالة، ويبحث الأمور، ويوافيه بالخبر اليقين، وقد أجمع ثقاة المؤرخين على صحّة ما قدّمناه، فمن أين أتانا الأستاذ المازني بأنّ الحسين طالب بالخلافة قصد إثارة الفتنة بين المسلمين وإنّه لم يناصره أحد، وأنّ كلّ الناس نصحوه بالابتعاد عن المطالبة بها، وأنّه كان يعلم أنّ بني أميّة سيمثّلون به، وبأهل بيته أفظع تمثيل حتّى ذهب الأديب إلى أنّ الحسين قال: «أنسف الدولة الأمويّة من قواعدها، وأكون أنا اللغم الذي ينفجر تحتها فيزلزلها ويدكّ بنيانها...».

على رسلك أيها الأديب! لنترك الحقائق التاريخيّة ولنعد إلى شيء من العقل والمنطق. ماهي الحكمة التي لعلّ الحسين ذهب إليها من تعريضه نفسه، وأفراد آل البيت جميعهم

إلى أفظع أنواع القتل في سبيل هدم أركان دولة بني أميّة؟ أيّ إنسان أظلّته السماء، وأقلّته الغبراء يستطيع موافقتك على هذه النظريّة، لا بل هذا الاعتقاد الذي تدافع عنه وتنافح في سبيله؟ وأيّ مطمع، أم أيّة غاية تبقى للإمام الحسين عليه السلام بعد أن يرى نساءه وأولاده وإخوانه وأبناء عمّه وأهل البيت جميعهم تقطع أوصالهم، وتحزّ رؤوسهم، وبعد أن يلحق بهم مقطّعًا بحدّ السيوف؟...

نعم، أيّة غاية بل أيّ رجاء يبقى له في هذا العالم سواء أعاشت دولة بني أميّة، أم انهار صرحها، وقامت على أنقاضه دولة الفراعنة؟؟؟... ولكن لا، فإنّ الأديب تفضّل وكفانا مؤنة إثبات صحّة عقل الحسين إذ قال –ولعلّه يشك بصحّة ما يقول: «ولم يكن الحسين مجنونًا ولا طَيَّاشًا، ولا عرف عنه ما يحمل على سوء الظنّ بعقله ونظره...» بلى أيها الأديب، لو صحّ زعمك من أنّ الحسين كان يعرف ما سيحيق به وبأهله، ثمّ عرض نفسه وآل بيته من نساء وأطفال؛ إلى الهلاك المحقّق –قصدًا– لصحّ أن ننعته بما نفيت عنه؟...

ثمّ عندما قلت: «... لهذا أصرّ على المغامرة وهو على يقين من نهايتها، وأعرض عن العواقب التي كان يعرفها معرفتها، ولم يكترث بخذلان من دعاهم إلى نصرته، بل اغتبط بذلك وحمل أهل بيته معه ليحيق بهن كلّ مكروه من الأذى والهوان...» ألا سمعت صوتًا يجلجل في أذنك غاضبًا من افترائك على ذمّة التاريخ؟ ألا سمعت صوت الحسين إذ يقول لأولئك المخلصين الذين بايعوه ثمّ خذلوه في ساعة الشدّة: «أما وقد تركتم معونتنا ونقضتم بيعتكم، فإنّي مغادركم لأنّه لا يصحّ لمثلي أن يحملكم على بيعته حملًا، ويدعوكم إلى تأييده بالقوّة»، فمن يسمع هذا القول ويسمح لنفسه بالظنّ في أنّ الإمام كان يحبّ إثارة الفتن بين المسلمين أو أنّه كان يتوقع أنّ بني أميّة سيجعلون منه ومن أهله الأطهار المجزرة البشريّة الهائلة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلًا؟ ثمّ تزيد قائلًا: «وكان

هو يعول في سياسته هذه على إحراج بني أميّة وإكراههم على البطش به، ويعتمد على ما تدفعهم إليه لجاجته في استفزازه لهم، فتطيش حلومهم... ألا يعذر من يذهب إلى أنّ استصحابه لآل بيته إلى المذبحة إنّما كان مقصودًا به أن يحفّ المصرع الذي مضى إليه عامدًا بكلّ عوامل الاستفزاز وعناصر الإيلام المثير»؟ هل ذهب الحسين لمحاربة بني أميّة؟ كلا! بل ذهب نزولًا عند الحاح أولئك الذين أرسلوا له ألوف التحارير يبايعونه فيها ظنًا منه أنّهم سيكونون -كما أقسموا له- على أتمّ استعداد لملاقاته والترحيب به وبآل بيته. ولم يذهب بهن وبنفسه إلى المجزرة التي تزعم أنّه حمل بني أميّة -بعناده واستفزازه لهم- على القيام بها. وما هو هذا الاستفزاز، وعناصر الإيلام المثير التي تلوح بها طالما يقول الحسين للملأ عند التقاء الوجوه: «أما وقد تركتم معونتنا ونقضتم بيعتكم.... فإنّي مغادركم» رجل هذا كلامه فهل يقصد حربًا أم هل يريد أن يجعل من نفسه وآل بيته(لغمًا ينسف به دولة بني أميّة)، أم هل يعقل أن يقول: وأرغم بني أميّة على أن يقتلوني أقبح القتل، وأن يمثّلوا وينكلوا بي وبأهلي أشنع التمثيل والتنكيل، فيستفظع المسلمون منهم ذاك، وتضطرم نفوسهم بالموجدة والنقمة عليهم، وينقلب العالم الإسلاميّ بركانًا يظلّ يفور ويغلي في جوفه الحقد والبغض... وأنّ الأمر لراجع إلينا لا محالة إذا أنا جعلت من نفسي ومن أهلي ضحايا لبني أميّة....

رجل من أطهر رجال أهل البيت عليهم السلام، لم يقل عنه مؤرخ صادق أنّه تعاطى الدسّ والخيانة طيلة حياته، أم أنّه كان مجنونًا، ولم يكن في عصره من هو أحقّ بالخلافة منه فلم يطالب بها ولم يحارب لأجلها... بل إنّ شدّة ظلم معاوية، ونيله من تقاليد الإسلام، وسنن خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتوصيته بالخلافة لابنه يزيد المعروف بالسكر والكفر والإلحاد والظلم والطغيان والفجور كلّ ذلك ممّا ملأ قلوب العرب موجدة على يزيد،

وحمل أشراف القبائل في العراق وغيرها من الأمصار إلى الالتجاء إلى الخليفة الحقّ ووارث صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذت رسائلهم تنهال عليه كالمطر حتى لم يعد لديه وقت يكفيه لإعطاء أجوبة عليها، وكلّها رجاء واستعطاف وتظلّم ومواثيق وعهود، فتحرّك قلبه ونوى تلبية ندائهم، فأرسل قبله ابن عمّه(مسلم) ليلاقيه بالخبر اليقين على الطريق، ثمّ سار على أثره مع نسائه وأهله. فقبض على رسوله(مسلم) وقتل. ثمّ أحيط بالإمام الحسين عليه السلام ومن معه من كلّ جانب فنادى بهم: (دعونا نعد من حيث جئنا فما أتينا لحربكم)... رجل هذا شأنه وهذه أعماله، هل جاء لحمل أولئك الفاسقين بني أميّة إلى التمثيل به والتنكيل بعشيرته، أم أنّهم قد ضرب الله على قلوبهم فتحجّرت وتجرّدت من كلّ العواطف البشريّة، وعلى أبصارهم فعميت عن كلّ الحقائق، وعلى سمعهم فصمّوا عن صوت الحقّ والضمير والشرف، فقاموا بتلك المذبحة الأليمة، حتى استحقّوا بذلك سخط الديان ولعنة الأجيال!!

النهضة الحسينيّة[1]

بقلم العلّامة المصلح السيّد هبة الدين الحسينيّ في كتابه(نهضة الحسين)

وقد نشرنا هذه الشذرة بمناسبة تذكار عاشوراء الأليم وتدليلًا على أنّ كتاب(نهضة الحسين) أحسن وأنفع كتاب ألّف في هذا الموضوع.

النهضة قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامّة كالحركة التي قام بها الإمام الحسين[2] بن علي عليهما السلام. وحقيقة النهضة سيّالة في الأشخاص والأمم وفي الأزمنة والأمكنة، ولكن بتبدل أشكال واختلاف غايات ومظاهر. وما تاريخ البشر سوى نهضات أفراد بجماعات وحركات أقوام لغايات. فوقتًا الخليل ونمرود، وحينًا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأبوسفيان[3] ويومًا علي ومعاوية. ولم تزل ولن تزال في الأمم نهضات لأئمة

---

(١) النهضة الحسينيّة، مجلّة العرفان، المجلّد الثلاثون، الجزء الأوّل والثاني، آذار سنة ١٩٤٠م، ص٩٣-٩٤.

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من زوجته الكبرى خديجة أم المؤمنين عليها السلام، هو أحد السبطين الريحانتين، وخامس أهل الكساء، ولد في المدينة عام الخندق في السنة الرابعة للهجرة في خامس شعبان الموافق شهر كانون لسنة ٦٢٦م، وعاش مع جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ستّ سنوات وشهورًا، وبقي بعد أخيه الحسن أعوامًا وأشهرًا، وكان مجموع عمره ستة وخمسين عامًا، وكانت شهادته بعد الظهر من يوم الجمعة عاشر محرم الحرام سنة ٦١هـ الموافق سنة ٦٨٠م بحائر الطف من كربلاء في العراق، واشترك في قتله شمر بن ذي الجوشن وسنان بن أنس وخولي بن يزيد من قوّاد جيش عمر بن سعد الذي أرسله والي الكوفة عبيد الله بن زياد بأمر من أمير الشام يزيد بن معاوية ليحصروا الحسين ورجاله ويقتلوهم عطاشى، فقتلوه ورجاله ونهبوا رحاله، وسبوا عياله، مسفرين إلى الكوفة، ثمّ إلى الشام فالمدينة. وأنّ اشتهار فضائل الحسين والآثار المرويّة فيه ومنه وعنه في كتب الحديث والتاريخ ليغني عن التوسّع في ترجمته الشريفة.

(٣) هو صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس. كان في الجاهلية بيّاع الزيت والأدم. ذميم الخلقة،

هدى تجاه أئمة جور، ونهضة الإمام الحسين عليه السلام من بين النهضات قد استحقت من النفوس إعجابًا أكثر لا لمجرّد ما فيها من مظاهر الفضائل وإقدام معارضيه على الرذائل، بل لأنّ الإمام الحسين عليه السلام في إنكاره على يزيد[1] كان يمثّل شعور شعب حيّ[2]، ويجهر بما تضمره أمّة مكتوفة اليد، مكمومة الفم، مرهقة بتأثير أمراء ظالمين، فقام الإمام الحسين عليه السلام مقامهم في إثبات مرامهم، وفدى بكلّ غالٍ ورخيص لديه، باذلًا في سبيل تحقيق أمنيته وأمّته من الجهود ما لا يطيقه غيره، فكانت نهضته المظهر الأتمّ للحقّ، حينما كان عمل معارضيه المظهر الأتمّ للقوّة فقط من غير ما حقّ أو شبه حق.

ومن كبار قريش حتى قامت به قيامة قريش على الهاشميين قبيل الهجرة فترأس في المحالفة القرشيّة، وأخذ على عاتقه مناوأة الإسلام، ومقاتلة المسلمين. وله في عام الهجرة نحو سبع وخمسين سنة. ولم تقصر عنه أخته أم جميل العوراء في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسعيها بالنميمة والفساد بين بني هاشم والقبائل، إذ كانت تحت أبي لهب والمقصودة من آية(وامرأته حمّالة الحطب) الخ. ولم يبرح يثير الأقوام، ويشكل الأحزاب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما في بدر الكبرى وبدر الصغرى، وفي أحد والأحزاب وفي وقائعه الأخرى. ولم يهدأ ساعة عن معاداة النبيّ في السرّ والعلانيّة وبإثارة النفوس والجيوش ضدّه. ويجاهد المسلمين جهده إلى يوم فتح مكّة، حيث أسلم مع بقيّة قريش.

(١) يزيد بن معاوية أمّه ميسون الكلابيّة، ولد سنة خمس وعشرين فسمّاه أبوه باسم أخيه، وكان بدينًا مجدرًا، رفيع الصوت على أنفه قرحة شديدة السمرة، ولعًا بلعب النرد والصيد بالفهد، شغوفًا بمعاقرة الخمور والفجور بأنواعها، متجاهرًا بالفسق حتى في سفر الحج، وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخذ معاوية له بيعة الخلافة في حياته، ثمّ استقرت له بعد وفاته في رجب سنة ٦٠هـ، ومات بذات الرئة في منتصف ربيع الأوّل سنة أربع وستين عن ثلاثة عشر ولدًا أكبرهم معاوية بن يزيد.

(٢) إنّ مشاهير الفضلاء يومئذ في الأمّة الإسلاميّة كسيّدنا الحسين عليه السلام وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر أنكروا على معاوية استخلافه ليزيد الخمور والفجور، وقد توجس يزيد من مخالفة هؤلاء الوجوه الخيفة أن يكون الرأي العام في جانبهم، واهتم في اضطهاد هؤلاء وإرغامهم، فثبت أنّ الإمام الحسين عليه السلام يومئذ كان يمثّل في قيامه على يزيد رأي الجمهور وشعور الشعب الحيّ.

عاشوراء[1]

اعتاد الشيعيون إقامة حفلات العزاء في العاشر من المحرم تذكارًا للمأساة الفظيعة التي جرت في كربلاء، وقد استشهد فيها الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، هو وأهل بيته وأصحابه بذاك الشكل المحزن، لكنّهم كانوا مثلًا أعلى لإباء الضيم وللشجاعة والصبر والجلد والمواساة، والثورة على الظلم، والتمرّد على أمراء الجور، وقد بدأ بعض إخواننا السنّة يحضرون هذه المجالس، فيرون فيها شتى الفوائد، وجلّ الحضور من طبقة العامّة؛ لأنّ أغلب الخاصّة لا يحضرون إلّا نادرًا الجمع والجماعات فضلًا عن مثل هذه الذكريات.

وكانت جمعيّة الإصلاح في بيروت هذه السنة مجلية في هذا المضمار، إذ كان يغصّ نادي الإمام الحسين بن علي عليهما السلام بالمستمعين على رحبه، وكان كلّ ليلة يخطب بعض مشهوري الخطباء، فيزيد الاحتفال رونقًا، ويتجلّى الوئام والوحدة بين الطائفتين بأجلى مظاهرهما.

(١) عاشوراء، مجلّة العرفان، المجلّد الثلاثون، الجزء الأوّل والثاني، آذار ١٩٤٠م، ص١٥٦.

قصص العرب[1]

مُثلٌ عليا للأخلاق والأدب

الحسين بن عليّ عليهما السلام

كان استشهاد الإمام الشّهيد الحسين بن علي عليهما السلام مثلًا أعلى لمن جاء بعده من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من العرب الأقحاح، فقد أقدم على القتل هو وأهل بيته وأنصاره الذين بلغوا زهاء ٧٢ رجلًا، وأنكى من ذلك سبي عياله وأطفاله وحملهم إلى الشام، وكيف يتحمّل الضيم سليل عدنان وهاشم ومحمّد وعلي وهو القائل[2]: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام».

وفي ذلك يقول السيّد المرتضى[3]:

لهم جسوم على الرمضاء مهملة وأنفس في جوار الله يقربها
كأنّ قاصدها بالضرّ نافعها وإنّ قاتلها بالسيف محييها

---

(١) قصص العرب مثل عليا للأخلاق والأدب، مجلّة العرفان، المجلّد الثلاثون، الجزء الثامن والتاسع والعاشر، تشرين الثاني وكانون الأوّل ١٩٤٠م وكانون الثاني ١٩٤١م، ص٣٦٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص وتكملة خطبة الامام الحسين عليه السلام في . الطبرسي، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، (النجف: مطبعة العمان، ١٩٦٦م)، ج٢، ص٢٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] ينظر: ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٨٣.

الحسين ضحيّة المبدأ[1]

أيها المستمعون الكرام[2]: ممّا لاريب فيه أنّ الإباء أفضل المزايا، وأعلى الصفات وهو سجيّة عالية، وخلق نبيل يتحلّى به صاحبه، فيكسبه عزًّا وسؤددًا ومجدًا، ويحلّق به إلى أوج العلى، ويرقى به إلى معالي الأمور، ولا يتسنّى لكلّ نفس أن تحمل بين جنبيها هذا الخلق السامي، ومن أين للبيئة الخاملة التي لا تقيم للشرف والعز وزنًا، ولا ترى الخنوع والذلّ نقصًا أن تنجب رجالًا أباة للضيم يؤثرون المنيّة على الدنيّة، من أين لها أن تخرج نشأ كريمًا يستطيب طعم الحياة الحرّة، ويعدّ السعادة كلّها في بذل النفس والنفيس في سبيل الوصول إلى الغاية السامية.

والإباء من الصفات العالية التي تمتاز بها الأسر العريقة في مجدها، والتي ترى الحياة في الذّل موتًا، والموت في العز حياة. وأنّ لنا في الأسرة الهاشميّة المحمّديّة خير مثال للشرف والإباء وعزّة النفس والتضحية الخالصة.

آل الرسول ونعم أكفاء العلي آل الرسول
خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الأصول[3]

---

(١) رشيد مرتضى، الحسين ضحيّة المبدأ، مجلّة العرفان، المجلّد الحادي والثلاثون، الجزء الثالث والرابع، آذار ونيسان ١٩٤٢م، ص١٧٠-١٧٣.

(٢) ألقيت في مذياع راديو الشرق(بيروت).

(٣) [مركز تراث كربلاء] هذين البيتين جزء من قصيدة للشاعر الحسيني هاشم الكعبي. ينظر: محسن الامين، المجالس السنيّة في مناقب ومناصب العترة النبويّة، (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٢م)، ج١، ص١٥٣.

أيها المستمعون الكرام: إنّ هذا اليوم يوم عاشوراء يوم تجلّى فيه الإباء بأجلى مظاهره، وبرزت فيه عزّة النفس من خدرها بروز الشمس المشرقة من مطلعها وتمثّل الشمم فيه بشرًا سويًّا. لقد برزت هذه الصفات وتجلّت متمثّلة في شخصية الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كانت للإمام الحسين عليه السلام مواقف تعجز عن وصفها ألسنة الخطباء الفصحاء، وتكلّ عن حصرها أقلام الكتّاب البلغاء، وأنّى لهم بوصف صفات هذا الإمام العظيم؛ لأنّ الواصف للإمام إنّما يصف الهمّة الجوابة، والشجاعة الوثّابة، والبطولة النادرة، والإقدام والجرأة الفذّة، وأنّ المصوّر للإمام إنّما يصوّر العقيدة الراسخة، واليقين الثابت، والإيمان الذي يزلزل الجبال الراسيات.

فإليكم بعض كلماته الخالدة التي كان يخاطب بها خصومه، والتي ما زالت إلى اليوم تلمع لمعان البرق الخاطف، وتدوي دوي الرعد القاصف في فضاء التاريخ الإسلاميّ فتارة يقول[1]: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»، وتارة يقول: «القتل أولى من ركوب العار»، وتارة يقول: «أما والله لا شيء أجيبهم إلى ممّا يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي»، وتارة يقول لأصحابه: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فهذه السهام رسل القوم إليكم»، ولعلّ هذا الموقف من أروع مواقف بطولته، وأقوى مشاهد إقدامه؛ لأنّ هذه الفقرة ترسم بكلّ وضوح نفسية الإمام الحسين عليه السلام غير هيّاب، ولا وجل يدعو أصحابه إلى الموت كأنّما هو يدعوهم لمأدبة لذيذة، ولقد كانت لذيذة عنده حقًّا لأنّه وهو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربّه الذي هو مبدؤه، ويسمع

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر النصوص الكاملة لهذه الخطب المباركة في: ابن شهر اشوب، مقاتل الطالبيين، (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م)، ج٣، ص٢٢٤.

صوت الله الذي هو صوت ضميره.

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبته يوم عاشوراء: «ألا وأنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، ونفوس أبيّة، وأنوف حميّة لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وأنّي زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلان الناصر»، وكأنّي بلسان حاله يقول[1]:

فاقذف بنفسك في المهالك إنّما خوف المنيّة ذلّة وصغار
والموت حيث تقصّفت سمر القنا فوق المطهّم عزّة وفخار

أيها السادة: إذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد قذف نفسه في لهوات الموت فإنّما قذف بها ليحيى حياة خالدة لا ليموت، وليبقى بقاء أبديًّا لا ليفنى؛ لأنّ الشهادة في سبيل الله الحقّ حياة كبرى للشهيد، والحياة هي البقاء، والبقاء إمّا ماديّ أو معنويّ، أمّا البقاء الماديّ فهو: البقاء بالجسم وهذا يفنى باندثار الجسم. وأمّا البقاء المعنويّ فهو: البقاء بالذكر وهذا خالد بخلود الذكر. فلذلك نرى النفوس الأبيّة، والأنوف الحميّة التي تفضّل موت العزّ على حياة الذلّ إذا حلّ بها أو بقومها ضيم أو هوان دفعت في صدر بقاء الجسم، واندفعت في سبيل بقاء الذكر، واختارت فناء ذاتها على فناء ذكرها، وما عيش الذلّ وحياة الهوان إلّا موت فظيع.

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هذين البيتين هما جزء من قصيدة للسيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين عليه السلام بعنوان لا تحذرن فما يقيكَ حِذارُ . ينظر: حيدر الحلي، ديزان السيد حيدر الحلي، ص١١٦.

من الحكم المأثورة: مدافن العظماء قلوب الأجيال. هذا القول المأثور در منثور؛ لأنّ عظماء النفس لا يفنون بفناء أجسامهم، واندثار صورهم، وانحلال عناصرهم، وأنّهم ولا شكّ خالدون في قلوب الأجيال ينتقلون تراثًا معنويًّا عاليًا من جيل إلى جيل، ومن أمّة إلى أمّة، ومن عصر إلى عصر، فنحن ما يعنينا أن يكون الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قد حواه حدث في الغاضريّة من أرض كربلاء بالعراق، ما يعنينا هذا الأمر ما دام الإمام الحسين عليه السلام العظيم، بل البطل الأعظم قد اشتملت عليه قلوبنا، وانطوت عليه جوانحنا وصدورنا ما دام خالدًا في نفوسنا حيًّا بذكراه معنا.

لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن

وطّن الإمام الحسين عليه السلام نفسه على القتل، واقتدى به كلّ من كان معه من آل وأصحاب، فتقدّموه واحدًا بعد واحد، حتى قتلوا عن آخرهم، وبقي وحيدًا فريدًا بين ذلك الجند الكثيف، وقد أحاط به هذا الجيش الجرّار من كلّ جانب ومكان، فاستبشر وتهلّل وجهه، وافترّ ثغره لما طغى الهول، وعبس الخطب، وهاجت وماجت تلك الجموع المتراصة، وازدلفت إليه كأمواج البحر الخضم الهائج المتلاطم، وهو ثابت كالجبل الأشم لا تحرّكه العواصف، ولا تزيله القواصف. ثمّ اقتحم المعركة رابط الجأش، ثابت الجنان، يصول ويجول، ولا تهوله حملات الكتائب، ولا يثنيه إقدام الأبطال، نفسه طوع همة، وجمت دونها الهمم، فأضرم النار فاندلعت ألسنتها، وتطاير شررها، وهي تقذف بالأعاصير والحمم، ومن الحقّ جذوة لفحها حرر الأمم سار في نهج العلى يطرق الخلّد منزلًا فهو رهن بما عزم.

أيها السادة: لقد ادّخرت الحياة دم الإمام الحسين عليه السلام ثمانية وخمسين عامًا، ثمّ أطلقته سيّالًا طهورًا رجّافًا هدّارًا، ليطهر الأرض من أرجاس المذلّة، وليزيل عنها أدناس

الهوان، وليحدث الانقلاب في النفوس، فيسمو بها من حضيض الذلّ والصغار إلى أوج العزّ والفخار.

لقد عرف الإمام الحسين عليه السلام كيف يموت، ولذلك لم يمت بل تضاعفت فيه أسرار الحياة، حيث مدّها بإكسير دمه، وحسن بلائه حتى خلّدت على ممرّ الدهور والأعوام إلى أبد الآبدين.

أيها السادة: إنّ للإمام الحسين عليه السلام مقامات ومراقد متعدّدة مشهورة في مصر والعراق والهند وغيرها، فما من مسلم قاطن في تلك البلاد أو وافد عليها إلّا ويدخل ذلك المقام، مقام الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وما من أحد وفي أيّ وقت يدخل ذلك المقام إلّا ويرى الناس أفواجًا أفواجًا متجمعين فيه يطوفون بذلك القبر يحومون حوله، ما سبب هذا الاجتماع عند هذا المرقد؟ ماذا يفعل هذا الجمع المحتشد عند هذا الضريح؟ هل جاؤوا ليضعوا أكاليل الزهور على قبر الجندي المجهول؟!! كلا ثمّ كلا!! بل جاؤوا ليقفوا واجمين خاشعين إجلالًا وإكبارًا. بل جاؤوا ليذرفوا الدموع عند مرقد هذا البطل المعلوم لا الجندي المجهول. هل جاؤوا ليحيوا تلك الرفاة، وتلك الأوصال من جسد الإمام الحسين عليه السلام؟ كلا ثمّ كلا! بل جاؤوا ليحيوا تلك الروح الطاهرة الزكيّة، ويعظموا تلك النفوس العالية الأبيّة، ويقدّسوا ذلك البطل العظيم الذي أعطى المعالي مهرها من صبيب الدم، وسفوك النجيع.

وأمّا أنت يا أبا عبدالله، أيها الضحيّة الشّهيد، أيها البطل الكمي الرافع لواء الشمم والإباء، لأن استطاع أعداؤك أن يملكوا عليك طريق الحياة الحرّة الشريفة، فلقد أعجزتهم على حولهم وطولهم أن يوصدوا دونك طريق الموت الشريف، طريق الشهادة والسعادة، طريق الحياة الأبديّة الخالدة التي كانت هدفك الوحيد في أدوار حياتك

جميعها، ولئن شاء أعداؤك بقتلك محو اسمك، وإطفاء نور مجدك، فلقد خابوا وخسروا؛ لأنّ روحك الطاهرة لم تكن لتغيب مع جثمانك في تلك الفلاة البلقع فقد ظل صوتك، وهو صوت الحقّ داويًا، وبقي شبحك وهو نور الإيمان مائلًا، ولم تزل أنت أنت ذلك المصباح الوقّاد تهدي البشريّة الضالة، وأنت الخالد في قلوب المسلمين، وأنّ شخصك وعظمتك ما يزالان ماثلين في أذهانهم ما تعاقب الملوان وكرّ الجديدان، ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1].

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

يوم الدم يوم النور[1]

مضى الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء فخلّف بكلّ نفس كريمة من بعده أثرًا لا يمضي، وما يزال باقيًا ما بقي في التاريخ ذكر لذلك اليوم أثرًا، هو مزيج من شعور الحب والوفاء والإعجاب والرحمة والتقديس، كأشرف ما تختلج به ضمائر الأحياء، يبذل الناس حقًّا عليهم مطاعًا محبوبًا لذكرى الشّهيد العزيز.

ومن الشعور تتولّد الحياة.

فكم حياة تخلق من ذلك الشعور لو تمثّل بشرًا سويًا يسعى على هذه الغبراء؟

شيء لا يحصيه حساب.

حياة واحدة يجزيها الناس بعالم من الشعور الكريم لو خلقت منه أعمار حيّة لخلقت منه ألوف الأعمار، وصاحب تلك الحياة الواحدة مع هذا أكرم من الناس أجمعين؛ لأنّه بذل لهم كلّ ما عنده من الحياة، ولم يبذلوا له ممّا عندهم إلّا قليلًا من كثير. ذلك هو المعنى الذي يصبح به الشّهيد وحده أكرم من(الإنسانيّة) جمعاء... حتى تبذل له شعور الإكرام. لأنّه يعطي كلّ شيء. وهي تعطي شيئًا من أشياء.

وللإمام الحسين عليه السلام فضل في الشهادة يرجّح بأفضال.

فمن الشّهداء من يتركون الدنيا؛ لأنّهم لم يصلحوا للبقاء فيها، ومن يخرجون من

(١) عباس محمود العقّاد، يوم الدم يوم النور، مجلّة العرفان، المجلّد الحادي والثلاثون، الجزء الخامس والسادس، نيسان، وآيار ١٩٤٥م، ص٢٨٧.

نعمائها وما دعتهم قط للدخول في تلك النعماء.

أمّا شهيد كربلاء فقد ترك الدنيا وهي في يديه، وتركها وهي مقبلة بنعمائها عليه، وتركها لأنّه أرادها كما ينبغي أن يرضاها، ولم يقبل أن تريده هي على شرطها كما ترتضي فهو الشّهيد ملء الشهادة من نبل وعظمة وإيثار.

وهو الشّهيد الذي ارتفع بالشهادة إلى ذروتها السماويّة فوق مراتب الشّهداء؛ لأنّهم أعطوا حياة قد تعافها نفوس الأحياء، وأعطي هو حياة يعافها مثله، ويتهافت على مثلها إلوف وإلوف.

إنّ الشّهداء من هذه الطبقة العلويّة لشرف لبني الإنسان أجمعين، إذ يسجلون لبني الإنسان أجمعين خليقة آدميّة ينبغي أن يفخر بها كلّ أبناء آدم على اختلاف العقائد والأوطان.

ذلك هو الشرف الذي يردّده في كلّ عام يوم عاشوراء.

جعله السفّاحون يوم الدم.

وجعله الله يوم النور.

ولم يزل منذ عامه الأوّل ينبض بالدم ويسطع بالنور.

فذكر إن نفعت الذكرى[1]

عاشوراء وكربلاء

قصّة سير الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة فالكوفة، وذلك في شعبان، ووصل إلى كربلاء في الثاني من المحرّم- لم تعد خافية على أحد. وقد تفرّق عنه أهل الأهواء والأطماع حين علموا بمقتل أخيه من الرضاع مسلم بن عقيل عليه السلام، ولم يصل معه سوى سبعين رجلًا أو مائة على أكثر تقدير؛ لذلك لما دعاهم أن يتخذوا الليل جملًا، ويتفرّقوا ليلة العاشر من المحرّم أبوا كلّ الإباء؛ لأن هؤلاء صفوة المسلمين في ذاك الوقت.

وفاجعة كربلاء وما سبقها وجاء بعدها من المنكرات والهناة غير الهيّنات مع فظاعتها وفداحة أمرها قد عادت إلى الإمام الحسين عليه السلام الشّهيد السعيد بالذكر الخالد، والمثل الأعلى من البطولة والثورة على الظلم والظالمين، والتمرّد على الحكّام الفاسقين. ولله قول هذا الإمام الأبي المضحّي بنفسه وبماله وبأهل بيته وأصحابه، تلك المقالة الخالدة، كيف لا وهي صادرة عن الإمام الحسين عليه السلام الخالد: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام».

وأحسن ما ألّف في هذه القصّة المفجعة من المؤلفات الحديثة كتاب(أبوالشّهداء)

(١) فذكر إن نفعت الذكرى_ عاشوراء وكربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الثالث والثلاثون، الجزء الأوّل، كانون الثاني ١٩٤٦م، ص١٢.

للأستاذ عباس محمود العقاد. وأنّه ليؤسفنا أن لا تلبّي الحكومة مطالب الشيعة، وتجعل يوم عاشوراء يوم عطلة رسميّة، كما نأسف لعدم إقبال خواص إخواننا السنّة على حضور المجالس التي تقام في صيداء، وهي مجالس وعظ وإرشاد أكثر منها مجالس نوح وبكاء؛ لأن هذا الفن تطوّر تطوّرًا محسوسًا جريًا مع العصر الحاضر.

حول مصرع الإمام[1]

قال لي صاحبي: «أريد منك كلمة عن جدّك أبي الشّهداء ملقية ضوءًا على حياة الناس الحاضرة عساك أن تفيدهم بما ينبغي» فقلت له[2]:

دع للجهاد قواعد الزجاج يا ذا الفتى وصحائف السراج
علماؤنا كثروا وقلّ كماتنا فاليوم حاجتنا إلى الحجاج

وقلت بماذا أذكّر الناس وأفيدهم وهم في كلّ لحظة أمام المفيد الأكبر القرآن الكريم، وهم في كلّ ساعة أمام المذكّر الأعظم نهج البلاغة الحكيم، وهم في كلّ يوم أمام خطيب كاتب وخطيب شاعر وطبيب ناصح فهل استفادوا شيئًا؟

إنّه ليتراءى لي أنّ الناس كانوا أقرب إلى الهدى والصلاح يوم لم يكن بينهم مثل هذا العدد الوافر من الخطباء والحكماء والأدباء والأطباء- كانوا أقرب إلى الحقّ والصواب يوم لم يكن في أيديهم مثل ما فيها الآن من المؤلفات العديدة، والمنشورات الغزيرة تتناثر منها صنوف الفلسفة، وأنواع الثقافة، ومتون الحكمة، ومكارم الأخلاق لتتلقفها الأسماع دون الإفهام وتأخذها الأبصار دون البصائر والأجسام دون النفوس- كانوا أقرب إلى الهدى والصلاح منهم، في هذه الايام التي طاشت فيها الأحلام، وانتهكت فيها الحرمات وانتهكت فيها الستور، وتدهورت مقاييس الأخلاق، وتطوّعت العقول والأفكار

(١) علي بدر الدين، حول مصرع الإمام، مجلّة العرفان، المجلّد الثاني والثلاثون، الجزء الرابع، آذار ١٩٤٦م، ص٣٥٦-٣٥٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هذان البيتان للشاعر ابو الفضل الوليد كجزء من قصيدته المعنونة(دع للجهاد قواعد الزجاج).

لخدمة الشهوات والدنيّات، ورغب الناس عن الحكمة والدين ليتوغلوا في غياهب السياسة ومهامه السخافة، فيلبسون في كلّ يوم من الرياء والنفاق ثوبًا جديدًا، حتّى خيّل إليّ أنّ الإنسانيّة سائرة في طريق الانحلال والانقراض، وأن تكن قد شمخت فيها القصور، وعظمت فيها المدارس والجامعات التي يمرّ فيها على ذكر الإمام وأبيه مرور الكرام، لكن تدرس فيها بتفصيل واهتمام شخصيّات الشنفرى وابن أبي ربيعة وبشار! أقول سائرة في طريق الفساد والانحلال، وإن تعدّدت فيها الاكتشافات والاختراعات، وتنوّعت فيها المبادئ والفلسفات، وابتكرت فيها الوسائل العجيبة، والأساليب الرهيبة للتقتيل والتدمير أو لرفع مستوى النعيم الماديّ، وترفيه الجسد لا غير، وقلت له ما سبق أن قيل:

كثرت معارفكم وما نجّتكم والعلم إن لم ينجِ فهو وبال
ما نجّت الترك الأباة علومهم في الحرب بل نجّتهم الأبطال

فقال: إذن أجمل بها النزاع بين النقيضين: فقلت: ليس عندي أجمل ممّا أجمل[1]:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم حربًا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلي وللحسين يزيد

قال: إذن فصور مصرع الإمام وتأثيره في الجامعة الإسلاميّة، فقلت: ليس عندي خير ممّا قيل[2]:

---

(١) [مركز تراث كربلاء] ابيات لأبي الاسود الدؤلي، فيها عبرة تبين ماهية الصراع بين الحق والباطل . ينظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠)، ج١٢، ص٢٦٦.

(٢) [مركز تراث كربلاء] بيتان من الرثاء لأل البيت عليهم السلام، من نظم الشاعر ابو العلاء المعري. ينظر: ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٣، ص ٢١٣.

وعلى الأفق من دماء الشهيدين عـــلي ونـــجـــلـــه شـــاهـــدان
فـــهـــما في أواخـــــر الـلـيـل فـجـران وفي أوّلـيّـاتـه شـفـقـان

قال: إذن فصف لنا مدى استفادة الأمّة من قضيّة الإمام الحسين وأبيه عليهما السلام، فقلت: هنا شجون الحديث وأليم المصاب! إذ إنّ أمّة لها في تاريخها الروحي مثل شخصيّة الإمام وأبيه كيف ساءت فيها الأخلاق، وكيف لم تنطبع بطابع التضحية والشجاعة والإقدام، وهذه الأمّة الإنجليزيّة ما تزال منذ أربعة قرون تستنير بأدب شكسبير، وتسترشد بفلسفته وتمجّده قولًا وفعلًا، وتقلّده حقيقة وخلقًا لدرجة أصبح عندها الإنجليز يصرّحون على لسان حكومتهم وزعمائهم بأنّهم يؤثرون فقد الهند كلّها من عقد الإمبراطوريّة البريطانيّة على أن لا يكون لهم شكسبير...

وهذه الأمّة الألمانيّة تثير حربين طاحنين تخسرهما كليهما لا لشيء إلّا لتحقيق فلسفة أديبها المجنون(نيتشه) الذي نفخ فيها جنون العظمة، وعاصف الكبرياء، ونظريّة السوبرمان.

وهذا(غاليليو) في التاريخ قد جرّد الإنسان من كرامته.

وهذا(لوثر) قد جرّد الإنسان من شريعته.

وهذا(روسو) قد جرّد الإنسان من نظامه.

وهذا(ماركس) قد جرّد الإنسان من ماله.

وهذا(فرويد) قد أطفأ في الإنسان جذوة حبه.

وهذا(أنشتاين) قد جاء يطفئ في الإنسان نور يقينه.

ومع ذلك فإنّ أمم هؤلاء العلماء الذين لم يفيدوا الإنسانيّة سوى البلبلة والتشويش

والاضطراب والقلق؛ نهضت تمجّدهم وتطبّق نظريّاتهم وتعاليمهم، وتصطبغ بمبادئهم، وتحتفي بذكرهم في كلّ مناسبة وغير مناسبة.

ونحن المسلمين ماذا صنعنا في التاريخ كلّه لنري العالم أنّ لنا منارًا من الهدى لا يطاوله منار، وشمسًا من الحقّ والمعرفة تنمحق عندها كلّ شمس، وناموسًا للأخلاق دونه كلّ ناموس، ومثالًا للكمال الإنسانيّ لا يمكن للعقل البشريّ أن يتمخّض عن أكمل منه في أيّ زمان ومكان؟؟.

إنّنا أورثنا الإمام الحسين عليه السلام غصّة لا تزول، وبعثنا في نفس أبيّة حسرة لا تنفد منه منذ أن خاطبنا في العراق: «يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها وما أكثركم في الساحات وما أقلّكم تحت الرايات! لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء. إنّكم عميّ ذوو أبصار، صمّ ذوو أسماع، بكمٌ ذوو كلام. تعصوني وأطيع الله، وأهل الشام يطيعون صاحبهم ويعصي الله!!!»[1].

إنّنا اكتفينا بالبكاء والنحيب، وبلطم الجباه والصدور، وبإطلاق اسم الإمام علي عليه السلام على شارع أو زقاق أو على نادٍ أو فوج من أفواج الكشاف، ولم نعلم أنّ الإمام لا يرضى ولن يرضى بحبّ سطحي عرضي، ولا يريدنا إلّا متخلقين بأخلاقه فنحبّ ما أحبّ، ونكره ما كره، ونحارب من حارب، ونستهدف ما استهدف، ونعمل مثلما عمل، ونسير حيثما سار.

أين عين الإمام علي عليه السلام الذي قال للمغيرة حين نصحه بإبقاء معاوية في الشام: «والله لا أداهن في ديني ولا أعطى الدنيّة في أمري»، والذي قال لزياد بن حنظلة التميمي حين

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الامام علي، نهج البلاغة، (قم: دار الذخائر، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١٨٩.

استشهد له بقول زهير: «ومن لم يصانع في أمور كثيرة الخ...» فيجيبه عليه السلام[1]:

متى تجمع القلب الذكي وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم

أقول: أين عينه وعين نجله الإمام الحسين عليه السلام ترى اليوم ما أصاب الأمّة من الكوارث والفوادح بسبب المصانعة والمداهنة وطراوة الخلق ورخاوة العود؟؟.

أين عينه وقد أطفأ الشمعة ضنًّا بأموال المسلمين، وحرصًا على حقوق المؤمنين؟ أين عينه، وقد قال لزائريه يوم وفدوا عليه لتهنئته بالخلافة فوجدوه يرقع خفّه: «إنّ هذا النعل هو خير عندي من خلافتكم هذه إن لم أقم فيها حقًّا وأزهق باطلًا».

أقول: أين عينه وعين نجله الحسين ترى اليوم التهافت والإسفاف والتبذير والإسراف والتسابق والتناحر على مناصب لا يستطاع منها إحقاق أيّ حقّ، وإزهاق أيّ باطل؟ ثمّ ترى كيف تشتّت الأمّة، وتفرّقت وتذابحت وتدافعت على قشور المادّة، وزوائف الحياة، وكيف تتنازع وتتطاحن على ممالأة من أكلوا حقّها وداسوا كرامتها.

أين عين أبي الشّهداء عليه السلام ترى كيف ما يزال النزاع بين الأريحيّة والنفعيّة، حامي الوطيس وراء كلّ جدار في الشرق، وتحت كلّ كوكب فيه، وكيف تتلى فاجعة كربلاء في المجالس والبيوت فلا تؤثر على غير العيون والمحاجر، وكيف أنّ العظة البالغة والعبرة الدامغة فيها كالشجاعة والإيمان والنخوة والكرامة والصبر والشهامة قد أفلتت كلّها أو جلّها من يد الأمّة طوعًا لا كرهًا ليعتنقها غيرنا من الأمم الغربيّة فيسودنا بها، ويكاد يسود بها العالم بأسره.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (د.ك: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ج١، ص٣٤٤.

إنّنا يا أخي وصلنا إلى هذا المستوى من الانحطاط الخلقي بتخاذلنا وجهلنا وتحاسدنا وتباغضنا حتى تسرّب اليأس إلى نفس كلّ عاقل مفكر، وحتى عاف الفرد منا وطنه، ومقت قومه، وسكنه، وأصبح حائرًا قلقًا متشائمًا قانطًا يردّد في كلّ آن[1]:

ما أوشكت أن تنتهي محن إلّا وجاءت بعدها محن
أمّا الرسوم فإنّها درست أمّا الرجال فإنّهم دفنوا
العصر راجت سوق باطله والحقّ فيه ما له ثمن

هنا التفت إليّ صاحبي قائلًا: ما أجدرك بما قيل:

أولئك أجدادي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فصحت به: كلا بل إنّ في هذا عجزًا لا يسدّه إلّا استلهام ما قيل:

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

(١) [مركز تراث كربلاء] هذه الابيات للشاعر ولي الدين يكن، كجزء من قصيدته(يبكي بنوك ويضحك الزمن).

الجهاد والتضحية والإباء[1]

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

لا تحـــذرنّ فـما يـقـيـك حـذار ... إن كـان حتـفـك سـاقـه المـقـدار
وأرى الـضـنـين عـلى الحـمام بنفسه ... لا بـدّ أن يـفـنـى ويـبـقـى الـعـار
فـاقـذف بنفسك في المـهـالـك إنّـما ... خـــوف المـنـيّـة ذلّـــة وصـغـار
مـا هـاشـم أن كـنـت تـسـأل هـاشـما ... بـعـد الحـسـين ولا نـــزار نـــزار
منعت طـروق الضـيـم فيها غلمة ... يـسري لـواء الـعـزّ أنـى ســاروا[3]

تتمخّض القرون والسنون بالحادثات الجسام، وعلى رأس كلّ قرن إذا تصفّحت التاريخ بإمعان وتدقيق ترى رجلًا أو رجالًا وامرأة أو نساء ضربوا المثل الأعلى في التضحية، وبذل النفس والنفيس في سبيل إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

(١) نور الدين الأخوي، الجهاد والتضحية والإباء، مجلّة العرفان، المجلّد الثالث والثلاثون، الجزء الثاني، كانون الأوّل ١٩٤٦م، ص١٢٣ – ١٢٤.
تليت هذه المحاضرة يوم العاشر من المحرّم في النادي الحسينيّ، وأرسلت لمجلّة الغري الغرّاء للجزء المختص بالحسين، وقد نشرنا القسم الأوّل منها فقط.
(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة التوبة، آية: ١١١.
(٣) [مركز تراث كربلاء] ابيات للسيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين عليه السلام. ينظر: حيدر الاحلي، ديوان السيد حيدر الحلي، ص١١٦.

﴿زَهُوقًا﴾[1].

ولئن استعرضنا رجال التاريخ وأبطال العالم ونوابغ الأمم رأينا بأم العين، بل بعين الإنصاف أنّ هذه الأمّة العربيّة الكريمة كانت في الطليعة بين سائر الأمم، وفي مقدّمتها قريش، فالهاشميون الأباة الذين ضربوا الرقم القياسيّ في التضحية والثورة على الظالمين.

هذا قبل الإسلام أمّا بعده فلهم الشطر الأكبر في هذه الخلال الشريفة؛ فمحمّد الرسول وعلي الإمام والحسن الإمام وغيرهم من أهل هذا البيت الطاهر عليهم السلام الذين سبقوا الأوّلين والآخرين في جهادهم وتضحيتهم واستماتتهم في سبيل الأمّة والنفع العام.

لكن ما جرى للحسين وأهل بيته وأنصاره من رجال ونساء لم يسبقهم إليه سابق، ولم يلحقهم لعمري وعمر الحقّ لاحق.

فئة قليلة لا تبلغ المائة تقدم على قتال ثلاثين ألفًا غير مبالية بالموت، بل تأنس بلقاء الله كما يأنس الطفل الرضيع بثدي أمه، ولا تبالي وقعت على الموت أم وقع الموت عليها.

فئة قليلة تغامر هذه المغامرة ولا ترضى بمفارقة سيدها الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحّى بنفسه وبماله وبأهل بيته وبخواص أصحابه، وهم صفوة المسلمين بذاك العهد الموبوء عهد بني أميّة وفاسقهم يزيد؛ أقدم على هذه التضحية النادرة لينقذ دين جدّه من الفسقة الخونة السّفّاكين المخربين ولسان حاله ينشد:

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الإسراء، آية: ٨١.

لا عمل بعد اليوم[1]

إنّ الذين رصدوا خطوات الحياة منذ درج الإنسان على وجه الأرض، واستعرضوا صحف الماضي وألواحه، يدركون أنّ جيلنا هذا لم يستقل بخلق المدنيّة الحديثة وإيجادها، وإنّما هي نتيجة لازمة لاطراد تقدّم الإنسان ورقيه على سلّم التصاعد منذ وجد حتى الآن. فالسلف شريك الخلف في كلّ ما تحويه المدنيّة من أفانين وأعاجيب. إنّ حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر هي وراثة الثّاني للأوّل، وخلفه في أشيائه الماديّة والمعنويّة جميعها. إنّ حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها بناية واحدة، وكلّ عصر هو حجر في بنائها، إذن نحن نعيش بالماضي والحاضر معًا، كما ستعيش الأجيال المقبلة بنا وبالمستقبل.

لمن هذه الأنظمة والقوانين التي ترتكز عليها السياسة؟ ومتى نشأت هذه الأديان التي شيّدت لها المعابد والمعاهد، ونبتت بذورها، وأينعت في كلّ قلب حتى سيّرت الأمم والأفراد في مسالكها الخاصّة والعامّة؟ وأين أرباب هذه الألوف وألوف الألوف من الكتب التي فرضت نفسها على الكلّيّات والجامعات؟ أمّا منشأ اللغات وتطوّرها فعلمها عند ربّي، فأيّ مادّة تقع عليها العين نجت من يد الماضي؟ وأيّ روح لم تسترشد بحكمته وتهتد بسنائه؟ وكم حوت كنوز آبائنا العرب من جواهر الحكمة فأضاعها ورّاثها الأقربون، وانتفع بها الأباعد الغاصبون، واتخذوا من ثمارها وسيلة إلى الكبرياء، والتعاظم علينا وهي لنا ومن ميراثنا القومي الذي ذهلنا عنه حتى أصبح فريسة الذئاب.

---

(١) محمّد جواد مغنية، لا عمل بعد اليوم، مجلّة العرفان، المجلّد الثالث والثلاثون، الجزء الثالث، كانون الأوّل ١٩٤٦م، ص٢٧٤.

قرأت في مجلّة المختار كلمة بعنوان(أطع هذا الحافز) للدكتور وليم مولتون[1]، وهي على طولها وعرضها تتلخّص بجملة نطق بها أحد أبطال الطف الذين ناصروا الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهو عابس بن أبي شبيب[2] البطل العربّي، قالها عندما رأى السيوف والرماح والسهام والأحجار تنهال وتتراكم على الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، فأجّج هذا المنظر في نفسه شعلة جعلت الدماء تشبّ في عروقه كاللهيب المضطرم، وخيّل إليه أنّ السماء والأرض قد استحالتا إلى دخان ورماد، فنظر إلى مولى كان معه يدعى شوذبًا[3]، وناداه يا شوذب: ما في نفسك أن تصنع في هذا اليوم، قال شوذب: أقاتل حتى أقتل دون ابن رسول الله، قال عابس ذلك الظن بك – إنّه لا عمل بعد اليوم – حكمة بالغة ليس كمثله شيء إلّا العمل بها، ولو قالها غربي لقرأتها في كلّ صحيفة، وسمعتها من كلّ لسان ولكنّه منا وعربيّ مثلنا.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو وليم تشارلز مولتون كاتب ونفساني ومحامي امريكي، ولد عام ١٨٩٣م، في ماساتشوستس، اشتهر بكونه من ابتكر شخصية المرأة المعجزة، حصل على تعليمه تعلم في جامعة هارفارد وحصل على درجة البكالوريوس في الحقوق، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في علم النفس عام ١٩٢١م. للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، / ar.wikipedia.org wiki/ وليام_مولتون_مارستون، تاريخ الولوج ١٥/ ١/ ٢٠٢٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هو عابس بن أبي شبيب الشاكري، من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، وشهداء كربلاء، كان من الشخصيات البارزة في الكوفة، اشترك مع الامام علي عليه السلام في معركة صفين، ناصر ودافع عن الامام الحسين عليه السلام حتى استشهد. للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٦٤.

(٣) [مركز تراث كربلاء] من أنصار الامام الحسين عليه السلام، ومن شهداء كربلاء. جاء من الكوفة إلى مكة، وسلّم رسالةمسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي، والتحق بالركب الحسيني في مكة حتى نزلوا كربلاء. استشهد بعد حنظلة بن أسعد الشبامي، وورد اسمه في زيارة الناحية.للتفاصيل ينظر: المفيد، الارشاد، (بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣م)، ج٢، ص١٠٥.

إنّ طرق النجاح لا تنحصر بالكدّ والمثابرة زمنًا طويلًا، فقد شاهدنا من يقضي عشرات السنين في المعاهد، وإذا باليوم الأخير الذي خرج فيه من الجامعة كاليوم الأوّل الذي دخل فيه إلى المكتب بل أسوأ حالًا، حيث يرى نفسه ويراه الكثير صالحًا لأمور لم يأتها الفساد إلّا من قبل أمثاله، وأكثر الناس يدفنون حياتهم في المعامل والمختبرات يصلون الليل بالنهار جدًا ونشاطًا، فإذا فتحوا كفّهم في آخر يوم من عمرهم لم يجدوا سوى الخسران والفناء يوم واحد تسنح فيه الفرصة يبادر المرء إلى اغتنامها كفيل لتغير مجرى حياته، ولو ضيّعها ولم يسرع إلى مبادرتها ثمّ عمل الدهر كلّه لكانت أعماله هباء وعدمًا.

وصدّق شوذب القول بالفعل فقاتل حتى قتل، وماذا فعل عابس الذي نطق بهذه الحكمة الخالدة – لا عمل بعد اليوم – تقدّم من الحسين وقال: «أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب أو بعيد أحبّ عليّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك القتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي لفعلت»، ثمّ مضى إلى المعركة فعرفه رجل من أصحاب ابن سعد يدعى ربيع بن تميم، وكان شاهده مع الإمام علي عليه السلام في صفّين، ورأى منه الأعاجيب، فصاح ربيع بأصحابه: أيها الناس هذا أسد الأسود لا يخرجنّ إليه أحد، فأخذ عابس ينادي ألا رجل فهابه القوم، فنادى ابن سعد ويلكم أرضخوه بالحجارة فانهالت عليه من كلّ جانب، فلما رأى عابس ذلك ألقى درعه ومِغفره وشدّ عليهم، قال ربيع: رأيته والله يطرد أمامه أكثر من مائتين، ثمّ تكاثروا عليه فقتلوه، واختصم الجيش في قتله وادّعاه الجميع، فأصلح ابن سعد بينهم بقوله: هذا لم يقتله واحد كلّكم قاتلوه، فهدأت الفتنة.

قتل عابس وضحّى بنفسه في سبيل مبدئه، وإحياء عقيدته، ومات شهيد الحقّ والفضيلة، وبلغ بعمل ساعة ما لم يبلغه غيره بعمل الدهر كلّه، وحاول ابن سعد أن

يصرع الأقمار بالأحجار فهوت على رأسه وقلبه ترجمه بها يد التاريخ ما وجد له قارئًا أو سامعًا.

إنّ نداء – لا عمل بعد اليوم – هو الشعار الوحيد الذي يعبّر عن مبدأ شهداء الطف وعقيدتهم التي من أجلها نصبوا مهجهم هدفًا للسهام والرماح دون الإمام الحسين عليه السلام، وهل تجدي الأعمال كلّها بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام؟ وأيّ أثر للموت بعد هذا اليوم؟ إذن العمل كلّه في هذا اليوم، بل في هذه اللحظة التي ما زال الحسين فيها حيًّا.

وقد ندم التوّابون بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام على تركهم نصرته، فنهضوا وثاروا وقتلوا، ولكن عملوا بعد قتل الحسين ولا عمل بعد قتله إلّا الحسرة والتلهّف، قال شاعرهم عبد الله بن الحرّ[1]:

فيالك حسرة ما دمت حيّا ... تردّد بين حلقي والتراقي
فلو فلق التلهّف قلب حيّ ... لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأوّلى نصروا حسينًا ... وخاب الآخرون إلى النفاق

وهذا تفسير قول أبي الشهداء عليه السلام – لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا ندمًا – لم يستفد من هذا الدرس الذي هو أبلغ دروس الحياة كافة سوى أبطال الطف الذين تسابقوا إلى الموت بين يدي الحقّ والفضيلة فرحين مستبشرين.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو عبد الله بن الحر بن عمرو الجعفي، شهد معركة القادسية، وكان شاعرا فحلا. وكان من أصحاب عثمان بن عفان، فلما قتل عثمان انحاز إلى معاوية بن أبي سفيان، فشهد معه صفين وأقام عنده إلى أن استشهد الامام علي عليه السلام، فرحل إلى الكوفة واستقر بها. ولما وقعة حادثة مقتل الحسين تغيب ولم يشهد الوقعة، وكان قد مشى اليه الحسين عليه السلام وندبه الى الخروج معه فلم يفعل ثم تداخله الندم حتى كادت نفسه تفيض، فقال:

فيالك حسرة نادمتُ حيا ... تردّد بين حلقي والتراقي

توفي عام ٦٨هـ، للتفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٨٧.

وبين هؤلاء الأبطال شبه كبير من الوجهة النفسيّة، فدرس بعضهم يوقفنا على حقيقة الباقين لا نستثني منهم سوى رجل واحد، هو الضحّاك بن عبد الله المشرقيّ[1]، فإنّه لازم الإمام الحسين عليه السلام من أوّل يوم حتى إذا لم يبقَ مع الإمام إلّا اثنان الضحّاك ثالثهم، استأذن الإمام الحسين عليه السلام فأذن له فركب فرسه ونجا، حاول الضحّاك أن يلائم بين إرادة الحياة واحترام العقيدة، وأن تسالم كلّ واحدة جارتها، ولما وقع بينهما العداء والصراع قدّم مصالحه الشخصيّة على عقيدته، على عكس النتيجة التي انتهى إليها الحرّ الرياحيّ.

تطوّع الحرّ بن يزيد الرياحيّ في جيش ابن زياد لحرب الإمام الحسين عليه السلام، ولما أيقن أنّ الحسين مقتول لا محالة انسحب من جيش الكوفة، وصحب معه ولده الشاب بكير وانضما إلى الإمام وقتلا معًا بين يديه، لقد كان في الحرّ حنكة ومرونة إلى جانب إيمانه القوي، فحاول أن يؤلّف بين إيمانه وتقلّبات البيئة والظروف، فقال في نفسه: -لا أبالي أصانع القوم بما لا ينفعهم ولا يضرّ الإمام الحسين عليه السلام كي لا يظنوا أنّي خرجت من طاعة- ولما امتنع عليه الوئام بين إحياء العقيدة وإرادة الحياة استجاب إلى صوت ضميره الحيّ، وقام بواجب الحقّ فضحّى بحياته وحياة ولده في سبيل إحياء إيمانه الصادق.

قدّم الحرّ عقيدته على حياته، وقدم الضحّاك حياته على عقيدته، ولم يكن هذا هو الفارق الوحيد بين الرجلين، فقد بعث منظر القتل والقتلى في نفس الحرّ الشجاعة، والإقدام على الموت بينما بعث في نفس الضحّاك الجبن الذي أدّى إلى الهزيمة والفرار. فرّ الضحّاك رغبة في البقاء على نفسه وأهله، وقدّم الحرّ ولده الشاب إلى المذبحة طيب

(١) [مركز تراث كربلاء] هو الضحاك بن عبدالله المشرقي، من قبيله همدان اليمنية، من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، وأحد شهود عيان واقعة كربلاء الذين شاهدوا أحداثها عن كثب وقاموا بنقلها في الكوفة. للتفاصيل ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، (بيروت: دار التعارف، ١٩٧٧م)، ج٣، ص١٩٧.

النفس، ولما رآه قتيلًا يتخبّط بدمه قال: الحمد لله يا بني الذي نجّاك من القوم الظالمين، ومَنَّ عليك بالشهادة بين يدي إمامك.

أنا لا أعتقد أنّ عالمًا مهما بلغت مقدرته يستطيع أن يزن بدقة اختلاف النفوس ومقدار تفاوتها، إنّ كلّ نوع من الأنواع مهما تفاوتت أفراده يبقى الفرد الأدنى محتفظًا بميزته النوعيّة، فالذهب لا يوزن بالتراب مهما كان معياره، أمّا معادن النفوس فليست كمعادن الذهب والفضّة فحسب، وإنّما هي تختلف اختلاف الخير والشر والفضيلة والرذيلة.

وكثيرًا ما تظهر النفس بغير مظهرها وتتردى بغير ردائها، فالحقيقة لا تؤخذ من الظواهر فإنّ الإنسان بما أوتي من ذكاء يحتال على إخفاء دخيلته، ويستعير ثوب غيره مستعينًا به على تحقيق مآربه وشهواته.

إنّ تطوّع الحرّ في جيش ابن زياد وموقفه من الإمام الحسين عليه السلام بادىء بدء لا يدلّ على عقيدته، ودخيلة نفسه السامية، كما أنّ انضمام الضحاك إلى الإمام منذ اللحظة الأوّلى إلى قرب الشوط الأخير لا ينبئ عن زهده في الشهادة لأجل الحقّ بل يشعر بالإقدام والتضحية.

من هذه المقارنة يدرك البصير أنّ ثوب الوطنيّة والطنطنة والتهويل، لا يدلّ شيء من هذه على الإخلاص والتضحية، كما أنّ الهدوء وعدم الثرثرة والتشدّق بالألفاظ الفارغة لا تكشف عن الخيانة والجبن ولكن[1]:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممّن تباكى

(١) [مركز تراث كربلاء] وهذا البيت من قصيدة المتنبي بعنوان(فدى لك من يقصر عن مداكا) ينظر: المتنبي، ديوان المتنبي، (بيروت: دار بيروت، ١٩٨٣)، ص٥٦٦.

نساء...[1]

لم يكن يوم كربلاء يوم الرجال فحسب، ولم يكن رجال كربلاء وحدهم الأباة المناجيد[2] والحماة المذاويد[3]...

لقد كان كلّ حي في كربلاء بطلًا حول الإمام الحسين عليه السلام، وكان كلّ إنسان مفاديًا أمام أبي عبد الله. وإذا كان في موقف الأمّة يومذاك ما يخزي ويوجع فإنّ في موقف تلك العصابة رجالها ونسائها وأطفالها ما يغطي على آثام الخانعين والخائنين! وأنّ في تلك البطولات ما يقرّ عين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ويذهب بغيضه إذا تذكّر ما فعل الفاعلون ببنيه، وما استحلّوا من دمه، وما انتهكوا من حرمته!..

و ما يعنيني الآن أن أطنب في الحديث عن أبطال كربلاء، وما أهدف في هذه الكلمات إلى الإشارة إلى تلك الأمثال التي ضربها أولئك الرجال في الوفاء والبسالة والرجولة والمفاداة، ولست بسبيل تعداد سجاياهم الشماء التي يفنى الدهر ويزول، وتظلّ هي أقوى من الدهر، وأثبت منه وأخلد..! ولكنّني أريد هنا أن أمرّ ببعض المشاهد النسويّة في يوم كربلاء لنرى أيّة روح كانت تعتلج في تلك النفوس التي أذكتها رسالة محمّد بن

---

(١) حسن الأمين، نساء، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزء الأوّل، تشرين الثاني ١٩٤٧م، ص٩٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] المناجيد جمع منجاد . والمِنْجادُ: هو النَصُورُ سريع الغَوْث . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤١٦.

(٣) [مركز تراث كربلاء] جمع مذود مِذْود: مدافع عن عرضه وأهله وكأنّه قد أصبح آلة للذّود. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٧.

عبد الله ﷺ فكانت كفؤًا لتلقي تعاليم تلك الرسالة. ولنرى أيّ ناس أولئك الناس الذين اختاروا لأنفسهم حفظ محمّد في رسالته وبنيه، فدفعوا ثمن ذلك الحفظ حياتهم ودماءهم راضين طائعين مغتبطين!

لم يبقَ هاشمي يطيق حمل حديدة في يوم كربلاء إلّا قتل القتلة نفسها التي قتلها الإمام الحسين عليه السلام. هذه هي الصورة الموجزة التي رسمها بعض المتحدثين القدماء في معرض حديث لهم عن هذا اليوم، وهذه الصورة التي على إيجازها تمثّل حقيقة حيّة من حقائق الهاشميين الأبطال، وترمز إلى النفس الطالبيّة الأنوف الباسلة، وإذا كان هذا المتحدّث قد ساقه طابع الحديث وموضوعه لأنّ يتمثّل بالهاشميين، ولأنّ يدلّ بشيوخهم وشبابهم وأطفالهم فإنّنا لنستطيع أن نقول نحن: إنّه لم يبقَ حيّ يوم كربلاء حول الحسين إلّا وقف الوقفة التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام، لا نستثني من ذلك رجلًا ولا طفلًا ولا امرأة. وإذا كانت البطولات قد ألفت للرجال فإنّ كلّ كربلاء جعلت من الأطفال أبطالًا مقاتلين حتى الموت، وإنّ كربلاء قلبت الروح النسويّة من الاستسلام للعاطفة والجزع للمصاب إلى ثورة عارمة تطغى على الضعف العاطفيّ والجزع النسويّ فرأينا الزوجة تدفع بزوجها إلى الموت، والأم تسوق ولدها إلى القتل، وتحول تلك النسوة إلى إنسانات مستأسدات ثائرات لا تحفل بالثكل ولا تبالي الأيم! فهذا زهير بن القين[1] عندما أبى

(١) [مركز تراث كربلاء] هو زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، من كبار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة، كان زهير رجلاً شريفاً في قومه نازلاً فيهم بالكوفة شجاعاً، له في المغازي مواقف مشهورة، وكان، من شجعان المسلمين، وممّن اشترك في الفتوح الإسلاميّة، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام أثناء الطريق. للتفاصيل ينظر: عبد الله المامقاني، تنقيح المقال، تحقيق محيي الدين المامقاني ومحمدرضا المامقاني، (قم: آل البيت عليهم السلام، لإحياء التراث، ١٤٣٠هـ)، ج١، ص ٤٥٢-٤٥٣.

تلبية دعوة الحسين هبّت زوجته تقول له: سبحان الله! أيبعث إليك ابن بنت رسول الله ثمّ لا تأتيه!.. فتهيجه ويذهب إلى الحسين ويكون آخر العهد به!.. وهذه أم وهب تقول لإبنها وهب بن حباب الكلبي: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله... فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصر، وحسب أنّه مستطيع إرضاءها بجولة في الميدان تثنت حميته، فقاتل وقتل ورجع إليها وقال أرضيت؟ ولكن الأم لم يكن يرضيها من ابنها سوى الاستشهاد! فقالت: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين ويظهر أن زوجته حاولت التوسّط بينهما، فأصرّت الأم على استشهاد ابنها، فقالت له: ارجع وقاتل بين يدي ابن بنت نبيك فرجع فقاتل حتى قُتِل!..

ما أحسب في تاريخ الأمم على كثرة ما تحفل به من البطولات، وتزخر به من الرجولات أمًّا كهذه الأم، وما أحسب في ماضي الإنسانيّة امرأة تعادل هذه المرأة فقد تضحّي المرأة بنفسها، وقد ترد موارد التهلكة مختارة، ولكنّني لا أحسبها تضحّي بابنها، ولا تورد وحيدها موارد التهلكة مختارة، ولكن أم وهب بن حباب فعلت ما لا يخطر على بال إنسان في مجال التضحية، وأقدمت في ميدان العقيدة والشرف والوفاء على ما لا يمكن أن تقدم عليه امرأة غيرها اللهم إلّا أن تكون زميلة لها، وامرأة أخرى من نساء يوم كربلاء كما فعلت أم عمرو زوجة جنادة بن حارث السلماني[1]. فقد خرج جنادة بعياله وأولاده إلى الإمام الحسين عليه السلام فقاتل حتى قُتِل، فلم تبكِ زوجته ولم تندب سوء

(١) [مركز تراث كربلاء] من شهداء واقعة الطف، وكان من شخصيات الشيعة البارزة في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، أشترك في حركة مسلم بن عقيل، وتوجه إلى الإمام الحسين عليه السلام، مع جماعة والتقوا به عليه السلام قبيل وصوله إلى كربلاء، فأراد الحر بن يزيد الرياحي منعهم من اللحاق بالحسين عليه السلام، ولم يفلح، وهو في عداد شهداء الحملة الأولى. للتفاصيل ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٢، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩١م)، ج٤، ص١٢٢.

حظها وفجيعتها بزوجها، بل تلفتت فرأت أنّ شباب ابنها قد تكامل، وأنّه في سنّ يستطيع معها أن يقاتل قتال الأكفاء فهتفت به قائلة: أخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله!..

إنّنا نستطيع أن نقرن بطولة هذه المرأة بأعلى بطولات الشعوب، ونستطيع أن نجعل من هذه الزوجة الأم المثل النابض لحيوية هذه الأمّة العربيّة الزاخرة بالحيويّات، ونستطيع أن نتخذ من سيرتها أمثولة رائعة في نضالها القوميّ الراهن، أمّا ابنها فقد مشى إلى الإمام الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال كما كان يفعل كلّ المقاتلين، فعرفه الحسين وعرف فيه ابن الشّهيد الباسل الذي لم يمضِ على استشهاده غير لحظات، فأبى عليه الإمام الحسين عليه السلام أن يقاتل، وقال: هذا شاب قُتِل أبوه ولعلّ أمّه تكره خروجه..

وما أدري من أيّ شيء أعجب أمن هذه الأم العظيمة أم من هذا الشاب الباسل أم من الحسين الذي لم تذهله روعة الموقف عن أن يتفرس في الوجوه فيعرف شأن هذا وشأن ذاك، ولم تشغله رهبة المصير عن أن يفكر في مصير هذا ومصير تلك!..

كان الشاب عند حسن ظن أبيه وأمّه فيه، فقال للإمام الحسين عليه السلام: أمي أمرتني بذلك!.. فطابت نفس الحسين؛ وأنّي لأتخيله في تلك الساعة وقد افترّ ثغره عن ابتسامة فيها كلّ الاعتزاز والتباهي بهؤلاء الأنصار الذين لن يظفر غيره بمثلهم..! ومشى الشاب الشجاع للموت بقدم ثابتة، وأمّه من ورائه تثبته وتحرّضه وتدعو له، وقد شاء هذا الشاب أن يكون مثلًا حيًّا لتلاميذ علي والحسين عليهما السلام في الفروسيّة المتأدبة الشاعرة فرآه الناس فارسًا، وسمعوه شاعرًا، إذ تقدّم يهتف بهذا النشيد المؤثر[1]:

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق محمد السماوي، (قم: مطبعة مهر، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٢١.

أمـــيري حـسـين ونـعـم الأمـير سرور فـــؤادِ الـبـشـير الـنـذيـر
عـــلي وفـــاطـــمـــة والـــــداه فـهـل تـعـلـمـون لـه مـن نـظـير
لـه طـلـعـة مـثـل شـمـس الـضـحـى لـــه غـــرم مـــثـــل بـــدر مـنـير

ولم يلبث حتى قُتِل وعلمت أمّه بمقتله فمشت إليه وحملت رأسه هاتفة به: أحسنت يابني. وبعد أن رأت هذه المرأة أنّه لم يبقَ من رجالها أحد، وأنّها قدّمت من الرجال أعزّ ما تملك زوجها ووحيدها أبت إلّا أن تخوض المعركة بنفسها فتقدّمت هاتفة[1]:

أنـــا عـجـوز سـيـدي ضـعـيـفـة خـــاويـــة بـــالـــيـــة نـحـيـفـة
أضربـــكـــم بـــضـربـــة عـنـيـفـة دون بـنـي فـاطـمـة الـشـريـفـة

وأبى عليها الإمام الحسين عليه السلام القتال فأمر بصرفها...

كلا، أيتها العجوز لم تكوني ضعيفة، ولم تكوني يوم كربلاء خاوية بالية، لقد كنت قوية قوّة رسالة الحسين، متينة متانة فكرة الحسين، خالدة خلود ثورة الحسين...

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٣، ص٢٥٣.

المثالية والتضحية في واقعة كربلاء[1]

بنو هاشم رهط النبي فإنّني بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب[2]

يعمل الإنسان غالبًا لمال يصيبه، أو لجاه يتطلبه، أو لمنفعة يرمي إليها، أمّا أن يعمل للخلود، ويقتل في سبيل المثاليّة العليا، ويضحّي بجميع ما يملك للثورة على الباطل، ونصرة الحقّ، والتمرّد على الظلم، ومناوءة الظالمين، فتلك لعمري مرتبة عالية وعالية جدًّا لا يدركها إلّا من رضي الله عنه من الأفراد الأفذاذ الذين ضربوا الرقم القياسيّ بين أهل زمانهم، بل بين أهل كلّ زمان فكان همّهم المثل الأعلى من التضحية في الأرض، ومطلبهم الرفيق الأعلى في السماء، فهؤلاء المثاليون مفخرة التاريخ الصحيح، وزينة العالم الأسمى، الذين رضي الله عنهم وأرضاهم، إذ جعلهم حديث من بعدهم ممّن يقدّسون الفضيلة وأصحابها، ويكبرون التضحية وأربابها، ويدينون بالروح الخالدة، لا بالمادّة البائدة، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وهم الأعلون بالدنيا في إرضاء الضمير الحيّ والعقيدة الراسخة، وفي الآخرة بنيل الدرجات العلى.

إنّما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن روى

ولو تأملنا بعين اليقين، وأبصرنا ببصيرة العارفين، لآمنّا وصدّقنا إيمانًا لا يشوبه

(١) أحمد عارف الزين، المثالية والتضحية في واقعة كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزء الأوّل، تشرين الثاني ١٩٤٧م، ص٦- ص٨.

(٢) [مركز تراث كربلاء] قصيدة للكميت الاسدي حملت عنوان(بنو هاشم رهط النبي). ينظر: الكميت الاسدي، الروضة المختارة، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٧٩م)، ص٢٦.

رياء، وتصديقًا شهوده صفوة أهل الأرض والسماء، أنّ أعظم رجل دعا إلى الحقّ، وتمرّد على الحكّام الظالمين، فكان المثل الأعلى للعالمين، هو الإمام الحسين بن عليعليه السلام الذي أقدم على قتال عمال الأمويين بفئة قليلة لم تبلغ المائة عدًّا لكنّها عصارة تلك الآلاف المؤلّفة من أهل زمنها.

والـنـاس ألـف مـنـهـم كـواحـد وواحـد كـالألـف إن خـطـب عـرا

بيد أنّ حسينًا لا يقابل بالآلاف لا بالألف، بل هو أفضل وأنبل من الملايين السادرين في غلوائهم، المنقادين لشهواتهم وأهوائهم.

قد نرى رجلًا يجود بنفسه والجود بالنفس أقصى غاية الجود لكنّا لم نرَ رجلًا ضحّى بنفسه ونحو عشرين من ولده وخيرة أهل بيته وزهاء ستين من صفوة أصحابهعليهم السلام كلّ منهم يرى رأيه، ويفعل فعله، ولا يرى الحياة مع الظالمين إلّا برمًا، ويأنس في الموت كما يأنس الجبان في الحياة، ويرى السعادة بالشهادة إذا رأى غير السعادة في نيل متع الحياة، وتأثل المال والضياع.

يالله ويالحق ويالإباء ويالفضيلة من هذا(السبرمن)[1] العظيم الذي قال عنه بعض فلاسفة الفرنجة: إنّ تضحيته أعظم من تضحية السيّد المسيحعليه السلام، وعمله أرقى من عمله، وخلوده خير وأبقى من خلوده.

وبمثل هذه المثاليّة الخالدة قام الإمام الحسين وأهل بيته وأنصارهعليهم السلام بما قاموا، وأقدموا على ما أقدموا، وهم مرتاحو الضمير، فرحون بما أوتوا من عظيم الأجر، وخالد الذكر، فتردّد حادثتهم وما أعظمها في كلّ قطر ومصر يومًا بعد يوم، ويزيد إعجاب

(١) [مركز تراث كربلاء] جاء تعبير السوبرمان هنا كتشبيه للرجل الخارق.

عباقرة القوم بهم فيكتبون ويؤلّفون في مآتيهم ومحامدهم. وهل جرى الإمام الحسين عليه السلام إلّا كما جرى أبوه الإمام علي عليه السلام إمام المتقين، وصفوة الصفوة من العباقرة الخالدين، وكان قدوة لمن بعده من أهل بيته كزيد ويحيى والكثيرين ممّن ضحّوا ثمّ ضحّوا حتى قُتِلوا، وصلبوا وهم يردّدون(ما أحبّ الحياة أحد إلّا ذل)[1] نعم، هؤلاء لم يحبوا الحياة الفانية فعوضهم الله بها تلك الحياة الباقية، والذكر الخالد.

ولو نظرنا بعين البصيرة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وأشياعهم لرأينا بهم في كلّ عصر ومصر المثاليّة الأخلاقيّة العالية، ولأبصرنا حبّ الفضيلة، وأنصار الفضيلة يتغلغل في قلوبهم، فهم فيه منعّمون ولو لاقوا من شظف العيش والحرمان ما لاقوا وما يلاقون والعاقبة للمتقين.

تـريـديـن إدراك المـعـالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل[2]

(١) [مركز تراث كربلاء] هذا قول مأثور عن(زيد بن علي بن الحسين) عليهم السلام، قاله عند خروجه من مجلس هشام بن عبد الملك . ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٥، ص٢٥٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هذا البيت للمتنبي يحمل من العبر والايثار الشئ الكثير . ينظر: المتنبي، ديوان المتنبي، ص٥١٨.

معنى التضحية في استشهاد الحسين عليه السلام[1]

(ألقيت في الكلّيّة العامليّة بيروت يوم عاشوراء ١٣٦٧هـ)

تمرّ الأمم بأدوار كما يمرّ الأفراد: فمن صبا، إلى الشباب، فرجولة وكهولة؛ ومن بؤس إلى نعيم؛ ومن ضعف إلى قوّة؛ ومن غنى إلى فقر؛ ومن هذا إلى ذاك، ومن النقيض إلى النقيض؛ لأنّ ذلك هو القانون الذي استنّه الله جلّ جلاله، وهو قانون الفطرة الإنسانيّة والطبيعة الكونيّة.

فلا يبتئسنّ مخلوق بما يصاب به من مرض بعد أن يحتاط لدرء الأمراض عن نفسه وعن الناس؛ فقد يكون هذا الداء واسطة لشفائه من علّة أكبر.

وقد ثبت للعلماء من الأطباء أنّ الحمى، أيّ ارتفاع حرارة البدن الطبيعيّة، ظاهرة تدلّ على حيويّة ذاك البدن، وعملية تفيد الإنسان وتطهر جسده تطهيرًا.

ولا يحزننّ واحد لخسارة يُمنى بها، في ماله أو أهله أو نفسه، فقد تكون هذه الخسارة، إذا كان قد تفادى الأمر بكلّ وسيلة ممكنة قد تكون مقدمة ربح عظيم يستقرّ وينمو، حتى يشمل الناس كلّهم بخيره، كهذا المطر الذي يسقط عميمًا لا بأرضي ولا بأرضك!

لقد مرّت أمّتنا، منذ فجر التاريخ، بأدوار تتعاقب عليها كما تعاقبت الأدوار على الأمم، وعلى الأفراد، كانت أمّة الفقر والبداوة والمرض والجهل؛ فصارت أمّة الغنى،

(١) رشاد المغربي، معنى التضحية في استشهاد الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزء الثاني، كانون الأوّل ١٩٤٧م، ص٢٥٨- ص٢٦١.

والحضارة، والصحّة، والعلم، وكانت أمّة الجهالة والتفرقة والضعف؛ فصارت أمّة الحقّ والوحدة والقوّة.

ثم تغيّر الحال، فاستبدلت بالحريّة نيّر الاستعباد، واستعاضت عن الحقّ والقوّة سبيل الضعف والضلال. وإذا بهؤلاء الفتيان الذين سادوا الدنيا شبّانًا، وبنوا الحضارة كهولًا وشيوخًا، وإذا بهم يصبحون عجزة مقعدين يجرّرون في ذيل المستعمرين أذيال الجهل والتواكل والخنوع.

لم نكن أسيادًا، يوم سدنا في الأرض، بمثل هذه الروح الترابيّة، روح الاستخذاء التي يفرضها القوي على الضعيف؛ ليظل متحكمًا في رقبته، متمكّنًا من عنقه، يجرّه إلى حيث يشاء، فينقاد كما تجرّ السوائم من الحيوان الأليف. لا، لم نكن أسيادًا بهذه الروح الذليلة، ولا كنّا رجالًا بتلك الأخلاق المريضة بل كنّا أسيادًا، ونبقى أسيادًا، في كلّ مكان من أوطاننا، بهذه الميزة التي امتازت بها أمّتنا، هذه الروح العلويّة التي تسمو بأرواحنا وترفع جباهنا، أو ترتفع بأنوفنا، هذه الروح التي كانت تعمر صدر القائل منذ مئات السنين، والناس يومذاك أحرار معدودون، وعبيد لا يعدون:

(متى تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا؟)

هذه الروح التي كانت تتجسّد لدى أمّتنا في الشجاعة حينًا، فيقدم الواحد منا كما يقدم الجيش على الموت غير هيّاب ولا وجل. أو تتجسّد في الكرم، فيهب الفرد ما يملك، كلّ ما يملك، في سبيل الأمّة أو في سبيل الخير العام. أو تتمثّل في المروءات والشهامات، فينصر الواحد منهم أخاه ظالمًا أو مظلومًا، ويشدّ بعض الناس أزر بعض كأنّهم البنيان المرصوص، في سبيل الحقّ، وفي سبيل الخير، في سبيل الأمّة وسلامة المجموع، وفي سبيل السّلام والأمن والعدالة الاجتماعيّة.

هذه الروح السمحاء السامية التي كان الرسول الأعظم محمّد بن عبد الله ﷺ محلّها الأطهر، وحقيقتها البارزة، انتقلت منه إلى نسله الشريف، من آل بيته الأطهار، كما انتقلت إليه هو من سلسلة مباركة من أسلاف أبرار، بدأهم إبراهيم خليل الله عليه السلام، وختمهم محمّد رسول الله ﷺ، فكانت روحًا فيّاضة بآيات الله، ونعم الله؛ وكانت بذلك كلّه خير درس ألقته السماء على أبناء هذه الأرض.

هذه الروح السماويّة الزكيّة كانت في الوادي غير ذي الزرع، روحًا إبراهيميّة يوم قال الله لخليله: اذبح ولدك! فهبّ الأب الرحيم إلى سكّينه يشحذه، ويقول: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾[1]، فيجيب الغلام، وقلبه متعلّق بتلك الروح كما يتفاعل قلب الوالد الرؤوف وقلب الوليد الحبيب، يقول: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[2].

وتضجّ الأرض والسماء، يملؤهما رهبة وجلالًا ومحبّة وتسامحًا، أمر الله المطاع، وطاعة المخلوق الساعي إلى الخلود، ورضى الشّهيد المؤمن بتضحيته المثلى. يا لروعة الاستشهاد، ويا لعظمة الشهيد ويا لنبل الشهادة!

تلك واحدة كانت في تاريخ العرب، قبل الإسلام، فما كانت إلّا لتعزيز الروح التي تميّز بها العرب، فحقّقت لهم، حين تبلور في قلوبهم، مجد الأرض، ورضاء الله؛ فكانوا بين الناس حكّامًا، وهم الأمّة الوسط، وكانوا سادة، وكانوا من بناة الحضارة الإنسانيّة الخيّرة، لا حضارة المادّة الشريرة المدمّرة.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الصافات، آية: ١٠٢.

ويشاء الله أن يكون سبط الرسول، ثاني ذبيح اهتزت لاستشهاده الدنيا، واضطرب التاريخ! بل كان الإمام الحسين عليه السلام ذلك الشّهيد الذي تجسّدت في استشهاده الفذ، آمال أمّة بأسرها، وأماني حقّ باعوه بالضلال، وخُلق أفسدوه بالمال، ومبادئ ضلّلوا أصحابها بالمنافع الزائلة، ومُثل عليا داسوها، فكانت لهم دولة رأسها في التراب ورجلاها في الفضاء، فلم يكن مقدّرًا لها أن تعيش أكثر من عمر الفرد!!

ويسير الإمام البطل ابن الإمام البطل؛ أليس الحسين من علي، وفاطمة من محمّد، ومحمّد من عند الله؟ يسير لا تثنيه عن عزمه الذي أجمع عليه نصيحة، أو يردعه رادع. فهو يسير لا لنفع خاص يهدف إليه، ولا لمنصب يعمل على الظفر به، ولا لمال يجنيه أو خير يتفرد من دون الأمّة فيه؛ إنّه يسعى من مهبط الوحي ومرابع النبوّة، كهذه الريح تهبّ من كلّ جانب لتطهّر الأجواء، وتنشر الغمام فتحمل إلى الأرض الخصب والنماء، وإلى الناس الشراب والكلاء، وإلى النفوس المروءة والإباء!

لم يمت الإمام الحسين عليه السلام إذ قتلته شرذمة من الأشرار لم يراعوا فيه لا رسول الله ولا كرامة الحقّ الذي يسعى إلى تحقيقه! وقد كان الأشرار ولم يبرحوا في كلّ عصر، أعداء الحقّ وأعداء الحقيقة، فما مات الحسين الشّهيد الخالد، ولا عاش قاتلوه. بل لقد امتدت بشهادته هذه، تلك الروح التي عمّرت قلب إبراهيم وقلب محمّد، وقلوب الأخيار الأبرار قبل محمّد وبعده، من المؤمنين الصادقين، والمجاهدين الميامين، امتدّت تلك الروح كما يمتدّ الشعاع في الظلام، امتدّت، ولم تنفكّ عن الامتداد حتى أخذت بنورها الوضّاح قلوب الملايين من العاملين المخلصين للحقّ وللخير، المضحّين بأنفسهم في سبيل المجموع، ناكرين ذواتهم في إتمام رسالة الشّهيد العظيم. تلك الرسالة التي هي جزء من رسالة جدّه المصطفى، رسالة الحريّة، والحقّ للناس كافّة، ورسالة الأمن والرضاء والعدل والمساواة

بين الشعوب والأمم، وبين الأفراد والجماعات.

وما تقولون في هذا الصرح الذي شيّدتموه للعلم وللخير، أكان يقوم على قواعده المتينة؟ لولا أن تلك الروح، روح التضحية التي تجسّدت في إبراهيم الخليل وولده، والحسين الشهيد وجده(عليهم صلوات الله أجمعين)، هذه الروح التي لا تُفنى، وهذه الشعلة التي لا تخمد، هل كان بناؤكم هذا يبلغ تمامًا لولاها؟

إنّ التضحية عظيمة بنفسها لا مقدارها. فربّ تضحية بقليل قليل أعظم في الحقّ وفي الواقع من التضحية بكثير كثير، ليس وراءه حسن قصد، أو روح سليمة. والتضحية الخيّرة التي ضرب لنا الإمام الشّهيد أروع مثال عليها، وأعظم درس فيها، هي التضحية الخالدة بين التضحيات، سواء أكانت بالمال أو بالنفس، بالقليل منه أو بالكثير، والله لا يضيع أجر المحسنين- الذين يضحّون في سبيل الخير، ويبذلون كلّ شيء في سبيل النفع العام!

والخير كائن من الكائنات الحيّة التي تجسّدت أيضًا في روح الحسين الشّهيد فكان به، وبما انطوت عليه حنايا صدره العامر بالإيمان، المشرق بالنور الذي غمر صدر جدّه من قبل، خيرًا محضًا، كان خيرًا إذا مشى، وخيرًا إذا قال، وخيرًا إذا استشهد، لأنّه خير عام، كهذا المطر الذي ينهمر منذ ليلة البارحة مدرارًا، ينتظم البلاد بأسرها، وينفع العباد كلّهم.

اللهم إنّنا نسألك في هذا اليوم العظيم، من تاريخ أمّتك أن تمدّ إلى نفوسنا قبسًا من ذلك الشعاع الذي استقر في نفس الحسين، وأن تنزل على قلوبنا ما أنزلته على قلبه الكبير، من إيمان وصدق وإخلاص، وأن تركز في صدورنا المبادئ التي تركّزت في صدره الشريف!

اللهم إنّنا نسألك هذا متشفعين إليك بجدّ الحسين، وسيّد الأنبياء والشفعاء، وبأبي الحسين سيّد الأوّلياء والأوصياء، وبالحسين سيّد الشّهداء، فنكون في الحياة رجال عقيدة كعقيدة الحسين، ونعمل فيها بإخلاص كإخلاص الحسين، ونضحّي من أجل الخير كما ضحّى الحسين، ونموت، إذا متنا، أعزّة كما استشهد الإمام الحسين عليه السلام.

الحسين الشهيد في روائع التضحية[1]

سادتي الأماجد:

استعرض الفكر حكمة الفيلسوف الفرنسي(باسكال)[2] إذ قال: «على النور الضئيل يكتب أنصار الحريّة، وتحت ظلال السيوف يعمل رجال العقيدة، وعلى نغمات أجراس السجون يسير أبناء الثورة».

ولقد كتب أبو الشّهداء التضحية على نور الحقّ اللامع.

كتب سطور المجد وجمّع صفحات الخلود. ووضع كتاب الإباء. طالب بالحريّة والحريّة شيء ثمين غال. ونشد الانطلاق والانطلاق فكر حرّ وعقيدة راسخة. وسعى لتحرير شعب، والتحرّر يحتاج لنضال وكفاح وجلد. هذا وهو لم يكتب ولم يسطر ولم يجمع تلك الأحرف النورانيّة بنور خافت ضئيل، بل بشعلة لامعة وهّاجة، تنير سبل

(١) محسن جمال الدين، الحسين الشّهيد في روائع التضحية، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزء الثاني، كانون الأوّل ١٩٤٧م، ص٢٦١- ص٢٦٢.
يقول كاتب المقال: «طلبت إليّ لجنة الشباب النجفيّ لذكرى أبي الشّهداء على أن أبعث لها حول هذا الموضوع فأرسلت لها هذه الكلمة المتواضعة لتلقى في الاحتفال الكريم».

(٢) [مركز تراث كربلاء] فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي، ولد ١٦٢٣م، اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات هو من اخترع الآلة الحاسبة. استطاع باسكال أن يسهم في إيجاد أسلوب جديد في النثر الفرنسي بمجموعته الرسائل الريفية، توفي عام ١٦٦٢م. للتفاصيل ينظر: شبكة المعلومات الدولية، باسكال .www ar.wikipedia.org/ ، تاريخ الولوج ١٧/ ١/ ٢٠٢٠.

الضالين، وتهدي طرق التائهين، ممّن لم يتعرفوا إلى معاني الجهاد، ولم يتفقّهوا دروس العمل.

ومن بين شفار السيوف الحادّة، التي بعثها الباطل، وسمّمها التزييف والتسويف وأرسلها الاستبداد والمال. ناضل الإمام الحسين عليه السلام عن عقيدته الناصعة، وخلف من ورائه التاريخ العربيّ الإسلاميّ، والنفوس المؤمنة المعتقدة بالإيمان الصادق يلهجان بذكراه، وينشدان أناشيد بطولته الرائعة، ويذكران آيات حكمته الطيّبة، ويرفعان رايات ثورته الحمراء الدامية، التي سارت على النور، ومشت على السيوف البيض، وتغنّت على الأجراس الناغمة المهدهدة القلوب، المنعشة للأفئدة، الباعثة للرقود، الموقظة للأموات.

الحسين أيها السادة يجب ألّا يذكر بالحزن الممض وحده، بل بالإعجاب الوافر، والفخر العظيم. فهو قد غرس شجرة الحريّة بدمائه، وأثمرت خير الثمار ألا وهو العقيدة - والمبدأ - والبعث...

العقيدة على أنّ الشباب العربيّ الإسلاميّ اليوم ورجالات الغرب المستشرقين أخذوا يتحسّسون ذكرى الشّهيد لا لأنّها تبعث الحزن والألم واللطم واللوعة وحدهما؛ بل لأنّها تشيّد البناء القائم الراسخ على العمل، تشيّده على انقاض الاستكانة والخمول والندب والعويل. أمّا المبدأ فهو مبدأ التضامن بين طبقات الأمّة على اختلاف طبقاتها وأجناسها مبدأ الأخوّة والمحبّة، مبدأ السعي واليقظة. يتّبعه البعث الوطنيّ الذي يرفع رأس الوطن ويحرّره من براثن الجهل والفقر والمرض. حتى تعاد أيّام المحرّم والشعب في أهنأ العيش، وفي وارف العزّ تحت أردية الصحّة، وفي مدارج العلم، وبين وافر الخيرات، فهناك يحتلّ الشباب الصدارة، ويرسلون الألحان إلى العالم كافّة تردّد على أنّ أيّام الحسين هي أيّام العزم، وساعاته ساعات اليقظة، وذكراه ذكرى الأمجاد.

وإنّني من لبنان – هذا البلد العربيّ الجميل أرسل هذه الصرخة وهذا النداء، مغتنمًا هذه الساعة الكريمة لتعبّر عن خوالج وخواطر شاب عربيّ عراقيّ يشارك إخوانه النابهين وأخوته العاملين(لجنة الشباب النجفيّ) في تقديم أحرّ الرغبة، ومنتهى التجلّة على أعتاب بطل العروبة والإسلام، رجل العمل والبعث مولانا أبو الشّهداء الذي استمد من قوّة إيمانه هذه الكلمة المختصرة – وآخذ من مجالي خلوده هذه النفحة العابقة، وأسطر في ضوء علمه وأنواره هذه الأحرف المثبتة – لتلقى على جمع محب، وعلى مسامع واعية ممّن حضروا وأقاموا هذا الاحتفال، مستخلصًا منها أن تكون هي ومن سبقها ولحقها عظة وعبرة وهداية وإرشادًا إلى طريق التحرّر، وإلى ميدان العمل والنشاط وإلى بوادر الخير، منشدًا مع الشاعر العربيّ الفلسطينيّ المجاهد قوله:

فإمّا حياة تملأ الأرض عزّة وإمّا ممات تترك الطير ناعيا

في ذكرى عاشوراء[1]

جرت العادة – منذ قرون عدة – بناء على فرض العرف الديني لمذهبنا نحن الشيعة شيعة ولي الله، ووصي رسوله العربي، أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب ابن عم الرسول ناصر دين الله عز وجل، مفخرة الإسلام والعروبة جمعاء، نور الهدى، وراية الحق، ونبراس الطهر والفضيلة. نعم.. جرت تلك العادة.. وإنّها ما زالت وهكذا ستبقى إلى اللانهاية، بإقامة ذكرى لمن قضوا نحبهم مجاهدين في معمعة الذود عن الحق والفضيلة. هكذا تعوّدنا وبهذا الطابع طبعنا، وتحت شرف الأنوار القدسية سنبقى قابعين للأبد.

فمصيبة آل بيت محمّدﷺ مصيبتنا، وخطبهم شر فوادحنا. وصروفهم الجلى، وآلامهم العصيبة، واضطهادهم الباطل، لمرير آفاتنا وسحيقها. إنّ الأيام مرت وعديد السنين انطوت، أثر تلك الفادحة التي تخبط في دياجيرها العويصة، ورزح تحت نير وطأتها الشنعاء ساداتنا الأبرار الميامين تلك النكبة التي كانت، صراعًا عنيفًا بين الحق والباطل.. حربًا ضروسًا بين الصدق والرياء، بين التقليد والحقيقة.. أجل.. فمنذ ذلك الحين البعيد! ونحن ماضون في تأدية واجبنا المقدس. حيال من ألقوا بأرواحهم الطاهرة على مذبح نصرة الحق.. حيال من جاهدوا في سبيل الله مستأسدين.. حيال من ارتضوا الموت والسبي والسلب، ليظهروا للملأ أهواء بني أُميّة وأغراضها، نواياها المدمرة وأهدافها الهدامة ضد الإسلام، وضد وصية الرسولﷺ وآل بيتهعليهم السلام !! فإنّهم قد علوا

(١) بلقيس أبو خدود، في ذكرى عاشوراء، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والثلاثون، الجزء الأوّل، آذار، ١٩٥٠، ص ٩٨-٩٩.

على المادة، وسموا عن سفاسف[1] المطامع الدنيوية، وحلقوا في سماء التقوى ورعين.. وخدموا الإنسانية والحق، والفضيلة، والعدل، باذلين مضحين!

وما الحرب التي أقروها – وكانت آخر عهدهم بهذه الدار الفانية – إلا انتصارًا لدين الله المحمّدي ! فما هدفوا من ورائها السلطان والملك، ولا الشهرة ولا الجاه، ولا الراحة والرفاهية.. وهم لعمري.. لأسمى من كل هذا وأرفع! وقد قال سيدنا شهيد كربلاء الحسين بن علي يوم الطف:

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي، يا سيوف خذيني[2]!

نعم.. وا لوعتاه.. فقد أخذتك تلك السيوف الآثمة يا بن رسول الله!! ودفعت ثمنًا عن نصرة الإسلام دمك المقدّس وروحك الطاهرة الأبية! إنّما أنت خالد يا أبا عبد الله. أنت كائن سرمدي لا يتوارى.. أنت محلّق في سماء الفضيلة في الدنيا والآخرة.. أنت ملاك.. أنت نور.. أنت كمال.. ففيك وفي ذكراك الأبدي تجسدت روح الشجاعة والإقدام؛ وبمآثرك الطيبة، وبأثآرك الحميدة، تبلورت ضروب التضحية والجهاد للحق.. فاهدنا في إمامنا سواء السبيل.. هذب نفوسنا وطهرها.. اغسل قلوبنا ونقها.. أقصنا عن مسالك العثرات.. بيض أعمالنا وسريرتنا.. استأصل جرثومة السوء والأنانية من أفئدة ملوكنا وحكامنا.. حسيننا.. نحن قوم بأشد الحاجة اليك!.

إنّ إمامنا يا إخواني، لا بل إنّ شهيدنا البريء المظلوم لجديرٌ بكل إكبار وتقدير، لخليق

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هي الامر الردئ من كل شي. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص٢٧٤.

(٢) لقد توهم كاتب المقال بنسبة هذا البيت للإمام الحسين عليه السلام لأنّ هذا البيت قاله الشاعر الشيخ محسن أبو الحب الكبير عن لسان حال الحسين عليه السلام. ينظر: ديوان الشيخ محسن أبو الحب: ص٣ تحقيق: جليل كريم أبو الحب.

بخلود الدارين ولهما فيه خير هدى ورحمة.. وإني لأخشى مع انطواء الزمن ونفاد جيلنا وجيلكم هذا أن يأتي على هذه الاجتماعات التأبينية زمن تطوى فيه صفحتها النفيسة التي هي في عرف الحق فرض واجب على كل مخلوق كائنًا ما كان.

نعم.. إنّنا نخشى وقوع مثل هذا الحدث الجاحد، نرتعد قلقًا من أن يتقاعس غدًا أحفادنا عن الاسترسال المتواصل في تجديد الحزن على إمام الهدى، وفي إحياء ذكراه الحبيبة في كل عاشوراء سنوية، وعليه يجب أن تسترعي انتباهنا هذه الناحية الحساسة، وأن لا ندخر وسعًا في سبيل غرس بذور الإيمان في قلوب صغارنا لتنبت غدًا أشجارًا باسقة يستظلون فيأها نادبين حسبنا الظمآن وأنصاره، ذاكرين فجيعتهم بلوعة ومرارة، مقدرين تضحياتهم الجسام، وإقدامهم الفريد، وشجاعتهم النادرة وروحهم الوثابة المستخفة بالردى تقويمًا لما اعوج من مسالك البشر.

إنّ حسيننا عظيم كبير النفس.. إنّ حسيننا جليل رفيع القدر؛ إنّ حسيننا تقي ورع، ماذا أقول فيك، يا بن المرتضى؟!! بطل عربيّ خليق بالاعتزاز وليت شعري فإنّ مثلي لأعجز من أن تصف فضائلك، وإنّ القلم أقصر من أن ينفد – معبّرا – إلى حقائق كيانك وقدسيتك! وإنّ اللسان لأقصر إن هو رام الادعاء بطول باعه للإعراب عما أنت فيه من نوادر الصفات...

هدى النبوّة في يوم عاشوراء[1]

عنوان مقال نشر في جريدة القبس الرصينة الدمشقيّة العدد ٤٢٠١ بتاريخ ١٢ المحرّم سنة ١٣٧٠ هـ للأستاذ حسنين محمّد مخلوف

وإنّا لنثبت منه ما يهدف إليه من غرض ونعلّق عليه بما نخالفه فيه، ولا ننشد من وراء ذلك إلّا إحقاق الحقّ ضالة كلّ مؤمن وإلّا هدى النبوّة سواء أكان في يوم عاشوراء أم في كلّ يوم يفيض ذكراه بأسرارها وأنوارها.

قال: ولم يثبت في السنن عن رسول الله ﷺ في يوم عاشوراء غير صومه تعبدًّا لله تعالى غير أنّ المسلمين عامّة ابتدعوا فيه بدعًا لا سند لها من كتاب الله تعالى ولا من سنّة صحيحة، ولا من عمل الأئمة الراشدين توارثها الخلف عن السلف منذ مقتل السبط الشّهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، في يوم عاشوراء. فمنهم من اتخذه يوم حزن وعزاء تنبش فيه دفائن فتنة عمياء مضت، ومضى أهلها بما عملوا. وانقضت وطوي زمنها بما فيه من شرّ وبلاء.

ومنهم من اتخذه يوم عيد وزينة مقابلة للشيء بضدّه، وأعانهم على ذلك فريق من الناس وضعوا أحاديث في فضل التزيّن فيه افتراء على رسول الله ﷺ.

لم يجنِ المسلمون من هذه المظاهر المثيرة للأحقاد والأضغان إلّا اختلاف الآراء، وتفريق القلوب، وقطيعة الأرحام، ووهن الإخاء، في حين أنّ يوم عاشوراء يوم عبادة

(١) سليمان ظاهر، هدى النبوّة في يوم عاشوراء، مجلّة العرفان، المجلّد الثامن والثلاثون، الجزء الثالث، شباط ١٩٥١ م، ص٢٦٤ – ٢٦٨.

وطاعة لله فحسب، وإنّ إجماع المسلمين منعقد على أنّه ليس من تعاليم الإسلام اتخاذ أيّام وفاة الأنبياء والشّهداء والصالحين من المؤمنين أيّام مأتم وعزاء، فلم يتخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يومي وفاة خديجة وحمزة يومي ذكرى ورثاء. ولم يتّخذ الصحابة يوم وفاة الرسول نفسه يوم ذكرى وبكاء. كما أنّ الإسلام لا يجيز في مبادئه العامّة أن تتّخذ هذه أيّام عيد على خلاف المعتاد فيما قبلها وما بعدها من الأيّام.

ثمّ انتهى من مقاله هذا إلى حثّ المسلمين على ترك ذكرى هذا اليوم. الشيعة منهم باتخاذه يوم حزن وعزاء.. والسنّة ونستثني منهم الكثيرين باتخاذه يوم زينة وعيد وهناء، كيف ومنهم من يقول في ذكرى هذا اليوم وهو أبو الحسين الجزّار المصريّ[1]:

ويعود عاشوراء يذكرني ... رزء الحسين فليت لم يعد
يا ليت عينًا فيه قد كحلت ... لمسرّة لم تخل من رمد
ويدًا به لمسرّة خضّبت ... مقطوعة من زندها بيدي
أنّى وقد قتل الحسين به ... فأبو الحسين أحقّ بالكمد

ومن قبله يقول الإمام الشافعيّ باكيًا الحسين كما رواه في المناقب:

تأوه قلبي والفؤاد كئيب ... وأرقّ نومي فالسهاد عجيب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
ذبيح بلا جرم كأنّ قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إعوال وللرمح رنّة ... وللخيل من بعد الصهيل نحيب

(١) [مركز تراث كربلاء] هو جمال الدين أبو الحسين يحى بن عبد العظيم الجزار المصري، المعروف بالجزار، هو أحد الشعراء الصعاليك في العصر المملوكي. ولد بالفسطاط عام ٦٠١هـ ونشأ فيها، وتوفي في الثامن عشر من شوال عام ٦٧٢هـ، وهو أحد شعراء القرن السابع الهجري. للتفاصيل ينظر: جواد شبر، ادب الطف، ج٤، ص٧٨.

تـزلـزلـت الـدنـيـا لآل محـمّـد وكـادت لهـم صـم الجـبـال تـذوب
وغـارت نجوم واقشعرت كواكب وهـتـك أسـتـار وشـق جـيـوب
يُصلّي على المبعوث من آل هاشم ويُـغـزى بـنـوه إن ذا لعجيب
لأن كـان ذنـبـي حـب آل محـمّـد فـذلـك ذنـب لـسـت عـنـه أتـوب
هـم شفعائي يـوم حشري وموقفي إذا مـا بـدت لـلـنـاظـريـن خطوب

والإمام البويصريّ[1] يقول في همزيّته الرائعة الكبرى الخالدة:

وبـريحـانـتـين طـيـبـهـما مـنـ ـك الـذي أودعـتـهـما الـزهـراء
كـنـت تـأويـهـما إلـيـك كـمـا آ وت مـن الخـط نـقـطـتـيـهـا الـيـاء
مـن شـهـيـديـن لـيـس ينسيني الـ ـطـف مـصـابـيـهـا ولا كـربـلاء
مـا رعـي فـيـهـما ذمـامـك مـرؤ س وقـد خـان عـهـدك الـرؤسـاء
أبـدلـوا الـودّ والحـفـيـظـة بـالـقـر بـى وأبـدت ضـبـابـهـا الـنـافـقـاء
وقـسـت مـنـهـم قـلـوب عـلـى من بـكـت الأرض فـقـدهـم والـسـمـاء
فـابـكـهـم مـا اسـتـطـعـت إن قليلا في عـظـيـم مـن المـصـاب الـبـكـاء
كـلّ يـوم وكـلّ أرض لـكـربي مـنـهـم كـربـلاء وعـاشـوراء
آل بـيـت الـنـبـيّ إنّ فـؤادي لـيـس يـسـلـيـه عـنـهـم الـتـأسـاء
ربّ يـوم بـكـربـلاء مـسيء خـفّـفـت بـعـض وزره الـزوراء
أنـا حـسـان مـدحـكـم فـإذا نـحـت عـلـيـكـم فـإنّـنـي الخـنـسـاء

(١) [مركز تراث كربلاء] شاعر مصري، ولد في بني سويف عام ٦٠٨هـ، لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة صنهاجة إحدى أكبر القبائل الأمازيغية، اشتهر بمدائحه النبوية. أشهر أعماله البردية المسماة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، توفي بالاسكندرية عام ٦٩٦هـ. للتفاصيل ينظر: جواد شبر، ادب الطف، ج٤، ص١٢٢.

ولا يتسع لنا المجال لأكثر ممّا نقلنا عن أعاظم رجالات أهل السنّة والجماعة من بكاء الإمام الحسين عليه السلام ورثائه، وهو يستغرق مجلّدًا، وما رثاه به الشعراء قديمًا وحديثًا من الشعر الخالد من الفريقين السنّة والشيعة هو ممّا يستوعب المجلّدات، وحسبنا ممّا أوردناه ما يكفي من التدليل على أنّ من أعلام السنّة من يشارك الشيعة في أحزان يوم عاشوراء بلا نكير. ورحم الله الشّيخ عبد الباقي العمري من فحول شعراء العراق في المائة الثالثة عشرة الهجريّة، حيث يقول:

نحن قوم إذا ما قد حلّ شهر المحرّم
فكلّ شيء علينا سوى البكاء محرّم

هذا ولنعد إلى بحث الكاتب وما نقره عليه منه. وما للكلام فيه مجال ومجال. وليس من غرضنا الجدال، بل إيضاح حقيقة الحال، ولم يكن حرصنا أقلّ من حرصه على توحيد كلمة أهل التوحيد وهو ما نهدف إليه في كلّ مناسبة، ونعمل له مع العاملين منذ دراستنا العلم ومنذ عرفنا ما بين السنّة والإماميّة من الشيعة من اختلاف في أمور جلّها لا يمسّ العقيدة الإسلاميّة المشتركة في قليل أو كثير، وهي روح الإسلام ومعناه، ومنها ما لا يترتّب على الخلاف فيه ثمرة علميّة. وفي بحثه بروح الإخلاص، وبما لا يخرج عن الإنصاف ما يزيل شقة البين بين الفريقين، ويقضي على التباعد الذي ذهبت دواعيه وأسبابه، وانقضت أيّامه غيره أسوف عليها، وفي مشاكل المسلمين في هذا المحيط العالميّ الماديّ المضطرب بمختلف المبادئ الهدّامة، وبكلّ ما يسيء إلى دينهم ودنياهم ما يدعوهم إلى نبذ كلّ ما يفرق كلمتهم، ويصدع بيضة جامعتهم. ويمكّن منهم أعداءهم، وهم عدد الرمل والحصى والتراب.

أمّا مقال الأستاذ الطويل فإنّا نحمد منه كلّ ما يرمي إلى اتفاق المسلمين ونقره على بدعة اتخاذ يوم عاشوراء يوم زينة وعيد كما هو الواقع، وهو ما يحكم به العقل والعرف

والشرع فإنّ يومًا جمع فجائع الدنيا، وهو مضرب الأمثال إلى انقضائها في مصائبه ونوائبه، ومن نزلت بهم تلك الفجائع، وهم عدد قليل لا ينشدون ملكًا ولا سلطانًا، ولا علوًّا في الأرض واستكبارًا. وإنّما سخوا بنفوسهم العزيزة، وأرخصوها، وهي أغلى النفوس لأسمى الأغراض وأغلاها ألا وهي مقاومة سلطان الجور وإعلاء كلمة الحق، وقد انتقص من أطرافه، وجلّ ولاة المسلمين منحرفون عن الدين، والمعتصمون به والمتمسكون بعروته الوثقى، هم المستهدفون لذلك السلطان الجائر، والحسين بن علي عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة وبضعة الرسول وأهل بيته عليهم السلام. والخيرة المختارة أصحابه المأخوذ عليهم من الله ورسوله أن لا يقرّوا الظلم في نصابه، وأن لا يقرّوا الجائر على جوره، يحكم بما يمليه عليه الهوى لا بما أنزل الله تعالى فهل من المستهجن أن تستفيض العبرات، وتذكي القلوب حسرات ذكرى مآسي ذلك اليوم، وهي المثيرة لهما، والدافعة إليهما اضطرارًا لا طوعًا واختيارًا، وهل من المستحسن أن تكون لفريق آخر داعية عيد وزينة، ومظنة حبور وسرور؟!

كانت مآتم بالعراق تعدّها أمويّة بالشام من أعيادها[1]

فلا جرم أنّ العقل والشرع والعرف والذوق كلّ أولئك يستحسن صنيع المحزونين، وهم يشاركون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في أحزانه، ويستهجنون عمل المسرورين في أعيادهم وزينتهم، وهل للبدعة المنهي عنها مظهرٌ أجلى من هذا المظهر حتى لو فرض أنّ من السنّة اتخاذ ذكرى ذلك اليوم عيدًا وزينة لكان من السنّة نسخها بما نزل به من المصائب على أهل البيت الكريم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. على

(١) [مركز تراث كربلاء] البيت الشعري للشريف الرضي، من قصيدته(هذي المنازل بالغميم فنادها). ينظر: ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ص٢٦٨.

أنّ المألوف والمعروف عند الأمم قديمًا وحديثًا أنّهم أصيبوا بفقد عظيم من عظمائهم أن يحولوا أعيادهم وزينتهم مآتم. ولا ينكر ذلك عليهم منكر، بل ومنهم من يتّخذ ذكرى وفاتهم، ولو ماتوا على فراشهم في أيّام أعيادهم مواسم للحزن السنين المتطاولة بدل الفرح والسرور، ومباهج تلك الأعياد. وفي ذلك وحده ما ينفي القول ببدعة الحزن يوم عاشوراء، وهو ما ذهب إليه الكاتب، وتابع فيه ثلّة ممّن غلب عليهم الهوى، ووثقوا بما وضعه القصّاصون من حديث يصادر الحديث المستفيض، وما شاع وذاع وملأ الأسماع من ارتكاب يزيد تلك الجريمة التي نسخت بأهوالها وفظائعها وموارداها ومصادرها كلّ ما حدث ويحدث من الجرائم إلى قيام الساعة.

فإنّك ترى أنّ ابن تيمية يدافع عن يزيد ويقول: وجرت في إمارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين عليه السلام وهو لم يأمر بقتل الحسين عليه السلام، ولا أظهر الفرح بقتله، ولا نكت بالقضيب على ثناياه عليه السلام ولا حمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام... إلخ.

وأمّا الأمر الثاني فإنّ أهل المدينة النبويّة نقضوا بيعته، وأخرجوا نوابه وأهله فبعث إليهم جيشًا، وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثًا، فصار عسكره في المدينة النبويّة ثلاثًا يقتلون وينهبون، ويفتضون الفروج المحرّمة، ثمّ أرسل جيشًا إلى مكّة المشرّفة فحاصروا مكّة، وتوفي يزيد وهم محاصرون مكّة إلى أن يقول: والصواب هو ما عليه الأئمة من أنّه لم يخص بمحبّة ولا بلعن فإن كان فاسقًا أو ظالمًا فالله يغفر للفاسق والظالم ولا سيّما إذا أتى بحسنات عظيمة.

وقد روي البخاري في صحيحه عن ابن عمر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أوّل جيش يغزو القسطنطينيّة مغفور له، وأوّل جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية. وكان معه أبو أيوب الأنصاريّ.

فأنت ترى أنّ ابن تيمية يكاد يكون عاذرًا ليزيد ويرجو له الغفران عن موبقاته من قتل الحسين وإباحة المدينة ثلاثًا ومن ختامها حصار مكّة، وموته بعد ذلك وإن لم يقم الدليل ولم يأت به على توبته، ويتّخذ الحديث دليلًا على الغفران له بكونه أمير الجيش الغازي للقسطنطينيّة. وهذا الجيش الغازي يحدث عنه ابن الأثير في الجزء الثالث ص٢٣١ من كامله في حوادث سنة ٤٩ قال: في هذه السنة، وقيل سنة خمسين سيّر معاوية جيشًا كثيفًا إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل، فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم ... بالقرقدونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا ... بدير مران عندي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقنّه بسفيان؛ وإنك لترى أنّ الأمير الغازي هو سفيان بن عوف لا يزيد، وعلى تقدير صحّة الرواية فالمغفور له هو سفيان لا يزيد.

هذا ومن العجيب التوقّف في سب يزيد قاتل الحسين، ومبيح أعراض نساء أهل المدينة سفّاحًا، ومحاصر بيت الله الحرام الذي جعله الله آمنًا للناس، ولا يكتفي ابن تيمية بأنّها موجبة للعنة، بل حتى ولا بالتوقّف في أمره ويلتمس له المغفرة.

ويقول ابن خلكان في م١ ص٤٦٥ في ترجمة الكيا الهراسي: وسئل الكيا عن يزيد بن معاوية فقال: إنه لم يكن من الصحابة لأنّه ولد في أيّام عمر بن الخطاب. وأمّا قول السلف في لعنه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح. ولمالك قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح. ولنا قول واحد التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، والمتصيّد بالفهد ومدمن الخمر. وشعره في الخمر معلوم

ومنه قوله[1]:

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكلّ وإن طال المدى يتصرّم
و لا تتركوا يوم السرور إلى غد فرب غدّ يأتي بما ليس يعلم

وكتب فصلًا طويلًا، ثمّ قلب الورقة وكتب لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل.

وأورد ابن خلكان بعد ذلك جوابًا للإمام الغزالي، وقد سئل عن يزيد فسلك في الجواب مسلكًا مناقضًا لهذا المسلك محكّمًا الرأي فيما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد.

(١) [مركز تراث كربلاء] ابيات تمثل واقع حال يزيد(لع) من لهو مجود وشرود للدنيا على حساب الاخرة . ينظر: الدميري، حياة الحيوان، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ج٢، ص٣٠٦.

هدى النبوّة في يوم عاشوراء[1]

يقول المحقّق سعد الدين التفتزاني في شرح العقائد النسفيّة: إنّما اختلفوا(السلف المجتهدون والعلماء) في يزيد بن معاوية حتى ذكر في الخلاصة وغيرها أنّه لا ينبغي اللعن عليه ولا على الحجّاج؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لعن المصلّين، ومن كان من أهل القبلة، وما نقل عن لعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لبعض من أهل القبلة فلما أنّه يعلم من أحوال الناس ما لا يعلمه غيره، وبعضهم أطلق اللعن عليه لما أنّه كفر حين أمر بقتل الإمام الحسين عليه السلام واتفقوا على جواز اللعن على من قتله، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. والحق إنّ رضاء يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السلام، واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم(ممّا تواتر معناه وإن كان تفاصيلها آحادًا، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه-لعنة الله عليه- وعلى أنصاره وأعوانه).

وأمّا دعوى بدعة الحزن على الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إن سلمت فهي ممّا يستحسن من البدع كاستحسان كثير ممّا حدث بين المسلمين ولم يسنّه الإسلام، ولم يمنعه علماؤهم العارفون بمصادر السنن وموارادها، بل أقرّوه كالاحتفال بذكرى المولد النبويّ والمعراج، والهجرة النبويّة في أوّل المحرّم كلّ عام، مع أنّ الهجرة سابقة عليه إلى كثير من أمثالها ممّا هو معروف ومألوف، وما لا يخالف تعاليم الدين الحنيف، ولم ينكره العلماء. وأنّ لذكرى يوم عاشوراء التي لم تشذّ عن تلك الذكريات والتي درج عليها الشيعة في

(١) سليمان ظاهر، هدى النبوّة في يوم عاشوراء، مجلّة العرفان، المجلّد الثامن والثلاثون، الجزء الرابع، آذار ١٩٥١م، ص٣٨٨ - ٣٩١.

مختلف العصور وشاركهم الجم الغفير من إخوانهم السنّة في أحزانها وأشجانها، فوائد يعرفها كلّ من حضر مجالسها، واستمع إلى خطباء منابرها، ولا سيّما في العصور الأخيرة، وهم يتخيّرون أبدع الأساليب المؤثّرة في الجماعات من عظات بالغة، ومن إرشادات حكيمة، ومن سرد لوقائع تاريخيّة حدثت قبل الإسلام وبعده، ومنها سيرة النبيّ ﷺ وسيرة أصحابه الصالحة، والسلف الصالح، وبيان عظمة الإسلام، وتشخيص أدراء المسلمين، ووصف الدواء الناجع، وحثّهم على الأخذ بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويردّ عنهم عادية أعدائهم، ويخلصون إلى ذلك كلّه إلى ما للحسين وشهادته من أثر بيّن في إعلاء كلمة الحقّ، والدفاع عن حوزة الدين، ومناهضة المنحرفين عن تعاليمه، ومحاربتهم بالعدد القليل حربًا لا هوادة فيها وإن كان في قياسه بعددهم الأكثر كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. وإن جرت عليه وعلى ولده وأبناء عمومته وأنصاره، وما جرت من المثلات والمثلة الفذّة لا في تاريخ الإسلام فحسب، بل فيه وفي تاريخ الأمم كافّة. وهل قصة يوم الطف في دوافعها وملابساتها، وما نتج عنها من تقويض السلطان الأموي القائم على أساس الجور إلّا كقصص القرآن المجيد المشتملة على ما لقوم من مساوئ ومقابح، وما لقوم من مناقب ومحاسن، وما صار الأمر إليه أمر الفريقين من مصائر مخزية أو معلية، وحسبك ما بلغ مقتل الإمام الحسين عليه السلام من أثر في النفوس، ومن استعظام خطبه، واستفداح رزيّته، ومن سخط عظيم على بني أميّة ما جاء في نفح الطيب: وأمّا بنو أميّة فمنهم خلفاء الأندلس. قال ابن سعيد: ويعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين. وإنما عمّوا نسبهم إلى أميّة في الآخر لما انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين عليه السلام[1].

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ)، ج١، ص٢٩٠.

ومن ذلك يتبيّن للكاتب أنّ الحزن على الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء على افتراض أنّه بدعة فهو من البدع المستحسنة لا المستهجنة؛ لما له من الأثر المتّصل بروح الإسلام، وإذا أطلنا الكلام في استحسانه، ونفي بدعته من حيث ما يقتضيه العقل والعرف فما معنى ذلك أنّه يعوزنا الدليل على أنّه من أظهر موارد السنّة كيف وقد استفاض على أئمة أهل البيت عليهم السلام ثقل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله خبر حزنهم في هذا اليوم وحثّهم شيعتهم على اتخاذه شعارًا لهم فيه وفي كلّ ما يعرض لهم من المآسي. وإنّ من أفضل ما كان يتقرّب به إليهم محبوهم وشعراؤهم رثاء الحسين والبكاء عليه، وقد بكاه المأمون وقد أمر دعبلًا الخزاعي[1] أن يتلو عليه قصيدته التائيّة الكبرى ومستهلها:

مـــدارس آيـــات خلـت مـن تـلاوة ومـنـزل وحـي مـقـفـر الـعـرصـات

وذلك بعد أن أحضره وأعطاه الأمان سنة ٢٠٤هـ وكان قد هجاه وهجا أباه، واستنشده هذه القصيدة فاستعفاه فقال: لا بأس عليك وقد رويتها. وإنّما أحببت أن أسمعها منك، فأنشدها دعبل، فلما انتهى إلى قوله: «ألم ترَ أنّي مذ ثلاثين حجّة» الأبيات بكى المأمون، وجدّد له الأمان وأحسن له الصلة.

وإذا لم يكن في ذلك كلّه مقنع للأستاذ فإنّا نحيله على ما أورد علماء السنّة من حديث مستفيض أو متواتر في الحزن على الحسين وهو في متناوله، ومنه كتاب ينابيع المودّة فقد أورد من ذلك الشيء الكثير. وهل بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على الحسين قبل وقوع الكائنة، وقد تلقى خبرها من لسان الوحي لا يرى فيه الدليل الكافي على أنّه من السنّة المؤكدة، فقد

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو أبو علي محمد بن علي بن رزين بن ربيعة الخزاعي، ولد في الكوفة سنة ١٤٨ هـ.، من مشاهير شعراء العصر العباسي ومن الموالين لآل البت عليهم السلام، وديوان دعبل الخزاعي خير شاهد على نبوغه ومقدرته الفذة على سبك القصائد المتينة وحسن اختياره للمواضيع. للتفاصيل ينظر: الصدوق، الامالي، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ)، ص٢٣٩.

جاء في الباب الثاني عشر في إنذاره ﷺ بما سيحدث بعده في أعلام النبوّة للإمام الماورديّ الشافعيّ..

ما رواه عروة عن عائشة قالت: «دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل: يا محمّد إن أمّتك ستفتن بعدك، ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يقتل ابنك اسمها الطف»، فلما ذهب جبريل خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه، والتربة في يده، وفيهم علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: «ما يبكيك يا رسول الله»؟ فقال: «أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أنّ فيها مضجعه».

ألا يكفي أن يكون بكاء النبيّ على الحسين قبل قتله بعشرات السنين ما يتأسى به المسلمون من الحزن عليه يوم عاشوراء بعد وقوع القتل بأفظع صورة وأروعها، وأن يكون سنّة متّبعة معمولًا بها، وقد بكاه الإمام علي عليه السلام وقد مرّ بالطف في خروجه إلى صفّين.

أمّا ما بنى عليه الكاتب من المحاذير في اتخاذ يوم عاشوراء يوم حزن وعزاء من نبش دفائن فتنة عمياء مضت ومضى أهلها بما عملوا وطوي زمنها بما فيه من شر وبلاء، وإنّه من المظاهر المثيرة للأحقاد والأضغان، فإنّه مخالف لما جرت عليه سنّة العقلاء، ولسنّته تعالى في كتابه المجيد بما قصّه من أخبار الأمم السالفة من محاسن وقبائح للعبرة بإحسان المحسن وإساءة المسيء، وكم لله من حكمة في المحمدة الحقّة والمذمّة الحقّة، وهل ابتني التاريخ إلّا على هذا الأساس، وعلى غير هذه النتيجة، وأيّة قيمة له إذا لم تكن هذه ثمرته التي قصد إليها المؤرخون. وما كانت ذكرى يوم عاشوراء مثيرة للأحقاد والأضغان كما

تخيله الأستاذ، بل هي من دواعي اتفاق المسلمين، وهي تتناول بالذم إلّا إلى من أساؤوا إلى الإسلام، وكانت أعمالهم المعاول في تهديم صرح جامعتهم وألفتهم، وكلّ ما نجم بينهم من خلاف ولو كان في هذه الذكرى ما يمسّ كرامة سلف الأمّة الصالح، أو يثير الأحقاد والأضغان لما فسحت لها عواصم الإسلام المجال لإقامتها، ومشاركة السنّة للشيعة في مآتمها وحضور مجالسها. والسنّة بالطبع هم الأكثريّة الساحقة فكانت تقام في عاصمة العثمانيين الاستانة، وفي القاهرة عاصمة الدولة المصرية كما تقام هذه في بيروت عاصمة لبنان، ودمشق عاصمة سوريا، وفي الهند والباكستان، وفي كلّ بلد إسلاميّ بلا نكير ولا معارض، ولا غرو فالحسين سبط النبيّ الكريم، ومن إيمان كلّ مسلم أسنيًّا كان أم شيعيًّا حبّه في الله، واستعظام ما لاقى في سبيل الله، ولست أنسى كتابًا أطلعني عليه بعض الفضلاء من طلّاب الأزهر بعث به إليه العلّامة المرحوم الشّيخ محمّد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار الإسلاميّ في أيّام إقامة مأتم هذه الذكرى يتمنى به أن يكون للسنّة مثل هذه الذكرى، وكان المرحوم الأستاذ الإمام الشيّخ محمّد عبده المصري ممّن يحضر مآتمها في القاهرة الذي كانت تقيّمه الجالية الإيرانيّة، كما كان يحضرها في الاستانة الكثير من رجال العلم والسياسة، وحسبك أن ترى في هذه الأيام فريقًا من كتّاب أهل السنّة من ألّف الكتب الممتعة في مأساة الطف، وفلسفتها، فمن مصر العلّامة عباس العقّاد، والأستاذ علي جلال الحسينيّ، ومن لبنان الأستاذ الشّيخ عبد الله العلايليّ وكثير غيرهم، ولو كان في ذلك ما يصدع شمل الأخوّة بين السنّة والشيعة، أو ما يغمز في قناتها، بل لو لم يروا كما هو الواقع أنّها من دواعي التقريب بين الفريقين لما اندفعوا هذا الاندفاع، وهم حريصون على وحدة المسلمين، وترى حتى الغريب عن الإسلام من رجالات الغرب من أعجب كلّ الإعجاب من مأساة الإمام الحسين عليه السلام، وما نتج عنها من ضرب المثل الأعلى في التضحية في سبيل المبادئ الحرّة، وفي مقاومة الظلم والظالمين.

وأمّا دعوى الكاتب أنّ إجماع المسلمين منعقد على أنّه ليس من تعاليم الإسلام اتخاذ أيّام وفاة الأنبياء والشّهداء والصالحين من المؤمنين أيّام مآتم وعزاء إلخ. فنسأل حضرته هل قام مثل هذا الإجماع على استهجان ذلك وتحريمه، وهل لدعوى هذا الإجماع محصل بعد أن قام إجماع أئمة أهل البيت عليهم السلام وأشياعهم على استحسانه، بل على استحبابه استحبابًا مؤكدًا وهل مرّ يوم في الدهر سواءً أكان في الجاهليّة أم في الإسلام يشبه يوم عاشوراء في فجائعه، وما ارتكب فيه من الآثام والإسلام في جدّته، وهل من الاختيار أن يحبس دموعه من تمثّل له تلك الفجائع، وهل يحضر على المؤمن وهو يعلم أنّ الإمام الحسين عليه السلام أصابه ما أصابه وأهل بيته وأنصاره عليهم السلام في سبيل أدائه رسالة دينيّة أوجبها الله عليه، والدين ينتقص من أطرافه أن يحزن عند ذكر تلك الفواجع والمصائب؟؟

ردّ الجموح الصعب أسهل مطلبًا ... من ردّ دمع قد أصاب مسيلا[1]

ورحم الله الشريف الرضي القائل:

ورب قائلة والهمّ يتحفني ... بناظر من نطاف الدمع ممطور
خفض عليك فللأحزان آونة ... وما المقيم على حزن بمعذور
فقلت هيهات فات السمع لأئمة ... لا يفهم الحزن إلّا يوم عاشور

وحسب شهادة الإمام الحسين عليه السلام أنّها سنّت للأباة سنّة الإباء، وبعثت في نفوسهم الأسوة. وهوّنت عليهم اقتحام حياض المنايا فترى مصعب بن الزبير حين حاولت سكينة ابنة الحسين أن تثنيه عن لقاء عدوه يقول: هيهات هيهات إنّ أباك الحسين لم يترك لابن حرّة عذرًا).

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هذا البيت الشعري لابو تمام، وفيه يعلل طول الليل وشدته بما لقي فيه من الوجد لرحيل أحبابه عنه، والتشبه هنا لاهل البيت عليهم السلام . ينظر: ابو تمام، ديوان ابو تمام، ج١، ص٨٠.

وإنّ الألى بالطف من آل هاشم تأسّوا فسنّوا للكرام التآسيا[1]

ولعلّ فيما أفضنا فيه من التعليق على كلمة الأستاذ حسنين محمّد مخلوق مقنعًا له، ولمن يرى رأيه بانطواء هذه الذكرى، وأنّى ينطوي لها حديث أو تخمد لها جذوة حزن أو تجف لها عبرة وهي خالدة خلود الدهر. باقية بقاء الذكر.

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٦.

يوم عاشوراء[1]

طلائعه، تطوره، أهدافه:

قرأت في عددي العرفان الماضيين: جمادى الأولى وجمادى الآخرة – تشرين الثاني وكانون الأوّل– بحوثًا حول يوم عاشوراء، فرأيت – والألم يحز في نفسي بعض كتابنا ما يزال ينظر هذا الحادث من زاوية ضيّقة – ولذا عدت للجعبة مفتشًا على ما تتضمّنه حول هذا الموضوع.

وها أنا ذا أتقدّم لإخواني القرّاء بما يجلي هذه الغوامض، مبتهلًا إلى الله أن نشقّ بحيزوم فهمنا السليم بحور ظلمات التاريخ، ونتّخذ من أقلامنا جسرًا تجتازه أمّتنا إلى جمع الكلمة، وتوحيد الشمل، والاقتداء بضحايا المصلحة العامة: أهل البيت النبويّ، ومن عرف فضلهم وسلك سبيل إخلاصهم.

الحسين، إنسان المقلة وبيت القصيد:

من الطبيعي أن يرسل أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام كتبًا، تذكّره بواجبه تجاههم؛ لأنّهم مكبوتون منذ قال لهم معاوية: «والله ما قاتلتكم إلّا لأتأمّر عليكم».

ومن الطبيعي أن يستجيب الحسين نداءهم، اعتمادًا على مناصرتهم، وفرارًا من المؤامرة التي يحيكها مروان للفتك به عملًا بأمر يزيد ومستشاره سرجون الروميّ

(١) محمّد علي الزعبي، يوم عاشوراء طلائعه، تطوره، أهدافه، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والأربعون، الجزء السابع، آذار ١٩٦٠م، ص٦٤٧ – ٦٥٠.

البيزنطيّ[1]!

نعم، لقد أشار مروان على والي المدينة بقتل الحسين، وما إن غادر المدينة حتى تعقّبوه لمكّة فخرج مترقّبًا قائلًا: «والله لو كنت في حجر هامَّة من هذه الهوام لاستخرجوني».

ثمّ توجّه للعراق غير عالم أنّ القلوب معه والسيوف عليه، وما إن تحقّق خذلان مكاتبيه حتى ابتهل قائلًا: «اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا فقتلونا».

وهنا تراه يواجه الأمر الواقع، فإمّا النزول على حكم ابن زياد والاستسلام ليزيد حرصًا على حياة لا يقاس بها الموت، أو الموت كريمًا مستبشرًا بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

أجل، دعوه لينصروه، ولكن اكتفوا من النصر- خشية سيف ابن زياد - بمراقبة المعركة بعين دامعة ودعاءاللهم أنزل نصرك.

التوّابون:

ثمّ أحاطت بمن كاتبوه لينصروه خطيئاتهم، وامتلك الندم قلوبهم، ونهشتهم أفعى وازع الإيمان، ولدغهم ثعبان الضمير، ورأوا دعاء الإمام الحسين عليه السلام جمرًا يتساقط على رؤوسهم وتحقّقوا- ولو بعد خراب البصرة- أنّ القعود عن نصرة الحسين؛ جرم لا يكفره توبة تغسل العيون بمائها الأجسام بدمائها.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] هو سرجون بن منصور الرومي من نصارى الشام، إتخذه معاوية بن أبي سفيان مستشارًا له، وكان مستشارًا ليزيد بن معاوية أيضًا، واستمر في منصبه إلى حكم عبد الملك بن مروان . ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (بيروت: دار الفكر للطباعة، د، ت)، ج٢٠، ص١٦١.

اعترفوا بالجرم فشرعوا يهربون منه، وطلبوا الموت لتوهب لهم الحياة الكريمة، وصمّموا على انتزاع الزمام من الذين اتخذوا الخلافة ملكًا عضوضًا، وسلعة يورثها الشخص بنيه وذويه.

ها هم بضع ألوف يمرّون بالأرض التي ضمّت جسد الإمام الحسين عليه السلام مبتهلين: (اللهم ارحم حسينًا، الشّهيد ابن الشّهيد المهدي ابن المهدي الصديق ابن الصديق، اللهم إنّا نشهدك إنّا على دينهم وسبيلهم).

ثمّ يهبطون ساحة الموت عام ٦٥هـ فتكلّ سواعدهم، وتثلم سيوفهم، وتستريح أجسادهم، وتشرق أرواحهم، وتعيش عزائمهم، وتخلّد بطولاتهم، وتضمّ أرض(عين وردة) رفاتهم، ويحتفظ التاريخ بشعارهم(الرواح إلى الجنّة).

كـأنّهـم يـــردّون المـــوت مـن ظمأ أو ينـشـقـون مـن الخـطـيّ ريحـانـا

لقد وضعوا- وهم التوّابون بحقّ- حجر الزواية الذي أججّ في النفوس معرفة ما تنطوي عليه نفسيّات مؤسّسي الملكيّات المطلقة، وموجدي ولايات العهود، واتخذوا من جماجمهم حافزًا يرمي الجائرين والمنحرفين بشرر من نقمة الرأيّ العام، فاستنكروا المأساة استنكارًا عمليًّا، وشاطرهم جميع مسلمي وعقلاء العالم استنكارها، ووضعوا باجتماعهم حول جسد الحسين أوّل مجلس من مجالس المحرّم أو أوّل يوم من أيّام(حزن عاشوراء).

التوّابون الأحياء:

لقد مات التوّابون بأجسادهم، واقتفى المعارضون سيرتهم، فعقدوا مجالس احتجاج حول قبر الإمام الحسين عليه السلام وشرعوا يمرّون بذاك اليوم بخشوع ورهبة، ويعقدون به وبما سبقه مجالس تشحذ النفوس، وتدفع للموت، ظاهرها عبادة يدعمها روايات، وحقيقتها

احتجاج وتصميم على التضحية.

ولا ريب أنّ خطباء تلك المجالس كانوا يذكرون مناقب أهل البيت عليهم السلام، ويتغنون بدفاعهم عن الإسلام، وتضحياتهم في سبيل المصلحة العامّة، وينفذون من ذلك ولو تعريضًا لما يكشف نفسيّات معاصريهم من الملوك وولاة العهود وبطانتهم من ولاة الجور.

لقد اقتضت تلك المجالس مضجع الدولة فشرعت تحاول الحدّ من قوّتها، وتدسّ من بطانتها من يقيم احتفالًا بيوم الغار الواقع في ٢٨ ذي الحجّة، واحتفالًا بذكرى قتل عبد الله بن الزبير الواقع في ١٨ المحرّم لتردّ بها على عاقدي مجالس المحرّم.

ولم تكشف الدولة بهذا الردّ، بل شرعت بلسان تلك البطانة تحضّ الناس على اتخاذ العاشر من المحرّم عيدًا يظهرون به جديد الثياب، وكامل الزينة، ويتبادلون الهدايا، وفاخر الأطعمة.

وما أن دالت أميّة حتى انزوت احتفالات يوم الغار ويوم عبد الله بن الزبير، وجاء المتوكل العبّاسيّ يهدم الضريح القائم على جسد الإمام الحسين عليه السلام خشية انعقاد تلك المجالس والمتّقي العبّاسيّ يأمر بهدم جامع(براثا) الذي أصبح مركزًا لها، ليضعا على جذوة المعارضة في تلك المجالس سائلًا جديدًا!!

ثمّ استقبلنا عصور الجهل والانحطاط فاقتصرنا في مجالس المحرّم على سرد الروايات بأصوات شجيّة، واكتفينا بتوجيه لا يحسّ الزمن الذي نعيش فيه، ولا بذكر السامعين يقول الشاعر:

كلّ عصر فرعون وفيه موسى وأبو جهل في الورى ومحمّد
وابن حرب وحيدر ويزيد كلّ عصر مصائب تتجدّد!

ناسين إنّ الذين أسّسوا المجالس أرادوا منها المحافظة على منهاج الحسين والموت اقتداءً به. حرصًا على جمع الكلمة بانتزاع الزمام من الذين دفعوا السفينة العامّة لهاوية الغرق.

وهكذا مرّت قرون أولها العصر العبّاسيّ الثاني، وآخرها القرن الحاضر، وجلّ خطباء مجالس الحسين، يجهلون استنتاج الفائدة التي أسّست لها تلك المجالس، فلا يوجهون للتضحية في سبيل المصلحة العامّة ولا يتعرضون بمرض سياسيّ يفتك بعصرهم.

موقف الملوك من هذه المجالس:

نعم لم يكن الخطباء يعرضون بملوك زمانهم، وعلى الرغم من هذا رأينا الدول العربيّة والإسلاميّة على طرفي نقيض فمنها من يشجّع المجالس ويرغم عليها ويضع ما يمجّه الذوق، ويغضب التشريع الذي نحترم أهل البيت الذي أنزله الله فيه، كبني بويه الذين ألزموا الناس عام ٣٥١ هـ بغلق الأسواق، وأخرجوا النساء منشورات الشعور، وسنّوا سنّة التمثيل المخجل الذي يرينا أهل البيت بثوب الإهانة والإزدراء، ومنها ما يحول دون تلك المجالس، ويعاقب فاعليها كالترك العثمانيين!

موجة وعينا الحديث:

وما أن أناخت في رحابنا موجة الوعي الحديث حتى شرعنا نعود للأصل الذي قصده التوّابون، فنوقظ الهمم، ونناهض الظالمين، وننعي على دول الاستعمار نكثها أو مؤامرتها، ونكشف أسرار الذين يسيرون بركابها كطلائع لتخليد استعمارنا مستترين بالوطنيّة والإخلاص، سواء أزعموا التسنن أو التشيّع، ونتّخذ من تلك المجالس وسيلة لجمع الكلمة، وتصفية النفوس ممّا اعتراها من رواسب السياسة التي ارتدت ثوب الدين،

وندعو للالتفاف حول أركان الإسلام الخالدة، وقبول المعذرة في الفرعيّات والظنيّات، وننادي بأنّ تبعة ظلمات التاريخ موضوعة على عاتق حاملي أوزار التاريخ وحدهم، وهم ليسوا سنيّين ولا شيعة لأنّهم ليسوا مسلمين!

خير الأمور أوسطها:

العامّة في كلّ زمان لا يعرفون فضيلة التوسّط، ولذا ترى بعضهم يرى إقامة مجالس المحرّم شعيرة من شعائر دينه، وبعضهم يراها من البدع التي تجب مناهضتها.

أمّا الفئة الناضجة المؤمنة الجريئة فتغتنم فرصة عقد هذه المجالس لتقوم بواجب التوجيه السليم الذي نذرت نفسها له ولا تنكر إلّا الندب والتمثيل الذي ربّما ذهب ضحيتها أنفس طاهرة بريئة إذا صرّح أهل العلم بحرمة ضرب الأجساد، بل أفتوا بأنّ من ذهب ضحيّتها ربّما ذهب ضحيّة مسلوبة الإيمان؟

ثورة الحسين أنقذت ثورة جدّه[1]

مضى الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء، فخلّف بذلك أثرًا لا يمحى، وما يزال باقيًا ما بقي للتاريخ ذكر في ذلك اليوم، إنّ هذا الأثر هو مزيج من شعور الحب والوفاء والإعجاب والرحمة والتقديس، كأشرف ما تختلج به نفوس الأحياء، إنّ هذا الشّهيد أكرم من الناس أجمع، لأنّه بذل لهم وللدين أغلى ما عنده، وهم لم يبذلوا له إلّا قليلًا من كثير، فلذلك كان أكرم من الناس أجمع، وله فضل في الشهادة يرجح بأفضال؛ لأنّ من الشّهداء من يتركون الدنيا لأنّهم لم يصلحوا للبقاء فيها، وأمّا شهيد كربلاء فقد ترك الدنيا وهي مقبلة عليه، تركها لأنّه أرادها كما يرضي الله، ولم يرضَ بأنّ تريده كما يرضي الخونة الذين لا يعملون إلّا لأنفسهم يعملون لأجل الجاه، يعملون لتمزيق الوحدة الإسلاميّة، التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ هذا الشّهيد هو أعظم بطل شهده التاريخ منذ أن خلقت الدنيا، وكتب للإنسان الوجود فيها؛ لأنّه قد حصلت له حياة يزهد بها مثله، ويتهافت عليها غيره ألوف وألوف، إنّ هذا الشّهيد هو شرف لكلّ مسلم متمسك بإسلاميّته، ذلك الشّهيد الذي أعلن للعالم كلّه بأنّ المسلم المتحرّر يأبى الضيم.

ذلك الشرف هو الذي يردّده في كلّ سنة يوم كربلاء، جعله السفّاكون يوم الدم، وجعلوه عيدًا من أعيادهم يحتفلون به في كلّ سنة، ولكنّ الله جعله يوم الحزن والبلاء،

---

(١) نجيب سويدان، ثورة الحسين انقذت ثورة جدّه، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والأربعون، الجزء التاسع، آيار ١٩٦٠م، ص٨٤٤-٨٤٥.

من كالحسين؛ إنّه شهيد الحريّة والكرامة والإباء؟ وهل تستقر أركان المبادئ السامية إلّا باستشهاد أبطالها؟ من كالحسين في الحسب والنسب إذا تفاخر الناس في أحسابهم أو أنسابهم؟ إنّ أباه علي وإمّه فاطمة، ألم يعترف بذلك خصمه يزيد عندما قال لجلسائه: فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمي؟.

أجل إنّه يحقّ لكلّ متعجب أنّ يتعجب من هذا الشخص لأنّه عندما يعترف بذلك لماذا يجرم هذا الإجرام العظيم؟.

فلأجل ذلك لا تستغرب أيها الإنسان الفطن إذا رافق الخذلان مجتمعنا، من كالحسين جامعًا لكلّ هذه المكارم أنّه سيّد شباب أهل الجنة أبى أن يكون عبدًا ذليلًا عندما بويع يزيد، لأنّه لم يصبر على الضيم، بل بذل الجهد لتحرير الأمّة من هذه البيعة الوخيمة... لأنّها سلبت حقّ الاختيار فلذلك صاحت.

في ذكرى الإمام الحسين[1]

دروس وعبر[2]

التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى تاركًا لنا كتاب الله نحلّ حلاله، ونحرّم حرامه، ونتمسّك بآدابه، كما ترك لنا سنّته العامرة بالهدى والرشاد نعمل بوصاياها، ونتمسّك بأهدابها حتى لا نضلّ ولا نشقى، كما ترك لنا من بعده عترته وآل بيته نتخلّق بأخلاقهم، ونسير على منوالهم، ونقتدي بفعالهم. والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام من صفوة آل البيت عليهم السلام. سليل النبوة وحفيد الرسول ﷺ ونجل الإمام علي عليه السلام بطل الإسلام وقرّة عين الأنام وأمّه السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

نذكره اليوم فنرى أنفسنا أمام رجل هانت الحياة عنده حين عزّت العقيدة، وصغرت الدنيا في نظره، حين كبر المقصد وسمت الغاية، فاستبسل في مواطن البأس، واستمسك في مزالق المحنة، وما وهن لما أصابه في سبيل الله، وما ضعف وما استكان ولكن خطّ بدمه الزكي الطاهر على أرض الفناء وثيقة الخلود في سجل الشّهداء في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[3].

---

(١) ملخص الخطبة الجامعة التي ارتجلها فضيلة الشّيخ حامد محمود إسماعيل مبعوث الأزهر الشريف في أحد مساجد صيدا بمناسبة ذكرى أبي الشّهداء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(٢) حامد محمود إسماعيل، في ذكرى الإمام الحسين دروس وعبر، مجلّة العرفان، المجلّد الثامن والأربعون، الجزء الأوّل، أيلول ١٩٦٠م، ص٤١ – ٤٥.

(٣) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٦٩–١٧٠.

نذكره اليوم فنجد أنفسنا أمام الثائر الأوّل على الظلم والظالمين، والمحرّر للروح الإسلاميّة لأن نخضع في كنف الطغاة والمستبدين. أليس هو القائل في آخر أيّامه: «ليرغب المؤمن في لقاء الله عزّ وجلّ فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما».

بأبي أنت وأمي يا بن بنت رسول الله ويا سيّد الشّهداء لقد صدقت وبررت فيما قلت: «إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا أرى الحياة مع الظالمين إلّا برما». إنّك تعلّمنا بذلك دروسًا في الكرامة والعزّة والحياة الحرّة الكريمة. إنّك تعلّمنا كيف يكون المؤمن بربّه شجاعًا في الحقّ لا تروعه كشرة الموت، ولا ترهبه صولة الباطل، ولا تلهيه زهرة الحياة عن أداء رسالة الحقّ والخير والإيمان حتى إذا عاش عاش عزيزًا، وإذا قضى قضى مع الأبرار كريمًا ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[1].

أنا إن عشت لست أعدم قوتًا وإذا مت لست أعدم قبرًا
همّتي همّة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلّة كفرًا[2]

وهكذا كان الإمام الحسين عليه السلام.. لقد ثار أوّل ما ثار على أن يكون على رأس المسلمين رجل ماجن فاسق عربيد كيزيد فأراد أن يمسح تلك الوصمة التي لطخت جبين المؤمنين بتولية هذا الفاجر عليهم، وما قبلت نفسه الحرّة الأبيّة أن يعيش المسلمون في ذلّ وضيم وشقاء في كنف يزيد، فخرج مهاجرًا إلى الله من المدينة إلى مكّة ثمّ من مكّة إلى الكوفة

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ابيات للشافعي تعبر عن القناعة والاعتزاز بالرضا بما قسم الله . ينظر: الشافعي، كتاب الام، (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٩٨٣م)، ج١، ص١٤.

استجابة لدعوة الصارخين به المنادين له. وما خرج -رضوان الله وسلامه عليه- حين خرج إلى الكوفة طامعًا في حكم أو متطلّعًا لمغنم. وشاءت الأقدار أن تتجمع كتائب البغي والضلال ضدّ جماعة الحسين كما شاءت الأقدار أيضًا أن يقع الحسين العظيم شهيدًا فتتلقاه ملائكة الرحمن، وتمسح عن جبينه الطاهر ما علّق به من تراب الأرض.

وكانت الفجيعة الكبرى التي انفطرت لها قلوب الملايين من المسلمين، وكانت مأساة الاعتداء الغاشم على آل بيت رسول الله بهذه الصورة الوحشيّة والطريقة الإجراميّة التي سجّلها التاريخ في سجل الخزي والعار والشنار..

فأين أولئك القتلة الفجرة من غضبة الله وجبروته وانتقامه؟ وأين هم من لعنات السماء والأرض تصبّ عليهم صبًّا وهم في أجداثهم؟ وأين هم من حكم التاريخ عليهم وحشره لهم في زمرة السفاحين الأشرار؟؟

لئن ذاقوا يومهم طعم الانتصار فترة فإنّما هي فترة الإمهال يمهلها الله لكلّ ظالم مستبد سفّاح فاجر أثيم، فإنّ الله يمهل ولا يهمل، وإنّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾[1].

ولئن ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وروحه من أجل العقيدة والمبادئ والمثل فليس ذلك لأجل أن نبكي عليه أو نملأ الدنيا نواحًا ونحيبًا، وبكاء وعويلا، ولكن ضحّى لأجل أن يعلّمنا كيف نضحّي، وكيف نجود بالنفس والنفيس، وكيف نبذل كلّ مرتخص وغال، وكيف تهون علينا نفوسنا وأرواحنا وأموالنا، وكلّ عزيز لدينا،

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

حيث يتطلب الأمر منا هذا البذل وذلك الفداء﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[1].

إنّ الاستعمار والصهاينة اليوم يتربّصون بنا ويتلمظون لنا، ويريدون أن ينالوا منا، وأن يلطخوا أرضنا بدمائنا. إنّهم اليوم ابتلاء للشرق في رجولته، ومحنة للعروبة في إيمانها بكرامتها، ويوم الفصل للوحدة العربيّة في عزّتها وسيادتها.

وليس الوقت وقت كلام وخطب، ولا وقت هتاف وصخب، وإنّما هو وقت التضحية بالأنفس، والأموال يحدوها الإيمان بالحقّ، والجود بالدماء والأرواح، والجهاد بضمائر ناصعة نقيّة فالأمر أمر فصل وما هو بالهزل.

فيا أيها الشباب هذا ميدان الكفاح فادخلوه، وفي يمينكم السلاح، وفي يساركم الإيمان بالحقّ، وفي قلوبكم الاعتماد على ربّكم ينصركم ويثبّت أقدامكم.

ويا أيها الأغنياء هذه مواطن البذل للحياة الكريمة، والتسابق في سبيل الحريّة والكرامة.

إنّكم إن فعلتم ذلك فأمامكم أبواب النصر مفتحة، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنّ مع العسر يسرا، وإنّ العاقبة للمتقين المجاهدين..

وإلّا فهناك التذبيح للأبناء ينتظرنا والهتك للأعراض يترصدنا، والفتك بالآباء يدنو منا، والطرد من الأوطان يتعقبنا، والذلّ والاستعباد ينزل بنا الأمر الذي تعيد بلادنا

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة التوبة، آية: ٢٤.

وأوطاننا وأمّتنا منه.

وها هي ذكرى الإمام الحسين عليه السلام توقظ القلب الغافل، وتحيي الضمير الميّت، وتخصب الشعور الجديب، وتلهمنا جميعًا روح العزم والتضحية والفداء، وتعلّمنا أن مَن حرص على الموت وهبت له الحياة.

ومع آلام هذه الذكرى يتجسّد أمامنا اليوم ظلم الظالمين، وطغيان الطاغين الذين يبطشون بأحرار الجزائر، وينكلون بالأبطال المكافحين، ولا يتورعون عن تلطيخ أرض العروبة بدم الأبرياء، فهذه أعراض قد انتهكت، وأرواح قد أزهقت، ونفوس بريئة بأيّ ذنب قتلت. وإنّ من إخواننا في الجزائر رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر لقد بذلوا أعزّ ما يملكون، وضحّوا بمهجهم وأرواحهم رخيصة في سبيل وطنهم وعروبتهم، وذلك أغلى ما عندهم فلا أقلّ من أن نبذل أموالنا، ونقتطع من كمالياتنا، ونمسك عن ترفنا ولهونا، بل وننزع المال من أفواه أولادنا وأعناق بناتنا لنشتري حياة إخواننا ونفتدي به وطننا، ونرهب به عدونا، ونشعر إخواننا المجاهدين في الجزائر أنّهم ليسوا وحدهم في هذا الميدان، وأنّ معركة الحريّة التي يخوضونها يخوضها معهم مائة مليون عربيّ وخمسمائة مليون مسلم على ظهر الأرض بينهم صلة من الأخوة لا تنقطع، ورابطة من المودّة لا تنفصم، وجميعهم كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.. ولنا جميعًا من ذكرى الإمام الحسين عليه السلام وتضحياته خير حافز لنا على التضحية، وأقوى معين لنا على الجهاد، وأغزر نبع يفيض بالروح والإلهام في معركة الحريّة والخلاص.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ من التضحيات التي يمكن أن نستخلصها من هذه الذكرى اليوم العمل الجدي الذي يشدّ المسلمين في حاضرهم إلى أمجاد ماضيهم فلن يصلح

آخر هذه الأمّة إلّا بما صلح به أوّلها، ولم يصلح أوّلها إلّا باتحاد الكلمة، وتضافر القوى، وتماسك المسلمين كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا..

وإذا جاز أن يكون هناك اختلاف في الرأي أو اختلاف في شؤون الحياة الدنيويّة فلا يجوز أبدًا أن يكون هناك اختلاف في الدين.. الدين الذي أنزله ربّ العالمين ليكون دينًا واحدًا يعتصم به المسلمون، ويسعد حوله المؤمنون في دنياهم وآخرتهم، فلماذا إذن ينقسم المسلمون عليه على طوائف وفرق وجماعات، كلّ يدين بمذهب، وكلّ ينتمي إلى جماعة، وكلّ ينضوي تحت لواء..

إنّ هذا الاختلاف يبعث عن التفرّق، وإنّ التفرق يؤدّي إلى الانقسام، وإذا وجد الانقسام وجدت الأهواء والمنافع والمآرب الشخصيّة، والتيارات السياسيّة بغيتها وسبيلها وأمانيها..

فلماذا إذن نجعل هذا الدين في مهب تلك التيارات.. لماذا نجعل هذا الدين الذي هو صلة بين الناس، وخالقهم لعبة تلعب بها الأهواء، ويستغلّها أصحاب المنافع والمآرب؟؟ لماذا نجعل هذا الدين الذي جاهد من أجله رسول الله والذي ضحّى واستشهد من أجله آل بيت رسول الله. والذي بناه الرسول وآل بيته وصحابته بالعرق والكفاح. ورووا شجرته بالدماء، وبذلوا كلّ مرتخص وغال في سبيله. لماذا نجعل هذا الدين يبتعد عن قدسيته وجلاله، وينزل من عليائه وسمائه إلى أرض الأهواء الرخيصة والمنافع الخاصّة!!!

إنّ هذا الدين يجمع بيننا بالمودّة، ويؤاخي بين نفوسنا بالمحبّة، ويربطنا برباط متين أقوى من رباط اللحم والدم والنسب. نعم، إنّ هذا الدين يجمع ولكن الأهواء تفرق، والاستعمار يلعب دوره الخطير في تمزيق الشمل، وتقطيع الأواصر، وتشويه الحقائق فإذا كنّا حقًا ندين بهذا الدين، ونعرف لرسول الله وآل بيته جهادهم من أجل هذا

الدين، وتضحياتهم من أجل هذا الدين فلتجتمع عليه القلوب، ولتتآخ عليه النفوس، وليستجيب كلّ مؤمن إلى نداء العليم الخبير﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[1] وليتنبّه كلّ مسلم إلى هذا التحذير الشديد﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[2].

وإنّي أعتقد أنّ السبيل الوحيد لجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، ونبذ الخلافات بينهم أن يعمل علماء الدين جميعًا على إيقاظ الوعي الدينيّ الصحيح، ونشر روح التسامح، ومحو العصبيّة المذهبيّة من صفوف المسلمين، وإبراز ودعم ما هو متّفق عليه بين المذاهب الإسلاميّة عامّة، وإخفاء المسائل الخلافيّة التي تثير الجدل والخصومات، وتنقية الفقه الإسلاميّ من البدع والخرافات التي تحط من قدر المسلمين، وتشوه وجه الدين.

وإنّي أعلن هنا من فوق هذا المنبر أنّ الأزهر الشريف قد خطا خطوات عظيمة واسعة في تحقيق هذه الأهداف، فهو لم يكتفِ بتقرير دراسة المذاهب الإسلاميّة بما فيها الفقه الجعفريّ حتى لا يحرم الطلّاب من الاطلاع على كنوزه، والاستفادة من أحكامه، بل أرسل مبعوثيه في كلّ مكان من الأرض يؤلفون بين القلوب، ويشعرون المسلمين جميعًا أنّهم إخوة يدينون بدين واحد ويتجهون إلى غاية واحدة، وليس على المؤمنين بعد ذلك إلّا أن يستجيبوا لهذه الدعوة ويصيخوا لهذا النداء، ويتعاونوا معه في تحقيق أكرم هدف، وأعظم غاية وهي جمع كلمة المسلمين وما ذلك على الله بعزيز، ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله، والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الأنفال، آية: ٤٦.

فداء الحسين[1]

قال الزعيم الأخ ياسر عرفات، في أثناء مجزرة أيلول الأسود: إنّ مأساة الفلسطينيين ذلك الوقت لا مثيل لها إلّا مأساة كربلاء...

فما هي مأساة كربلاء هذه التي لم يجد الزعيم المناضل، في قمّة حزنه البالغ آنذاك، ما يشبه به مأساة قومه سواها؟؟

يجب أن تكون خالدة تلك المأساة ما دامت تعيش في الذاكرة العربيّة المسلمة منذ ثلاثة عشر قرنًا.. ويجب أن تكون عميقة الجذور في الضمير العربيّ المسلم ما دام الناس عندما يريدون أن يحركوا الضمائر، لا يجدون أفضل منها لذلك..

ولكن ليتني أعلم كم فكّروا في معنى ذلك التشبيه، وذكروا بالتقدير بطل الفداء الحقّ في تاريخنا ليتخذوه مثلًا داعين إخوانهم المناضلين إلى الاقتداء بهم.

ومن أولى بالإحساس بقيمة فداء الإمام الحسين عليه السلام ممّن ولد الفداء على أيديهم في عصرنا الحاضر؟ أولسنا نحتفل كلّ عام مرّات عديدة بذكرى ثورات غريبة، ونقوم بإحياء ذكرى أبطال غرباء، فنقيم لذلك المهرجانات ونجنّد الأقلام والخطباء؟؟

فما بال ثورة كربلاء وبطلها العظيم، بطل الفداء في التاريخ الإسلاميّ عامّة والعربيّ خاصّة، هذا البطل الذي واجه مع نيف وسبعين نفرًا من أهله وصحبه، وبينهم الغلمان، عشرات الألوف من أعدائه.. واجههم بأروع ما يكون بطولة وفداء وإيما ن؟

---

(١) بلقيس الحوماني، فداء الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد الستون، العدد الخامس، آيار١٩٧٢م، ص٦٧٥.

هذا البطل لا يجد في ذكراه العظيمة، من يمثّل حزبًا واحدًا من أحزاب أمّته التقدميّة، ولا منظمة فدائيّة واحدة من منظمات تلك الأمّة الفدائيّة..

أوليس من المنتظر ممّن يقود الفداء، في عصر لم يعد لنا فيه من أمل في الخلاص إلّا بالفداء..

أوليس منتظرًا منهم ومن غيرهم من رجال العقائد التقدميّة أن يقفوا أمام الجموع من الأحزاب والطوائف والأديان كافّة فيهزّون المنابر ليحقنوا هذي الجموع، بدم جديد يفور عزّة وإقدامًا؛ وذلك بشرح معنى شهادة الإمام الحسين عليه السلام العظيم وكيف أنّ الفداء إنّما تمشي مع الإسلام مذ كان الإسلام ومن ثمّ العرب؟ وإنّ التاريخ سيكرّر نفسه فتكون حياة الإسلام والعرب من ثمّ مرة أخرى من وراء الفداء؟؟ هل ينفعنا أكثر التمسّح، كما قلنا بذكرى الثورات الأجنبية التي قامت لمصلحة أوطان غريبة وأبطالها الذين ماتوا في سبيل شعوبهم هم؟؟ ولكن، أيّ من تلك الثورات شابهت في مبناها وأهدافها ونتيجتها ثورة كربلاء الخالدة؟ ومَنْ مِنْ أولئك الأبطال جسد من روعة البطولة والشجاعة والإيمان ما جسّده الحسين العظيم؟؟ ننسى أمجادنا ونتذكّر أمجاد سوانا.. نتجاهل ذكرى أبطالنا، ونقيم ذكرى أبطال غيرنا.. فيا للذل، ويالللعبوديّة..

ذلك في الوقت الذي نحن فيه في أمسّ الحاجة إلى ما يذكي في نفوسنا روح الفداء، في عصر الفداء.. في أمسّ الحاجة إلى ما يثير في نفوسنا مشاعر العزّ والكرامة والثقة في قمّة ذلّ حاضرنا وانهزام كرامتنا وهبوط ثقتنا في أنفسنا.

في أمسّ الحاجة إلى أن نستمدّ من تاريخنا الحافل بالأمجاد ما بني به حاضرنا وشخصيّتنا من جديد.

في أمسّ الحاجة، في طريقنا الحافلة بالدم والدموع، إلى نبراس وهدى ومثل عليا من أنفسنا وشعبنا وأمّتنا وتاريخنا ممّا يقوى معه إيماننا بحقّنا، ويحقّر الموت أمام أعيننا في سبيل ذلك الحقّ، ويدفع بنا إلى الإمام في طريق النصر على من يسلكون لإبادتنا كلّ السبل.. ولكن... ماذا رأينا؟؟

بالأمس، انتهت ذكرى الأيام العشرة لمحرّم تليت فيها، كالعادة سيرة كربلاء.

وكالعادة، منذ ثلاثة عشر قرنًا، يختصّ بالاحتفال بها الطائفة الشيعيّة من المسلمين، ولا أقول من العرب..

لماذا كان ذلك؟ لماذا تختصّ بعينها من المسلمين بالاهتمام بذكرى تلك الثورة وذلك البطل؟

لقد أنشد الإمام الحسين عليه السلام وهو يقدّم دمه فداء لعقيدته.. أنشد يقول:

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي... يا سيوف خذيني[1]

فهل دين محمّد هذا الذي عناه الإمام الحسين عليه السلام وهو يقدّم دمه فداء لاستمراره، هو دين الطائفة الشيعيّة فقط؟ لكي تختصّ بالاحتفال ذلك الفداء بينما تكتفي غيرها من الطوائف بالتفرّج عليها كما يتفرّج الغرباء؟

لقد احتفلت الطائفة الشيعيّة بعاشوراء، كالعادة، بتلاوة سيرة المعركة حرفًا حرفًا وسط الدموع والترتيل الحزين..

---

(١) لقد توهم كاتب المقال بنسبة هذا البيت للإمام الحسين عليه السلام لأنّ هذا البيت قاله الشاعر الشيخ محسن أبو الحب الكبير عن لسان حال الحسين عليه السلام. ينظر: ديوان الشيخ محسن أبو الحب: ص٣ تحقيق: جليل كريم أبو الحب.

والدمع تفجرّه العاطفة.. فعاطفة الحب والولاء إذن هي التي حفظت ذكرى الحسين ومعركته حتى الآن..

ولكن عصرنا هذا لم يعد عصر العاطفة فقط.. إنّه عصر العقل أيضًا.. فالمطلوب منا، بعد الآن، أنّ نقوم بأحياء ذكرى الحسين بعقولنا إلى جانب عواطفنا.. أيّ أنّ عموم المسلمين وغير المسلمين ممّن يعدّون أنفسهم عربًا.. هؤلاء جميعًا مسؤولون عن إحياء الذكرى من الآن فصاعدًا وليس الطائفة الشيعيّة فقط..

ذلك لأنّ الدين الذي ضحّى الإمام الحسين عليه السلام العظيم بدمه ودماء أهله في سبيل استمراره.. هذا الدين هو، كما قلّنا دين المسلمين عامّة وليس الطائفة الشيعيّة فقط..

كما أنّ عظمة الفداء والكرامة والعزّة المتوخاة من وراء هذه الذكرى يجب ألّا تبقى حصرًا في المسلمين من العرب وحدهم.

وبعد، أعود إلى التساؤل.. ما الذي جعلنا نلهث هنا وهناك نتّبع مبادئ غيرنا، ونتمسّح بأمجادهم، ونحتفل بثوراتهم، وأبطالهم، كافرين بمبادئنا، نحن مهملون متجاهلون أمجادنا وثوراتنا وأبطالنا؟ أهو انعدام الثقة بأنفسنا وتراثنا أورثتنا إيّاه أجيال الذلّ والعبوديّة؟

أم هي مؤامرات بالغة العمق والخبث للاستعمار والصهيونيّة العالميّة، وكلّ منهما يسير بالآخر، قصد بها إفقادنا شخصيّتنا بتمزيقنا داخليًّا، والانتهاء منا ككيان حيويّ إلى الأبد؟

أم هو، بالنسبة لمثل فداء الحسين، وأمجاد كربلاء، ليس سوى التعصّب الطائفي؟؟

التعصّب الطائفيّ، كم يعزّ عليّ أن أذكر هذه الكلمة في ظروف بلادنا وأمّتنا المصيريّة هذه..

إذا كان هو الذي يعمي عيوننا عن عظمة بعض أبطالنا وروعة تضحياتهم وآثارهم في بناء الأمّة.. ويصدّنا عن اتخاذهم مثلًا عليا لكي نقتفي آثارهم ونسير على هداهم..

فيا لعارنا إذن، ويالطول خِزْيَنا..

ويالخيبة آمالنا في الوحدة والنصر والتقدّم.

ذكرى كربلاء [1]

الذكريات في تاريخ الإسلام كثيرة.. ولا ريب أنّ من ينقب عن الجوهر الأصيل، والمرمى النبيل لكلّ ذكرى، يجد أنّ ذكرى(مأساة كربلاء) تحتلّ المكانة الشامخة في تاريخ الإسلام المجيد...

ذكرى كربلاء - ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام - تمثّل منذ كان الدهر، وحتى يفنى الدهر - النضال الحازم الغني بشمائل الشجاعة ومعانيها... والإنسانيّة وفضائلها...

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء هو الذي أرسى قواعد الإسلام من جديد على صخرة الخلود، بعدما قلقلتها الجاهليّة الأمويّة التي اتخذت لها من جبّة الإسلام رداءً بينما كانت تتوجّه في قلبها إلى تماثيل أربابها الأوّل: هبل، واللات، والعزى... ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه الزكية، وبالغطاريف الميامين من أهله وصحبه، راضي القلب، مبتهج الخاطر، ولكن أتعلمون لم فعل ذلك؟

زعم قوم أنّ الإمام الحسين عليه السلام ثار على يزيد طلبًا للملك.. وغمز آخرون من شجاعته، فزعموا: أنّه عندما أحمرّ البأس، ورأى كتائب ابن زياد المؤلّفة من أربعة آلاف محارب، زعموا أنّه رضي أن يذهب إلى الطاغوت يزيد، ويضع يده في يده. ونسب

(١) محمّد علي أسبر، ذكرى كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد السادس والستون، العدد الأوّل، كانون الثاني ١٩٧٨م، ص٧-١٩. ألقيت في جامع الإمام علي الرضا عليه السلام في جبله في احتفال العاشر من محرّم، والأستاذ محمّد علي أسبر مربٍّ فاضل، وأديب كبير، وقد زانه الله بحسن الخلق والتواضع والوفاء والكرم.

إليه بعضهم الخطأ في ثورته على يزيد، وسفهاء يزيد.. وقال غيرهم... وكثيرًا ما قال المغرضون وتقوّلوا... ولكنّهم جميعًا قالوا: كذبًا، وبهتانًا، وزورًا..

لقد ثار الإمام الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية للغاية نفسها التي جاء من أجلها جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة الإلهيّة..

حارب الإمام الحسين عليه السلام كما حارب الحمزة بن عبد المطلب، وكما حارب عمّه جعفر بن أبي طالب، وكما حارب أبوه الإمام العظيم علي عليه السلام، واستشهد كما استشهدوا لأجل تحقيق مثل الإسلام العليا..

ثار الإمام الحسين عليه السلام غضبًا لجماهير الشعب الكادحة التي سحقتها، الفرديّة، المتعالية، المتكبرة... ثار الإمام الحسين عليه السلام؛ لتكون السياسة التي تحكم الناس سياسة الذكر الحكيم، لا سياسة الأوثان، والغدر، والسيطرة، والخمور...

ثار الإمام الحسين عليه السلام؛ ليخلّص الشعب من الجمود...، ويدفع به في ميادين العمل الخلاق، لينشئ حضارة...، ويرفع مدنيّة...، ويحقّق عدالة الإسلام الاشتراكيّة..

ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ كانت للعرب جميعًا، وللمسلمين جميعًا، وللإنسانيّة كلّها..

من أجل ذلك ثار الإمام الحسين عليه السلام...، وفي سبيل ذلك استشهد صلوات الله عليه.

الإمام الحسين عليه السلام من معدن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفاه العلي العظيم ليحمل رسالته إلى العالم قاطبة.

إنّه من طينة أبيه علي عليه السلام الذي ولد في أقدس بيت عرفه الكوكب الأرضي، وهو بيت الله الحرام؛ فكانت ولادته تلك دليلًا ساطعًا على مكانته الشاهقة...، وعلى سمّوه الروحي الجليل.

إنّه من طينة أمّه فاطمة عليها السلام التي قال عنها والدها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[1].

الإمام الحسين عليه السلام من جوهر تلك الطينة المباركة، وقد عاش حياتها الفاضلة المشرقة بأنوار الوحي الربّاني، وحنان الحبّ الرحماني. كم ركب هو وأخوه الحسن ظهر جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيمشي بهما، وهما فوق ظهره[2]، ويقول لهما، والمسرة تتدفّق من وجهه النبيل بسمات نيرات: نعم، الحمل حملكما، ونعم العدلان أنتما..

وقبل هذا، عندما فتح الإمام الحسين عليه السلام عينيه ليرى النور فتحهما على وجه جدّه النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي تناول لسانه بفمهِ الشريف، ينظره بعبق الإلهام...، ثمّ يسكب في أذنيه موسيقى السماء آيات من المصحف الكريم، وفصول الآذان المجدولة من ضياء التهليل والتكبير.

ثمّ شبّ الإمام الحسين عليه السلام، وترعرع في فردوس القرآن الكريم، يتغذّى من ثمار الوحي الصمدانيّ، وأساتذته الثالوث الممجّد: محمّد، وعلي، وفاطمة فإذا هو- وقد فني في ذات القرآن - صار وكأنّه سورة ملخّصة من القرآن... وكيف لا يكون كذلك... وأنّ له عند كلّ آية وقفة تأمل عميقة... وأنّ له من كلّ آية علمًا رفيعًا... وأنّه ليكتشف في تلافيف كلّ آية سرًّا بديعًا، دقيقًا... فإذا قلبه الفتي... إذا نفسه النقيّة... إذا مداركه المتفتّحة، تتسع لمعارف الدنيا، وما بعد الدنيا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ذلك هو الإمام الحسين عليه السلام، فكيف لا يحارب لأجل مبادئ القرآن نوره، وكنز حياته؟

---

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الصدوق، علل الشرائع، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦)، ج١، ص١٨٧.

(٢) راجع صفحة ١٠٩ من نور الأبصار للشبلنجي.

إنّه من آل محمّد، وعلى آل محمّد أن يحافظوا على التراث السماويّ الذي جاء به سيّدهم محمّد من لدن عليّ حكيم.

إنّ عليهم أن يحموا مبادئ الإسلام من كلّ رجس... ليبقى الإسلام منارة هدى وفيض، ورحمة، ومحبّة.. ليظلّ أصل كلمة التوحيد راسخًا في الأرض، وفرعها باسقًا في السماء... وهكذا فعلوا.

أمير المؤمنين علي عليه السلام جعل من حياته درعًا للإسلام، ومفاهيم الإسلام، وأخلاق الإسلام، فجالد الشرك حتى ذبحه... وأقام عمود الإسلام [1] وما زال يواصل الجهاد حتى:

سقط السيف بعد طول الضراب ... من يد الحقّ أحمر الجلباب

والإمام الحسن عليه السلام مثل دوره في الحفاظ على استمرار الإسلام حتى مضى شهيدًا كأبيه، والآن جاء دور بطل كربلاء، جاء دور الإمام الحسين عليه السلام الذي رافق أباه وأخاه، وقاسمهما لذة الجهاد بعد غياب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان يرى حكّام المسلمين يخلقون الأحداث خلقًا، ويبعثون بها أفاعي جبارة إلى آل محمّد لتبتلعهم، كان يعجب من أولئك القوم الذين خاطبهم الله بلسان نبيه فقال: ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[2]، وكلّهم: أنّ عليًّا، وفاطمة، والحسن، وهو هم القربى التي أوصى بها الله. وعندما نزل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**

(١) في الصفحة ١٦٩ من المجلّد الرابع من شرح النهج للمعتزلّي ما يأتي: أنّ عليًّا جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس، فلما قام عرض واحد بذكره ينتسبه إلى التيه، والعجب، فقال عمر: حقّ لمثله أن يتيه، والله، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو يعدّ أقضى الأمّة... الخ.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الشورى، آية: ٢٣.

﴿الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، أجمع جدّه رسول الله والده عليًّا، وفاطمة أمّه، وهو، وأخاه الحسن، ونشر عليهم عباءته، وقال مخاطبًا ربّه: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب الرجس عنهم، وطهرهم تطهيرا»[2]، والمسلمون يعرفون هذا أيضًا، ومع ذلك فهم لا يتردّدون عن إطلاق سهام الشرّ القاتلة على آل محمّد.. وأنّ كلّ مسلم يقول في صلاته: اللهم صل على محمّد وآل محمّد... ومن هم آل محمّد؟ إنّهم علي وفاطمة والحسن وأخوه الحسين وأبناؤهم الأئمة.. هؤلاء هم آل محمّد[3]، وذلك معروف بالضرورة من كلّ مسلم مؤمن برسالة محمّد.. ومع ذلك فهم لا يحجبون عن الفتك بآل محمّد حينما تواتيهم الفرص. أليس ذلك هو العجب العجاب؟

هذه الأفكار كانت بلا ريب تتمشى في خاطر الإمام الحسين عليه السلام.. وكأنّي به صلوات الله عليه - يبتسم من أعمال هذه الأمّة العجيبة، الغريبة... وكأنّي به لا يلبث أن يزحزح هذه الأفكار جانبًا، لينصرف إلى أحداث ساعته، ليرى كيف يعالجها؟؟... إنّ الإسلام في خطر... وعليه هو أن يؤدّي دوره؛ ليحافظ على صرح الإسلام من الأذى، ويثبت عمده المرتجفة...

معاوية فرض ابنه يزيد حاكمًا مطلقًا على الناس، فقضى بذلك على حكم الشورى... وقد خطب أحد قادته حينما نصّب يزيد حاكمًا، فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك، فهذا وأشار إلى يزيد.... ومن أبى فهذا وسلّ سيفه من غمده،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) راجع صفحة ١٣٠ من المجلّد السابع من صحيح مسلم، تحت عنوان فضائل أهل البيت عليهم السلام، وصفحة ٢٨ من كتاب فاطمة الزهراء للعقّاد...

(٣) راجع الصفحة١٠٥ والصفحة ١٦٠ من كتاب أبناء الرسول في كربلاء لخالد محمّد خالد من علماء الأزهر والصفحة١٠١ من نور الأبصار.

وأشهره في وجه رؤساء الوفود التي دعيت للحضور لتبايع يزيد..

وبارك معاوية ذلك الخطيب، فقال له: أنت أخطب العرب[1].. وقد مات معاوية، وركب يزيد سدّة الحكم، ويزيد لا هم له منذ كان غلامًا غضبًا إلّا شرب الخمور، والانغماس في حمأة الملذات، والملاهي، ومسامرة القرود[2]، حتى سمّاه أهل الشام(يزيد القرود)..

وإذا كان ذلك هو أمير المؤمنين، كما سمّاه والده معاوية، فكيف يمكن أن يكون وزراؤه وقادته؟

حتمًا، سيكونون على شاكلته... وحتمًا، سينعكس ذلك على جماهير الشعب: فوضى، وتعاسة، واضطهادا...

إذن فالإسلام في خطر..

العدالة الاجتماعيّة الإسلاميّة قد اندكت شوامخها دكًا... جماهير الشعب تتغذّى ثمار القهر، والحرمان... جماهير الشعب ترغم على دفع الضرائب المرهقة... جماهير الشعب مظلومة... وحقّها من بيت المال... حقّها من الزكاة يصرف على المتع الجسديّة المحرّمة.. وعلى المحاسيب، والأنصار الذين يثرون من بؤس الآخرين.. وأولئك الآخرون قد جعل منهم جبروت أميّة المتجسّد بيزيد عالم أشباح انطفأ فيه نور كلّ إباء، وألقى بنفسه في مستنقع استسلام حزين..

---

(١) راجع صفحة ٢٨ من مروج الذهب للمسعودي من المجلّد الثالث.

(٢) راجع صفحة ١٤٤ من كتاب الحسين أبي الشهداء للعقّاد، والصفحة ٦٧ من الجزء الثالث من مروج الذهب للمسعودي.

القبليّة التي تمزق وحدة الأمّة، والتي قضى عليه الرسول، أحياها معاوية وابنه يزيد، فقربا اليمانيّة، وفتحا لها بيت مال المسلمين تنهب منه ما تشاء؛ لتحمى عرش أميّة العائم فوق بحر من دماء الأبرياء...

الإخاء، الحريّة، المساواة، المحبّة، هذه الأركان التي فرضها الإسلام؛ لإسعاد المجتمع البشريّ، صارت في النفس الأخير من الخمود... لم يبقَ من الإسلام ومبادئه إلّا شعارات خارجيّة، ينادى بها تدجيلًا، وتضليلًا.

الإسلام في خطر، ومن له غير آل محمّد !! من له غير الإمام الحسين عليه السلام رأس البيت النبويّ؟

لكأنّي به - صلوات الله عليه - بعدما جالت هذه الخواطر في قلبه... وبعدما وفاها حقّها من الدرس البصير.. كأنّي به يخاطب نفسه الزكية قائلًا: إلى جهاد القاسطين يا حسين، إلى جهاد هؤلاء الذين أعادوا الجاهليّة سيرتها الأوّلى.. وعطّلوا أحكام القرآن، وضيّعوا سنّة نبيّ الهدى، «واتخذوا مال الله دولا، ودين الله دخلا، وعباد الله خولا»..

خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة المكرّمة بعدما كتب يزيد إلى عامله في المدينة أن يأخذ له البيعة من الحسين، فإذا رفض أن يبايع فليمزقه بشفار[1] السيوف... وفي مكّة بدأ وجوه أهل الكوفة يمطرونه برسائلهم... عشرات مئات، ألوف الرسائل من الشعب وقادته يبايعون الإمام الحسين عليه السلام... كلّهم يتعجّلون حضوره ليتسلم القيادة، وينقذهم من الظلم الذي يأكلون زقومه أكلًا...

(١) [مركز تراث كربلاء] الشفار جمع شفرة، وهي من الحديد ما عرض وحدد . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٢٠.

ترى، هل اقتنع الإمام الحسين عليه السلام أنّ أصحاب تلك الرسائل سيفون بعهودهم عندما تتصافح الأسنّة... وتشتعل نار الحرب بينه وبين يزيد بن معاوية؟؟

أنا أعتقد أنّه لم يكن واثقًا بهم.... ومع ذلك، واستجابة لصوت الحقّ الجريح استجابة لنداء القرآن... فقد لبى الدعاء... وأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ليأخذ له البيعة... ويكتب إليه بما يرى..

بيد أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينتظر جواب مسلم، بل لحقه بعد فترة قصيرة من الزمن، ومعه النساء، والصبيان، من أهل بيته الكريم. وجاءه ابن عباس يريد أن يمنعه من الذهاب... وجاء أخوه محمّد ابن الحنفية.. وجاء كثير غيرهم.. وأسرع إلى اللحاق به عبد الله بن عمر بن الخطاب ضارعًا إليه أن لا يترك مكّة، ويذهب إلى الكوفة... الكلّ بكوا.. الكل توسّلوا ورجوا... الكلّ كانوا مدركين أنّ النتائج ستكون شرًّا مستطيرًا... ولم يكونوا هم أكثر إدراكًا للنتائج منه... وبالرغم من كلّ ذلك فقد رفض أن يكون من القاعدين...

إنّه يعلم أنّه سيلقي بنفسه في لهوات الموت، ولكنّ موته سيحفظ الإسلام من الضياع، إذن فليسر على اسم الله والبركات.

ومضى في طريقه شطر الكوفة، وقبل أن يصل كربلاء بلغه مصرع ابن عمه مسلم... علم أنّ ثمانية عشر ألفًا بايعوه، وأنّهم تخلّوا عنه عندما قبض عليه عبيد الله بن زياد، وعلم أنّه جرى بين مسلم، وبين ابن زياد الحوار الآتي: (١)

قال ابن زياد: أخبرني يا مسلم، لماذا أتيت هذا البلد؟

(١) معالي السبطين للمازندرانّي – الحائريّ المجلس الرابع صفحة ٢٤٠.

فقال مسلم: «لقد أظهرتم المنكر، ودفعتم المعروف، وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر؛ فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة، وكنا أهل ذلك»، فشتمه ابن زياد وأمر به فقتل.. سمع الإمام الحسين عليه السلام ذلك فلم يتراجع، ورأى في الطريق دعبل الشاعر[1] قادمًا من الكوفة فسأل عن شؤون الناس، فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع يزيد»، فلم يتراجع، بل كتب على رؤوس أهل البصرة الكتاب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي.. إلى مالك بن مسمع، والأحنف بن قيس، ومسعود بن عمر، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود.

أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى إحياء معالم الحقّ، وإماتة البدعة والباطل، فإن تجيبوا تهتدوا سبيل الرشاد..[2]

هذه الكلمات الستّة عشرة توضح غاية الإمام الحسين عليه السلام من ثورته... إنّه يريد إحياء معالم الحقّ... وإماتة الباطل والبدع، وفي ذلك عزّ الإسلام ورفعته، وهناء جماهير الشعب وكرامتها... أرسل الإمام الحسين عليه السلام هذا الكتاب، وانطلق قدمًا حتى وصل القادسية، فإذا ألف محارب طليعة جيش عبيد الله بن زياد يقودهم الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعيّ، يحدقون به، وبمن معه... واجتمع الإمام الحسين بالحرّ... وعندما حضرت الصلاة اتخذ الحرّ وجنوده من الحسين إمامًا يصلون بصلاته.. وتحدّث الإمام الحسين إلى

(١) الصحيح: الفرزدق وليس دعبل، ينظر: مقتل أبي مخنف وتاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري.
(٢) أبناء الرسول في كربلاء لخالد محمّد خالد.

الحرّ طويلًا.. أعلمه إنّما جاء ليعيد الإسلام إشراقه، أعلمه إنّما جاء ليعيد للشعب حريّته، وحقوقه، ولكن الحرّ وقف عنيدًا، مكابرًا... رفض الدخول في أيّ حوار فكريّ... أطفأ مصباح عقله... وأصرّ على تنفيذ أمر عبيد الله بن زيد... وأخذ يسير إذا سار ركب الحسين، وينزل إذا نزلوا، ومرّ على ذلك أيّام ثقيلة، مضنية... كان الحسين لا يفترّ فيها عن التحدّث إلى الحرّ وجنوده عندما تواتيه الفرصة المناسبة، خطب فيهم، وبمن معه يومًا فقال: أيها الناس:

إنّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل، ولا بقول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله»[1]، .. ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدم عليّ رسلكم ببيعتكم، فإن قمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وإنْ لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم..[2]، فظلّوا حيث هم حجارة أو حديدا.

وأخيرًا نزل الإمام الحسين عليه السلام كربلاء.. وبين عشيّة وضحاها، أصبح يواجه أربعة آلاف محارب، بينما قوته لا تزيد عن اثنين وسبعين بطلًا... وعاد الإمام الحسين يعلم القوم، وقائدهم عمر بن سعد بن أبي وقاص.. عاد يعلمهم أنّه ثار على يزيد ليرفع عنهم سياط الظلم التي بها يجلدون.. وقال لهم: إنّ يزيد بن معاوية وابن زياد ومن معهم قد

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر نص الحديث في: ابو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٥.
(٢) تاريخ الطبري – المجلّد السابع تحت عنوان أحداث إحدى وستين للهجرة المحمّديّة.

تنكّروا لأحكام القرآن... وإنّهم يحكمون الشعب بعقليّة، رجعيّة جاهليّة.. وقال لهم: أنا ابن بنت نبيكم جئت ملبيًا نداءكم أن: أقدم إلينا، وأنقذنا، ولكن ما من سميع... وأخيرًا بدأت المعركة، وأخذ أصحاب الإمام الحسين يتساقطون في ميدان البطولة المشرّفة، وأحدًا بعد الآخر.. كانوا يلقون بأنفسهم بين ذراعي الموت دفاعًا عن ابن رسول الله.. كانوا يجعلون من الموت جسرًا يعبرون عليه إلى العالم الآخر... ليتخلصوا من أجسادهم الترابيّة، ويلبسوا الحلل النورانيّة في جوار محمّد، وعلي، وفاطمة.

وجاء بعدهم دور أبناء الرسول، والنخبة المصطفاة من الهاشميين قاتلوا أبطالًا شدادًا، قطعوا عنهم الماء ليستسلموا ولكن، هيهات، هل تستسلم الملائكة للشياطين؟

وانتهت المعركة النكراء باستشهاد الإمام الحسين، والمؤمنين جميعهم بمبادئه المحمّديّة.. وحمل من بقي من النساء والصبيان من آل الرسول إلى الكوفة..

ثمّ ماذا كان هناك؟ كيف وجدت أمّة محمّد نفسها بعد استشهاد الإمام الحسين؟

في الكوفة وقف زيد بن أرقم الصحابي المعروف، وصرخ في وجه ابن زياد موجّهًا خطابه للحاضرين فقال: «يا معشر العرب الذين صرتم عبيدًا، أتقتلون ابن فاطمة، وتؤتمرون ابن مرجانة»؟

ونال زياد من الإمام الحسين ومن والده علي أمير المؤمنين، فوثب عبد الله بن عفيف الأزديّ وقال بصوت راعد:

يا بن مرجانة، إنّ الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه.. يا بن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين، وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فأمر به فقتل..[1]

(١) الطبري المجلّد السابع أحداث عام ٦١هـ.

ثمّ ما لبثت الثورة حتى تفجّرت في كلّ مكان.. ثار التوّابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعيّ... ثمّ ثار المختار الثقفيّ.. غدا العراق شعلة من نار تتوقّد طعامها الأجساد والدماء... ثمّ ثارت المدينة المنورة... فكانت وقعة الحرّة التي أباح فيها يزيد مدينة الرسول ثلاثة أيّام للجنود يقتلون الناس، وينهبون الأموال، ويفسقون في النساء[1].. وثارت مكّة فرماها يزيد بالمنجنيق[2].

تحرّك العالم الإسلاميّ من أقصاه إلى أقصاه، وتعالت صيحات الاستنكار، وأشرعت أسنّة الرماح.. وهجرت السيوف أغمادها، ولم تنتهِ الثورات حتى أكلت عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وكلّ من شارك في قتل الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام.. بل لم تنتهِ الثورة إلّا بانتهاء الدولة السفيانيّة الأمويّة... ثم لاحق دم الحسين أميّة بأشخاص المروانيين حتى تلاشت الدولة المروانيّة الأمويّة أيضًا.

ونتساءل الآن هل حقّق الإمام الحسين الغاية التي كان ينشدها من استشهاده؟

ويأتي الجواب: نعم؛ لأنّ استشهاده حفظ راية الإسلام شامخة، وجعلها تتحدّى الطغيان الأمويّ، وتورده موارد الهلاك.

والآن أيضًا: أين هو الإمام الحسين بالنسبة لشرف التضحية؟

إنّ الإمام الحسين عطر الشهادة، ومنارة الخلود.. إنّ الإمام الحسين عليه السلام رمز حيّ للبطولة... والإنسانيّة.. والكمال البشريّ الأعلى.. على دم الإمام الحسين ثبتت أعمدة

(١) أبو الفداء الجزء الأوّل صفحة ١٠٧، وراجع أيضًا صفحة ١١٥ من كتاب الحسين أبو الشهداء للعقّاد.

(٢) أبو الفداء الجزء الأوّل صفحة ١٠٨ وراجع في استباحة المدينة ورمي الكعبة صفحة ١٥٣ من كتاب المعارف للدينوريّ. والصفحة ٦٩ من الجزء الثالث من مروج الذهب للمسعوديّ.

صرح الإسلام بعد اضطرابها.. وتخلخلها.. وكفى بذلك فخرًا، وشرفًا، وسؤددًا...

وماذا عسى أن يقال في أولئك الذين حاربوا الإمام الحسين عليه السلام؟

الإمام الحسين جاء ليخرجهم من ظلمات الظلم... إلى نور العدل الاجتماعيّ... جاء ليصبّ عليهم نعيم الدنيا جنات دانيات القطوف، مفروشات بالحبّ.. والكرامة.. فحاربوه...

لقد جاءهم النبيّ الإنسان في شخص الإمام الحسين يريد أن يطهّرهم... ويزكيهم... فرفضوا إرادة الخير... وحاربوه حتى قتلوه..

لقد كتبوا بأيديهم صكّ عبوديتهم... وعبوديّة الأجيال التي جاءت بعدهم... عندما خرجوا عن إنسانيّتهم وقتلوا النبيّ الإنسان الذي جاء ليجعلهم يحيون مبادئ القرآن، وما فيها من مثاليّة وجمال تهدفان إلى تحرير المجتمع البشريّ... وتنميته باستمرار نحو الكمال الماديّ، والروحيّ...

فيا لها من رزيّة سجّلت انتكاسة مرّة لقيم الشخصيّة الإنسانيّة.

أنا لا أبكي إمامي الحسين، وإن كانت مأساة كربلاء - في جوانبها العاطفيّة- ملحمة دموع، ودماء... ذلك لأنّ المعاني الرسولية العميقة التي قدّم ذاته المقدّسة قربانًا لها، فوق البكاء... إنّها منبع الاعتزاز.. وقمّة الجلال، وسدرة منتهى البطولة..

ألا ما أعظمك في وجدان الحقّ يا إمامي الحسين، ما أعظمك في قلب كلّ مخلوق يعرف كرامة الوجه البشريّ في كيان الفرد، والجماعة..

وما أحرانا أن نقتبس من أخلاقك الرحمانيّة..، ومن صلابتك المحمّديّة... ومن شجاعتك العلويّة.. ومن حدبك على جماهير الإنسانيّة: المستغلّة، المحرومة... ما أحرانا

أن نقتبس منها جميعًا مثلًا نورانيًّا يهدينا في مراحل حياتنا إلى بناء أمجاد الدنيا... والآخرة..

وإنّني من هنا، من جامع حفيدك الإمام علي الرضا عليه السلام في جبله أنحني إعظامًا لإمامي الحسين عليه السلام، الذي وفى ما عاهد الله عليه...

السّلام عليك يا إمامي الهاديّ، يا ريحانة رسول الله، يوم ولدت، وسلام عليك يوم استشهدت، وسلام عليك يوم تبعث حيا. الصلاة والسّلام عليك يا إمامي الحسين، يا من تغذّى لبن الحياة المخضرة بالنقاء من إبهام جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1]

(١) راجع الصفحات ٦١ – ٦٢ – ٦٥ – ٧٣ من كتاب أيّام الحسين للشيخ عبد الله العلايلي.

عقيلة آل البيت: زينب بنت عليعليها السلام[1]

تُعدّ السيدة زينب بنت عليعليها السلام من الشخصيّات الفذّة في سمو روحها، وعمق إيمانها، وشموخ كرامتها، وشجاعتها الفريدة في مواقفها يوم كربلاء وبعده.

وتأتي في ذروة الخطباء المبرزين، فصاحة وبلاغة وبيانًا.

وقد عاشت أحداث الطف ومآسيها برؤية واضحة، ودعمت قضيّة أخيها الإمام الحسينعليه السلام المقدّسة بكلّ أهدافها وأبعادها.

وكانت مواقفها يوم كربلاء وبعده لا تقلّ أثرًا عن موقف أولئك الأبطال الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأنفسهم سبيل الفكرة الحسينيّة النبيلة الهادفة إلى بعث الدعوة الإسلاميّة من جديد، وبعد أن أجهز عليها الأمويّون إجهازًا يكاد أن يكون تامًا، وأفرغوها من محتواها الأساسيّ، وانحرفوا بها عن مسارها إلى منعطفات جاهليّة لا تمت إلى الإسلام بصلة، بتزييفهم النصوص القرآنيّة، والسنّة النبويّة، وتفسيرها بما يتلاءم مع أهوائهم واتجاهاتهم.

وكان دور السيّدة زينبعليها السلام في ذلك اليوم وما تلاه من أيّام دورًا إعلاميًّا لإنماء القضيّة الحسينيّة تتعاهدها بالريّ والحياة، وإيقاظ ضمائر أولئك الذين كانوا نائمين.

كما كان دورها وجهًا آخر من وجوه النضال الذي مارسه أخوها الحسينعليه السلام والشهداءعليهم السلام الذين معه، يتّحد معه في وحدة الهدف والغاية.

---

(١) عبد الله نعمة، عقيلة آل البيت زينب بنت عليعليها السلام، مجلّة العرفان، المجلّد الواحد والسبعون، العدد السابع، أيلول ١٩٨٣م، ص٢٥.

وقد أتاحت لها تلك الظروف المريرة التي عاشتها بكلّ مآسيها وآلامها، أن تظهر على مسرح تلك الأحداث في الرعيل الأوّل من الخطباء، لما كانت تتمتّع به من قوّة الجنان، وفصاحة اللسان، وجمال البلاغة، وسحر البيان.

ممّا لم نجده إلّا في القليل من شخصيّات النساء العظيمة التي عرفها التاريخ، التي

قال عنها بعض من سمع خطبتها في الكوفة[1]: «لم أرَ والله خفرة أنطلق منها كأنّها تنطق وتفرغ على لسان أبيها أمير المؤمنين».

فقد كانت كلماتها وما أثر عنها من خطب ومحاورات في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة، وفي مجلس يزيد بن معاوية في دمشق، تعمل عمل السحر في عواطف الجماهير، تثير ضمائرهم وأحساسهم بالإثم والخطيئة.

وقد حفظ الرواة من كلماتها وخطبها ما يعبّر عن مواقفها النبيلة الشجاعة وصرامة حجّتها، وسحر بيانها وقوّة شخصيّتها.

استمع إلى قولها تخاطب عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد، وقد رأت أخاها الحسين عليه السلام وحيدًا قد احتوشه أولئك الطغام: «يا عمر، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه»[2]، فيطرق ابن سعد إطراق المهزوم الضمير والمخزي النادم، وتترقرق الدموع في عينيه، ويصرف وجهه، دون أن يجيبها؛ لأنّه لا يملك الإجابة.

وإلى قولها بعد انتهاء المعركة ومصرع أخيها الحسين وقد وقفت عليه، رافعة يديها

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو حذيم الاسدي احد اصحاب الامام الحسين عليه السلام . ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، (النجف: دار النعمان، ١٩٦٦م)، ج٢، ص٢٩.

(٢) [مركز تراث كربلاء] ابو مخنف، مقتل الحسين عيه السلام، ص١٩٥.

نحو السماء: «اللهم تقبّل منا هذا القربان». إنّه كان ذلك أوّل جملة من بيان القضيّة المقدّسة التي كافح الحسين من أجلها، ويترجم الهدف الرئيس لهذه القضيّة ترجمة صريحة وواضحة.

وقد حفظ الرواة خطبتها في أهل الكوفة وهم يبكون ويندبون، وقد أشارت إليهم بأن أنصتوا فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، وقالت بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله[1]:

«أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الزفرة. إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، تتّخذون إيمانكم دخلًا بينكم. هل فيكم إلّا الصلف والعجب والشنف والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضّةٍ على ملحودة، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون! أجل والله، فابكوا فإنكم أجرياء بالبكاء، فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا. فقد ابتليتم بعارها، ومنيتم بشنارها، ولن ترحضوها أبدًا، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، .. وآي كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومنار محجّتكم. ألا ساء ما قدّمتم لأنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم. فتعسًا تعسًا، ونكسًا نكسًا. لقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

أتدرون – ويلكم – أيّ كبد لمحمّد فريتم، وأيّ عهد له نكثتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ حرمة له هتكتم، وأيّ دم له سفكتكم؟ ﴿ **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ**

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الطبرسي، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٨٧.

﴿مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[1]... فلا يستخفّنكم المهل، فإنّه عزّ وجلّ لا يحفزه البدار ولا يخشى عليه فوت الثأر، كلا، إنّ ربّك لنا ولهم لبالمرصاد»[2].

لعلّك تلمس معي في كلامها هذا، صواعق متفجرة بالتقريع والتوبيخ لأولئك الناس الذين اجتمعوا حولها، وصفعات متلاحقة لضمائرهم ونفوسهم، فتصفهم بالغدر والخذلان، والصلف والكذب، والملق والخداع.

وهي في أثناء ذلك تصوّر لهم عظيم جنايتهم وخطيئتهم بما ارتكبوه، وخطر ما فعلوه، حين قالت: «ويلكم أتدرون أيّ كبد لمحمّد فريتم الخ...».

وحين أشارت إلى خيانتهم ونكثهم العهد، وإسلامهم لذريّة آل محمّد إلى أعدائهم الذين هم مفزعهم وملجأهم ومنارهم الذي يرجعون إليه، وأنّ عار ما ارتكبوه سيلاحقهم أبدًا، ولن يغسلوا هذا العار بالدمع والبكاء؛ لأنّه فوق الدمع والبكاء.

ثمّ أنذرتهم بخيبة سعيهم وخسران صفقتهم، وضرب الذلّة والمسكنة عليهم، وبغضب الله الذي سيلاحقهم.

كل ذلك كان بأسلوب بالفصاحة والبيان، واسترسال يفيض بحرارة الإيمان التي عرف بها أهل البيت عليهم السلام.

وهي تستعين في أثناء كلامها بآي من القرآن العزيز، حتى تركت أولئك الذين اجتمعوا حولها من أهل الكوفة – كما يقول الراوي خدام بن ستير الأسدي: «حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم»[3]، ندمًا وخيبة ووخز ضمير.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة مريم، آية: ٨٩، ٩٠.

(٢) نفس الهموم ص٢٤٧، نقله عن كتاب الاحتجاج للطبري.

(٣) [مركز تراث كربلاء] ينظر: الشيخ المفيد، الامالي، ص٣٢٣.

ومثال آخر ممّا حفظه الرواة لنا من كلامها بين يدي يزيد في دمشق، وهي أسيرة، ترى رأس أخيها الحسين عليه السلام أمامها، يعبث به في خيزرانة الماجن المستهتر يزيد بن معاوية، قالت في بدء خطبتها، تطعن كبرياء يزيد وغروره وهو في نشوة انتصاره، بأنّ ذلك لم يكن لكرامته على الله، ولا لهوان سليل النبوّة عنده، بل إنّ ذلك لم يكن إلّا إملاء منه سبحانه ليزداد إثمًا وبغيًا.

قالت: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أنّ بنا على الله هوانًا، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورًا، حيث رأيت الدنيا لك مستوقة، والأمور متسقة... فمهلًا مهلًا، أنسيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[1]».

ثمّ تمضي في كلامها توبخ يزيد على سبيه بنات النبوّة وهتك ستورهن، وعلى عدم إقامته وزنًا للخلق العربي الذي كانت العرب تعنى به وتحافظ عليه، وهو المحافظة على حرائر عشيرتهم وأعراض من يمت إليهم بصلة القرابة. وتذكرنا تحولها هذا بقول أخيها الحسين يوم كربلاء يخاطب به جيش ابن زياد، عندما هجم على خيمته: «إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارًا في دنياكم إن كنتم عربًا كما تزعمون».

فتقول: «أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرَك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبريت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد، والدنيء والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي».

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة آل عمران، آية: ١٧٨.

ثمّ تستدرك فتقول: كيف يرجى أن يرعى هذا الخلق يزيد، وهو العريق بالجرائم والآثام، والأضغان والأحقاد الموروثة، فهو حفيد آكلة الأكباد هند أم أبيه معاوية التي مضغت كبد حمزة عم النبيّ يوم قُتل في واقعة(أُحد) ثمّ لفظتها، وشربت من دمه. وهو الذي ورث بغض آل محمّد من جدّه أبي سفيان صاحب المواقف المعروفة ضدّ النبيّ والإسلام، ومن أبيه معاوية الذي حارب أباها يوم صفّين، وأعلن سبّه على المنابر صباحًا ومساء ومع كلّ آذان.

فتقول: «وكيف يرتجى مراقبة من لفظ أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف لا يستبطأ في بغضنا - أهل البيت - من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحًا ثمّ قالوا يا زيد لا تشل

منتحيًا على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك لدماء محمّد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب».

ثمّ أخذت في توبيخ يزيد على إنشاده حين جيء بالسبايا والرؤوس بين يديه لأبيات ابن الزبعري[1]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحًا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر شعر عبد الله بن الزعبري في: ابن اعثم الكوفي، الفتوح، (بيروت: دار الاضواء، ١٤١١هـ)، ج٥، ص١٢٩.

كربلاء؟...[1] لا بل درب علاء![2]

ما عرف الناس، في أيّام الذكرى من أيّام التاريخ، تاريخ الإنسانيّة على هذه الأرض منذ نشأتها، وقد لا يعرفون يومًا اتّحد فيه المجد بالمأساة اتحادهما في مثل يوم كربلاء الذي نحتفل بذكراه اليوم، وسيظل الناس يحتفلون بها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إنّك لن تستطيع مهما جهدت، أن تفصل في استعادتك وقائع هذا اليوم، وجوه المأساة وظاهرات المجد في كلّ ما حدث؛ ليستبد بك اليقين بأنّه يوم فريد في تاريخ البشر بمقدار ما كان في آن معًا يوم المأساة المجيدة، ويوم المجد المسربل بالأسى الذي ما بعده أسى.

ذلك أنّ يوم كربلاء هو اليوم الذي شهد النقيضين في أشدّ مواجهة يمكن أن تقع.

ارتفاع الإنسان إلى أسمى درجات العلى من جهة، وانحطاطه إلى أسفل درجات الانهيار من جهة. وقديمًا قيل: «وبضدّها تتميز الأشياء». فكيف إذا هي تميّزت على ذاك النحو الصارخ الذي اختصّ به العاشر من محرّم من عام واحد وستين للهجرة؟

ومن هنا أنّ هذا اليوم ليس يومًا للشيعة، ولا هو يوم للسنّة. لا هو يوم للعرب، ولا هو يوم للعجم. بل لا هو يوم للمسلمين ولا هو يوم لغير المسلمين. إنّه يوم لجميع الشعوب، يوم للإنسانيّة كلّها على امتداد الزمان وامتداد المكان، ما عاش على هذه

---

(١) كلمة نقيب الصحافة اللّبنانيّة الأستاذ محمّد البعلبكي في الاحتفال بذكرى عاشوراء في قاعة رشيد يوسف بيضون بالكليّة العامليّة، في ١٠ محرم١٤٠٤هـ، ١٦ تشرين الأوّل١٩٨٣م.

(٢) محمّد البعلبكي، كربلاء لا بل درب علاء، مجلّة العرفان، المجلّد الواحد والسبعون، العدد الثامن، تشرين الثاني ١٩٨٣م ص٢٧-٣٢.

البسيطة إنسان كرّمه بالخلق والحياة خالق الإنسان وواهب الحياة.

ونحن اللبنانيين، على اختلاف مللنا ونحلنا، لكم يستبدّ بنا الشعور في هذه الأيام التي يستمرّ فيها الصراع عنيفًا على أرضنا بين الخير والشرّ؛ بأنّ ليس من قوم أحوج منا إلى استقراء كربلاء ومعاني كربلاء، لا في هذا اليوم وحده، بل في كلّ يوم، ما دام عندنا في كلّ يوم وجه من وجوه كربلاء، يتجاذب فيه النصر والفشل، قيم الإنسان التي هي عندنا قيم لبنان، أو هكذا يجب أن تكون.

ولقد انتصرت قيم الإنسان في كربلاء الحسين سيد الشهداء عليه السلام أيّما انتصار. فليس صحيحًا أنّ الحسين بن علي هو الذي صُرِعَ يومذاك، وإن كان بالفعل قد لقي وجه ربّه هو والأبرار ممّن نصروه حتى الموت. وإنّما الذي صُرِعَ بالفعل يومذاك هو يزيد وكلّ ما كان يمثّله يزيد من علو وفساد في الأرض، وإن كان قد ولغ وجنده في دم الحسين، وبدا له أنّه المنتصر والحسين مهزوم. وما درى يزيد أن قد قضى هو على نفسه في تلك اللحظة عينها بحكم إعدام تاريخيّ ليس له منه مفر، كما قضى على حكم بني أميّة بالاندثار مهما بلغت في هذا الحكم قوّة الملك الدنيويّ، فلم يمضِ على قيامه برهة من زمان حتى هوى ولم يصمد أطول من سنين يعيشها الرجل الواحد فضلًا عمّا أصاب بني أميّة في أشخاصهم جميعًا من سوء المال؛ ذلك حسابه في الدنيا، ولعلّه مقدم حسابه عند ربّه يوم يقوم الحساب.

أمّا الإمام الحسين عليه السلام الذي قتله عمال يزيد فقد خلّد هو على مدى الزمان؛ لأنّ الانتصار الحقّ هو انتصار القيم على تعاقب الأجيال، وانتصار رموز هذه القيم من أبطال الرجال، الذين آمنوا بها أصدق الإيمان حتى اتّحدت بها أشخاصهم فلا نستطيع بينها وبينهم تمييزًا إذا أصبحت هي هم، وأصبحوا هم لها التجسيد الحيّ في القول وفي كلّ تصرف، حتى لو اقتضى ذلك الواحد منهم الاستشهاد من دونها وحيدًا يوم يعزّ النصير،

لكي يكون من جراء هذا الاستشهاد تيّار في التاريخ هو الأبقى والأخلد أثرًا وفعلًا، بينما يتساقط الأفراد تساقط أوراق الخريف، وتتهاوى الأجساد نحو الفناء المخيف.

فإذا كان من معنى لخلود الإنسان فذلك هو الحقيقة معناه: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[1].

رجل أنّه صراع الخير والشرّ لا بدّ أن ترجح فيه كفّة الخير في نهاية المطاف. والمجد في الدنيا والثواب في الآخرة لمن يذودون عنه بأرواحهم على نحو ما زاد الحسين، فيدفعون بتيّاره عبر التاريخ نحو الانتصار الأكيد.

ولن يُذكر تاريخ الصراع من أجل الحريّة في حياة الإنسانيّة من غير أن يكون لثورة الحسين فيه العنوان الأبرز، ذلك أنّ هذه الثورة إنّما كان جوهرها الانتفاض على الطغيان في ظروف لم يتوافر لها من أسباب النجاح الفوريّ شيء على الاطلاق، وإنّما توافر لها من أسباب الفوز المقبل عبر التاريخ كلّ الأسباب؛ لأنّها انطلقت من إيمان لا يتزعزع بأنّ جولة الباطل ساعة وجولة الحقّ إلى قيام الساعة، وإنّ أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر، فكيف بالاستشهاد إعلاء لكلمة الحقّ؟

لذلك سيظلّ الناس، وسنظلّ بخاصّة نحن أهل الفكر والقلم والرأي المؤمنين بالحريّة، والصحافة في هذا البلد هي درع الحريّة، ومنبر الفكر وميدان القلم وأداة الرأي... سنظلّ جميعًا نجد في ثورة الحسين المعين الذي منه نستلهم على الدوام ما يشدّ الهمم ويقوّي العزائم، ويثبّت اليقين بانتصار الحقّ في النهاية، وبفوز الحريّة في آخر المطاف مهما طال الدرب، وعظمت التضحيّات. ولنا في الغائب الحاضر سماحة الإمام موسى

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الأنبياء، آية: ٣٤-٣٥.

الصدر[1] قدس سره الأسوة الحسنة، ولنا الأغران الكوكبان النيّران الشهيدان كامل ورياض مع سائر شهداء الكلمة الخالدين في لبنان قدوة ومثال.

ولقد كانت آفة آفات السلطان الطغيان، بمعناه الذي هو تجاوز الحدّ في كلّ شيء تجاوزًا ينال من حقّ الآخرين، وينتقص من حريّتهم، ويحطّ من كرامتهم، فهو إذن يتحدّى كيانهم الإنسانيّ، ويظلم وجودهم المعنويّ بالذات، ويستلزم لذلك بطبيعته الثورة عليه.

ولعلّه من هنا أنّ العقوبات في الشرع ما دعيت حدودًا إلّا من حيث إنّ من شأنها أن تضع الحد لكل من يتجاوز الحدّ، أيّ لكلّ من طغى. فكيف إذا كان هذا الطغيان في أمر حكم الناس بغير وجه حقّ؟ ألم يلخّص الله سبحانه وتعالى أبلغ تلخيص آفات فرعون كلّها بكلمة واحدة فقال لموسى عليه السلام: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[2]، ألم يؤكد جنوح النفس البشريّة الضعيفة إلى تجاوز الحدّ بقوله: ﴿**كَلا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى**﴾[3]. ألم يحذّر من عاقبة الطغيان في الدنيا: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ**

---

(١) [مركز تراث كربلاء] المعروف بالإمام موسى الصدر ولد في مدينة قم الايرانية عام ١٩٢٨م، وهو فيلسوف وسياسي وزعيم ديني شيعي وهو ابن السيد صدر الدين الصدر المنحدر من جبل عامل في لبنان. خضع لكلا الدراستين الحوزوية والاكاديمية في إيران. غادر قم إلي النجف لاستكمال دراساته الدينية، وفي ٢٥ أغسطس ١٩٧٨، غادر إلى ليبيا للاجتماع مع المسؤولين الحكوميين بدعوة من معمر القذافي، واختفى بعدها دون معرفة مصيره . للتفاصيل ينظر: عدنان فحص، الامام موسى الصدر السيرة والفكر ١٩٦٥-١٩٧٥، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت).

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة النازعات، آية: ١٧.

(٣) [مركز تراث كربلاء] سورة العلق، آية: ٦.

رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1]. ألم يحذّر سبحانه من عاقبة الطغيان في الآخرة: ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى* فَأَمَّا مَنْ طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2]

ثمّ إنّ الطغاة الذين يخيفون الناس بالذبح والقتل والخطف هم الخائفون القلقون المذعورون في الحقيقة، فالواثق من نفسه ومن مكانه لا يطغى، لا يهدّد ولا يتوعّد ولا يبطش، يعمّر ولا يخرّب، يؤّمن الناس على أرزاقهم وأموالهم ومنازلهم، ولا ينذرهم بالموت والجوع والتشريد! وليس على الأرض من له قوّة السماء. الله يعفو ويرحم، ويمهل ولا يبطش فورًا، حتى بالذين يكفرون به. إنّه يدعهم في طغيانهم يعمهون. يدعهم في غمرتهم لساعة حساب عادل، فكم من طغاة بادوا، وجبابرة سقطوا، وقلاع انهارت، وحصون اندثرت، وكم رأيت ظالمًا تحت أقدام المظلومين، فقد يتأخّر الحقّ ولكن لا بدّ أن يجيء !.

والمحدّثون من فلاسفة الاجتماع وعلم السياسة يسهبون في الحديث عن «حقّ الثورة على الظلم»، وفي تراثنا ممارسات لهذا الحقّ هي للنوع الإنسانيّ كنوز، وفي رأسها ثورة الحسين التي كانت غايتها التحرّر والانعتاق، وتحرير الناس وعتقهم، بما هي ثورة على الظلم والطغيان، والتحرّر والتحرير حقّ مقدّس للفرد، وللمجتمع يهون من أجله الجود بالنفس الذي هو غاية الجود. ولكم يستوقف الحرّ قول مسلم بن عقيل عليه السلام إذ واجه الموت قبل الإمام الحسين عليه السلام:

أقسمتُ ألّا أقتل إلّا حرًّا وإن رأيت الموت شيئًا نكرا

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الفجر، آية: ٥-١٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة النازعات، آية: ٣٤-٣٩.

بل لكم يستوقف الحرّ قولة الحسين الرائعة، والمنيّة تسير إليه، وكأنّما نفسه قد نعيت إليه، حين قال له الحرّ بن يزيد: «لئن قاتلت لتقتلن»، فصاح به الحسين: «أبالموت تخوّفني؟ ما أدري ما أقول لك، ولكنّي أقول كما قال أخو الأوس لابن عمر وهو يريد نصرة رسول الله فخوّفه ابن عمر وأنذره أنّه لمقتول فأنشده[1]:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرًا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبورًا وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متّ لم ألم كفى بك ذلًّا أن تعيش وترغما

ولكم يتوقّف الحرّ إقبال الفتى الصغير علي بن الحسين عليهما السلام على أبيه، وقد علم أنّهم مخيّرون بين الموت والتسليم فسأله: «ألسنا على حقّ؟» قال الوالد العظيم: «بلى، والذي يرجع إليه العباد» فقال الفتى: «يا أبه إذن لا نبالي!».

وكأنّه ترجيع قول الصحابي الآخر العظيم الذي لقي حتفه من عذاب المشركين:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أيّ جنب كان في الله مصرعي[2]

والذين كانوا ينتظرون أن يستسلم الحسين ما علموا أنّهم إنّما يطلبون منه ألّا يكون الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّ نفس أبيه لبين جنبيه! فلو هو أراد ألّا يخرج ضدّ حكم الطغيان لما استطاع، ولكأنّه مسوق إلى قدره بقوّة عالية لا قبل له بها تدفعه هي إلى الأمام فلا

(١) [مركز تراث كربلاء] ابو مخنف الازدي، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٧.

(٢) [مركز تراث كربلاء] هذا البيت جزء من ابيات قالها خبيب بن عدي الانصاري، بعد ان اجهز عليه المشركين وهو في طريقه مع ثلة من الصحابة ارسلهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم، للتبليغ، فلما وصلوا إلى مكان يُسمى الرجيع بين عسفان ومكة، أغار عليهم بنو لحيان(من هذيل) وهم قريب من مائتي مقاتل، فأحاطوا بهم، وقتلوا بعضهم وأسروا البعض الآخر، وقد عرفت هذه الحادثة المفجعة بالرجيع نسبة إلى ماء الرجيع الذي حصلت عنده . ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٦٨.

يستطيع هو لها دفعًا. بل لكأنّه استجمع في بصيرته النفّاذة مسار التاريخ، واستشفّ صحائفه المقبلة فأبى إلّا أن يكون فيها للشرف والصدق ونصرة الحريّة والحقّ أبلغ الأمثلة وأبرز العناوين. ولكأنّه أيقن أنّه لو ساير وبايع لضؤل لا اسمه هو في التاريخ فحسب، بل لضؤل في التاريخ الأمل ذاته بنصرة حقّ وخذلان باطل، ولضؤل الرجاء ذاته بفداء حريّة وزهق طغيان!

وهكذا وطأ الحسين الموت بالموت، ولكلّ امرئ ممّن قاتله ما احتمل من الأثم، والذي تولّى كِبره منهم له عذاب عظيم.

وإنّه لشأن كلّ المقبلين على الاستشهاد بمثل هذا الفرح، يستبدّ بهم اليقين بأنّ أعمار الطغاة قصار، وأنّ عمر الشّهيد إنّما هو عمر الدهر كلّه لا ما لبثه في الدنيا من بضع سنين!

ومن هنا أنّ كربلاء كانت وما تزال أبلغ ردّ على القول المطلق بأنّ النجاح – أيّ نجاح – له ألف والد، وأمّا الفشل – أيّ فشل – فإنّه يتيم. ذلك أنّ نجاح الباطل هو اليتيم في خاتمة المطاف، وإن استهوى في البداية الأغبياء أو الجبناء أو من تغرّهم الدنيا المغانم. أمّا لفشل الآني على مذبح الحقّ ففيه بذور الخير، وفيه مطالع النور لخلق الله كلّهم، في كلّ زمان ومكان ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾[1]. ﴿**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ*وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[2]

ولئن كان عبد الله بن جعفر قد كتب إلى الحسين يتخوّف عليه الهلاك والاستئصال

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة المؤمنون، آية: ٧١.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة العنكبوت، آية: ١-٤.

فيقول له: «إن هلكت اليوم طفأ نور الأرض»، فإنّ هذا النور ما لبث أن عاد يشعّ على الدنيا كلّها ويضيء للإنسانيّة دروب الخير والبر والمحبّة وأعلى مثل الإنسان. أمّا الذين ظنّوا أنّهم أطفأوه فما علموا لو خرجوا من دنياهم ومالهم وسلطانهم لكان خيرًا لهم من أن يلقوا الله بدم الحسين لهف نفسي عليه؛ لأنّهم إنّما كانوا يقتلون أنفسهم بأيديهم، وأنّه لأشدّ العمى وأفتك الغباء، وعلى الدنيا معهما العفاء. ولعلّ هذا ما حمل ابن يزيد نفسه، معاوية، وكان ورعًا صالحًا على خلاف أبيه، على البكاء لما حدث حتى إذا سئل قال: «إنّما نبكي على بني أميّة ولا نبكي على الماضين من بني هاشم» ولله درّ بقراط النصرانيّ الذي ذهب إلى حد الاستنكاف عن حمل خيزرانته؛ لأنّ يزيد أخذ ينكث ثنيّة الحسين. بخيزرانة كانت في يده بعد أن جيء إليه برأسه. وأشار بقراط إلى هذه الفعلة بقوله:

رميت الخيزرانة من يميني وأكره أن أشاهدها بعيني
فكيف يطيق كفّي حمل عود به ضربت ثنايا للحسين

إنّ في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام امتحانًا يوميًّا للناس، واستنفارًا لكلّ طبائع الخير والشرف والشجاعة والصدق والإيمان فيهم. ما بدأ أحدًا بقتل، ولم يواجه خصومه إلّا بالحوار، وبالكلمة الطيّبة والنصيحة الصادقة والمنطق المحكم، حتى فرضوا هم عليه الحرب فرضًا فلم يخشها وهو موقن بأنّه مقبل على الاستشهاد واثق بانتصار الحقّ إذ سأل ربه: «ربّ إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين»!...

ثمّ قست قلوبهم من بعد ذلك، ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾[1].

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة البقرة، آية: ٧٤.

قست قلوبهم فمنعوا عنه وعن أنصاره والأطفال والنساء الماء... ثمّ تركوا جثث القتلى في العراء لا يدفنونها ولا يصلون عليها... بعد أن قطعوا عن الأجساد الرؤوس!

ما أشبه الليلة بالبارحة. فأين لنا روح الحسين تشعّ فينا شعاع النور في الظلمات فتنقذنا ممّا نحن فيه من كرب، وتنجينا ممّا نحن فيه من بلاء؟ وإن حبست عنا اللهم والفرج من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين!

ولقد سمّوها كربلاء. وقالوا هي كرب وبلاء، وإنّما هي عندي أجدر بأن تدعى، بأمجاد الحسين، درب علاء؛ لأنّها إنّما كانت معراج السمو في مدارج المجد والارتفاع إلى أعلى رحاب السماء!

فاللهم أهدنا إلى مثل هذا الدرب، فوالذي نفسي بيده ما لهذه الأمّة سوى مثله سبيل خلاص من هذه الفتنة العمياء. ومن داهية الطغيان الدهماء. والسّلام عليكم ورحمة الله

فجر كربلاء[1]

ها أنا ذا أجوس خلال الديار.. ديار كربلاء.. إنّ بي لَعشقًا مبرحًا إلى من يسكن الديار.

أنا أنسج فنّ أنوار الفجر أجنحة بيضاء كأجنحة الملائكة تحملني إلى هناك.. كربلاء تُزَار عند الفجر.. كربلاء في المساء في شغل عني.. فهي حزينة ملفّعة بالسواد.. سواد عاشوراء يغزوها كلّ عام في محرّم الحرام.. وأجنحتي البيضاء لا تقتحم سواد كربلاء.. سواد كربلاء وجه ينفح بالغضب..

من يقتحم سواد كربلاء يحمل في عينيه نورًا من أنوار النبيّ.. من يقتحم سواد كربلاء يحمل في يده سيفًا كسيف علي والحمزة.. من يقتحم سواد كربلاء يحمل في جوفه قلبًا كقلب سلمان وأبي ذر.. وأنا لا أحمل في يدي سوى قلم وقرطاس.. ولا أختزن في جوفي سوى بقيّة إيمان وحب.. أستميحك كربلاء.. هل أقتحم سوادك الغاضب لأخذ بعض العبر؟.. وأتزوّد باليقين.. وأرتوي بالعرفان.. وأشحن نفسي بالإباء الحسينيّ؟

كربلاء لا أعرفك بخيلة.. فأنت أرض العطاء الديموميّ.. أنت أرض السخاء المطلق.. أنت غاية ما في الكون من الجود.. ويظهر أنّ كربلاء لا تطيق هذا النمط من – كلام المجاملة.. هدئي من روعك.. كربلاء.. لن أعكر عليك خشوعك في هذا الليل..

سأنتظر حتى الفجر.. والفجر.. وليال عشر.. والشفع والوتر.. والليل إذا يسري..

---

(١) علي أحمد حسين، فجر كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والسبعون، العددان السابع والثامن، أيلول، تشرين الأوّل ١٩٨٦م، ص١٥٨- ١٦٤.

ويسري الليل.. وأدخل كربلاء مع الفجر.. كربلاء تُزَار عند الفجر.. في هذا الفجر تستأنس بسماع تراتيل وتسابيح وصلوات وأدعية كلّها تنطلق نحو المطلق فتشم رائحة العبادة مع رائحة الدم..

الدم ما تزال له رائحة هناك أعطر من رائحة العنبر، وأطيب من كلّ طيب، وكأنّ نافذة إلى الجنّة فتحت على ذلك المكان المطهّر..

كلّ رياح الصحراء.. ورائحة البارود.. ورائحة الغازات السامّة في حرب الخليج.. ورائحة النفط العربيّ.. ورائحة الأنظمة العفنة.. ورائحة صدّام.. لم تغيّر من رائحة الدم.. الدم زكي؛ لأنّه يسيل من عروق الأنبياء، ويستقرّ في عروق الأوّلياء.. إنّه دم حسينيّ.. رساليّ... إسلاميّ...

من كان يدري أنّ هذه الأرض القفر إلّا من غلات عجفاء ستضحّي قدس العبادات بعد القدس.. وكعبة الإسلام بعد الكعبة.. ومنارة الحريّة في التاريخ؟

فإن كان محمّدﷺ قد أنزل من السماء إلى الأرض آيات تدعو إلى عبادة إله واحد.. وإيمان بكتب ورسل ويوم آخر.. وإلى عمل صالح.. فإنّ حسينًا قد رفع من الأرض إلى السماء آيات في التضحيات والصبر والتمسّك بآيات السماء.. وأدخل الطف مع الفجر.. مع السكون السادر في الأجواء، وأربض عند جذع نخلة دهريّة لم تستطع صروف الدهر أن تحني قامتها فبسقت إلى الفضاء شامخة منتفخة كأنّ مساحتها حبلى بألف قصّة عن معاني الإشراق الحسينيّ.. وأصخت السمع إلى حوار بين النخلة والفرات الذي كان يشقّق على بعد خطوات فأدركت من الطبيعة بعض الأسرار الإلهيّة في السيرة الحسينيّة...

قالت النخلة: أيها الفرات القذر.. كيف تمنع ماءك عن طفل للحسين رضيع جف

في صدر أمّه اللبن وأنت تعلم أنّ هذا الطفل سليل النبوّة ومعدن الرسالة.. وتبيح ماءك للكلاب والخنازير وأبناء السفاّح وقتلة الأوصياء؟

ويجيب الفرات وقد غصّ بكلامه: أيتها النخلة الغادرة.. ألم تجعلي من أغصانك ظلًّا لفارس غادر يستفيء من حرّ الهجير[1]، ومن جذعك مخبأ لفارس جبان يمزّق برمحه قربة الماء التي انتزعها العبّاس من فراتي لأطفال الحسين فيسيل الماء مع الدم؟

وتبكي النخلة.. كأنّها تعبّر عن براءتها وتهمس في أذن الفرات كلامًا غريبًا فهمت مغزاه.. كم جنى عني هؤلاء الأوغاد رطبًا اغتصبوها مني كما اغتصبوا الخلافة وساقوها عني كما ساقوا الإمارة.. رطبًا كنت أوفرها لأطفال الحسين.. فأطفال الحسين أكباد الأنبياء والأئمة تمشي على الأرض.. كم تمنيت أنّ ريحًا صرصرًا عاتية اقتلعتني من الجذور وجعلتني حطب النار! أو تتحوّل أغصاني إلى أقواس وسهام.. كلّ سهم يقتلع عينًا لمرتدّ أو يصيب قلبًا لفاسق.. لكم تمنيت أن تصبح رطبي رقومًا وضريعًا في بطون هؤلاء الأوغاد.

ويتمتم الفرات كلامًا يفاخر به جاراته: كيف أمنع مائي عن أن تبتل بها أفواه نطقت بكلمة التوحيد.. توحيد الله الذي فجّرني من الأرض نهرًا وجعلني فراتًا سائغًا ولم يجعلني ملحًا أجاجًا.. ولكم تمنيت أن يصبح مائي غورًا أو ترشفني أشعة الشمس.. أو تتحوّل مياهي إلى سم قاتل أو محموم يغلي في بطون الذين خرجوا لقتال حفيد الرسول. أرأيت كيف يستعر النهر غضبًا؟ وكيف تتململ النخلة حردًا؟ ما بال أولئك في الكوفة والشام يقهقهون تشفّيًا، ثمّ يدعون أنّهم حماة الإسلام وأنّهم خلفاء الرسول، وكأنّ

(١) [مركز تراث كربلاء] وهو الوقت الممتد من الزوال الى العصر، ويكون الاشد حراً خلال اليوم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٩٥.

الحسين وأصحابه عرب الردّة أو شذاذ الآفاق أو قتلة الأنبياء؟

فكم جنى هذا المعسكر اليزيديّ على الإسلام؟ وكم من مفتريات ألصقها به لم تكن لتصيبه لولا هذه البطشة الموجعة التي أصابت كلّ رواد الحقّ والعدل والحريّة في العالم.. فأهل الردّة الذين عششوا في العراق زرعوا في كلّ شبر من الأرض مرتدًّا، والمرتدّ يفرخ مرتدّين حتى امتلأت بهم جنبات الأرض.. فالمرتدّون عن الإسلام... حاربهم علي عليه السلام في الجمل وصفّين والنهروان وحاربهم الحسين عليه السلام في كربلاء.. فكم من بطشة في تاريخ الفتوح كانت ارتدادًا على الإسلام!..

هذه البطشات الأوّلى هي التي عدّت على الإسلام في التاريخ فقصمت ظهره، وما تزال تعتدي عليه بالتحريف والتزوير والتجهيل والتعصّب حتى وصل الأمر بها إلى رفع السيف في وجهه.. ويسقط الشهداء هناك.. ويسقط هنا شهداء علّ هذا المنعطف الخطير في التاريخ يعاد تصحيحه.

في هذا الفجر من الليالي العشر يحلو للإنسان أن يصغي للطبيعة.. ويشدّني حوار كما بين النخلة والفرات وألتفت إلى حبّة رمل تهمس في أذن رفيقتها: أرأيت هذا التاج على رأسي.. إنّه قطرة دم من دماء الحسين أضاهي به كلّ براعم الزهور.. وتيجان الملوك.. وتخوم الآفاق في هذا المعمور.. إنّ برعمًا على رأس زهرة قد تعصف به الريح إذا اشتدّت.. وإنّ تاجًا على رأس ملك قد يسقط ويتحطّم تحت أقدام بشريّة.. وإنّ نجمًا في أفق قد يهوي في سحيق الأبعاد. لكنّ تاجًا على رأس حبّة رمل من دماء الحسين تفاخر به الدنيا؛ لأنّه غار العزّة والفخار.. وتردّ رفيقتها بخجل لأنّها لم تصبّ قطرة من دماء الشهداء: أنا أخجل يا رفيقتي أن أرفع رأسي بين الرمال فقد أصابتني قطرة دم نجس تناثرت إلي من جسد قذر لا تستطيع أن تغسلها أمواه الفرات ودجلة ولا تقدر على تطهيرها شمس

الصحراء اللاهبة.

احفظي أيتها الدنيا عن حبّات الرمال عظات... ويا أيها العملاء عُوا: إنّ دمًا يسقط في سبيل الله والقيم دم تفوح منه رائحة الجنّة، وينسج للدنيا أثواب العزّ والفخار.. وإنّ دمًا يسقط في سبيل الشيطان والطاغوت دم تفوح منه رائحة جهنم، وينسج للدنيا سرابيل الذلّ والعار..

إنّ الفرق بين من يسقط في سبيل الله والقيم، ومن يسقط في سبيل الشيطان والطاغوت فرق يمتدّ بين طرفين نقيضين: طرف في أقصى اليمين وطرف في أقصى الشمال.. تمامًا كالفرق بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في القرآن.. فاقرأ معي سيرة كلّ من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في سورة الواقعة: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ* فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ* وَظِلٍّ مَمْدُودٍ* وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ*وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ* وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ* إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا* عُرُبًا أَتْرَابًا* لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ**﴾[1].

﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ* لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ* وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ* وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ**﴾[2].

ما زلت مع الفجر ومع كربلاء تطلعني على أسرارها الحسينيّة. فما إن انتهيت من حوار النخلة والفرات وحبّات الرمال حتى التفت إلى بعيد فأدهشني ما رأيت.. ما هذا الذي يدهشني؟

---

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الواقعة، آية: ٢٧-٤٠.

(٢) [مركز تراث كربلاء] سورة الواقعة، آية: ٤١-٤٨.

أقواس قزح في هذا الفجر!.. وفي هذا الصفاء في أديم السماء ! وأغوص.. وأغوص في عمق الأقواس.. ما استطعت أن أتبينه أقواسًا عشرة بعدد أيّام عاشوراء.. ورحت أقرأ قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[1].

فوق الأقواس مشكاة نور تتلألأ فتمدّ الأقواس بالألوان.. عرفت أنّها مشكاة الرسالة.. ورحت أراقب الأقواس من أين تصعد وأين تهبط، وأقرأ على كلّ قوس سرًّا من أسرار صعوده وهبوطه..

– أوّل قوس يصعد من الكعبة ويهبط في كربلاء.. فعرفت أنّ بين الكعبة وكربلاء سرًّا قدسيًّا من أسرار الألوهيّة.

– القوس الثاني يمتدّ من بيت النبيّ في المدينة إلى خيمة الحسين في كربلاء.. فعرفت أنّ بين دعوة النبيّ ومسيرة الحسين نسبًا الأوّلى تشرق بالتنزيل والثانية تحافظ عليه.. الأوّلى لا تنهزم ولا تساوم، ولو وضعوا الشمس في يمين محمّد والقمر في يساره والثانية لا تعطي إعطاء الذليل، ولا تقر إقرار العبيد، وعبارة على القوس تقول: «حسين مني وأنا من حسين»[2].

– أمّا القوس الثالث فيمتدّ من مسجد علي في الكوفة إلى مرقد ابنه العبّاس في كربلاء.. وقرأت على القوس علامات الشبه بين الرجلين.. علي ينصر محمّدًا على نشر دينه، ويجعل نفسه منه بمنزلة أخيه ووزيره وخليفته، ويكون منه بمنزلة هارون من موسى يقوّي ظهره ويشدّ أزره.. والعبّاس أخو الحسين من علي، وحامل لوائه، وقائد

(١) [مركز تراث كربلاء] سورة الفجر، آية: ١-٤.

(٢) [مركز تراث كربلاء] حديث شريف للنبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم. ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص ١٢٧.

عسكره ينبيك عنه قول الحسين فيه ساعة مصرعه: الآن انكسر ظهري.. الآن قلت حيلتي.. الآن شمت بي عدوي.

– القوس الرابع يمتدّ من قرية البقيع في المدينة حيث يرقد الإمام الحسن إلى خيمة ولده القاسم عريس الشهادة، وعبارة على القوس تتلألأ بالألوان الجميلة «أنت ريحانة أخي الحسن».

– والقوس الخامس يصعد من مشارف جبل أحد حيث يرقد الحمزة أسد الله وأسد رسوله، ويهبط على مشارف الكوفة، حيث صرع مسلم بن عقيل.. وحين تساءلت عن السبب عرفت أنّ بين الرجلين شبهًا في الشهادة.. الأوّل تمثّل به هند أم يزيد. والثاني يمثّل به ابن زياد عميل يزيد على الكوفة.. أن لا انفصام بين الجيشين: جيش قريش في الجاهليّة وجيش الأمويين في الإسلام.

– أما القوس السادس فيمتدّ بين أبي ذر وعلي الأكبر.. فقلت: لعلّ بين الاثنين تلازمًا على الرغم من أنّ الأوّل غفاري والثاني هاشميّ.. فسمعت نداء يقول: أتذكر كيف أعلن أبو ذر إسلامه من فوق الكعبة فأُهين وضُرب فلم يرتب ولم يأبه وأعادها ثانية وثالثة وهكذا فعل علي الأكبر حين هتف في سمع أبيه.. أولسنا على الحقّ؟.. إذن لا نبالي أوقع الموت علينا أم وقعنا على الموت..

– والقوس السابع ينطلق من موقعة صفّين حيث يجول ويصول عمّار بن ياسر إلى كربلاء، حيث يصول ويجول حبيب بن مظاهر فذاك صوت الحقّ تصرعه الفئة الباغية وهو يذب عن علي.. وينعم بوعد النبيّ في الجنّة.. وهذا صوت الحقّ تصرعه الفئة الظالمة وهو يذب عن سبط النبيّ وينعم بوعد الحسين له في الجنّة..

– أمّا القوس الثامن ينطلق من الخندق في المدينة حيث روح سلمان الفارسيّ تحوم فوقه وصوت يشبه صوت النبيّ يردّد: «سلمان منا أهل البيت» ويهبط القوس على كربلاء ينتقل بين مضاجع الشهداء من زهير بن القين إلى هاني بن عروة.. إلى هلال وجون ووهب وغيرهم.. فعرفت الشبه بين ما لاقاه سليمان من هول وعذاب حتى وصل إلى الحقيقة.. وأنّ هؤلاء رفضوا أن يتّخذوا من الليل جملًا وينجوا بأنفسهم لأنّهم عرفوا نور الحقيقة يلمع في عيني الحسين..

– هذه أقواس ثمانية كنت ألمحها عن قرب.. وأقواس أخرى كانت تتراءى لي في البعيد يضيق المجال عن تعدادها.. غير أنّي لمحت بين الأقواس قوسين موشحين بسواد يخترقان هذا الفجر فقلت: لعلّ بهما خلافًا عن تلك.. فأطرقت أحدق بهما فإذا قوس يمتدّ من مكّة حيث ترقد خديجة الكبرى أم المؤمنين والمؤمنات وأوّل مؤمنة بالله ورسوله إلى خيمة حفيدتها زينب. وقرأت على القوس آيات عرفت أنّها تحكي قصّة هاتين المجاهدتين: الأوّلى تضحي في سبيل رسول الله وتنفق أموالها وتعيش معه المنفى. والثانية تضحّي في سبيل أخيها الحسين وترحل معه إلى كربلاء لتلقى العذاب والسبي..

أمّا القوس الثاني وهو مسك الختام في الأقواس العشرة فهو ينطلق من ربوع المدينة حيث ترقد الزهراء قرب أبيها الرسول ويهبط فوق خيمات كانت تقيم بها نساء القافلة الحسينيّة.. وينتقل القوس بين الرباب أم كلثوم وليلى وسكينة وغيرهن.. فعرفت أنّ المعاناة واحدة.. وأنّ جهاد هؤلاء النسوة ينابيع منفجرة من ينبوع واحد هو الإسلام.

وإن نسيت لا أنسى ما كان يشدّ نظري بين الفينة والأخرى كيف تنتقل الأقواس، وتتجمّع فوق خيمة مميّزة تتوهّج كأنّها كتل ناريّة.. فالتفت لأرى نورًا كمشكاة ينطلق من داخل هذه الخيمة.. فوقعت في حيرة من أمري... ماذا عساه يكون ذلك النور الذي

ينعكس على عيني حتى لا أستطيع أن أتبيّنه وسمعت هاتفًا يقول: إنّه نور الإمامة ينطلق من خيمة الإمام زين العابدين عليه السلام. من هذا النور ينطلق شعاعان: رحت أراقبهما بأنظاري العلويّة.. شعاع يتّجه شرقًا، إلى إيران الإسلام فينعكس في عيني الخمينيّ الذي فجر ثورة الإسلام في القرن العشرين.. وشعاع يتّجه غربًا إلى لبنان فينعكس في عيني الإمام الصدر الذي فجر ثورة المستضعفين في هذا الركن من العالم.. ويخرج زين العباد من كربلاء ونوره يمشي أمامه لا يلوى على شيء سوى ناقة تحمله على ظهرها... وعلى ظهره يحمل الإسلام الذي قدّم من أجله أباه وإخوته وصحابته قرابين على مذبحة ليعيش هذا الدين على ظهور العباد إلى«أن يرث الله الأرض ومن عليها»..

وخفقت بأجنحتي وكانت الشمس تشرف على الشروق وأنا أكتشف بهذه الأقواس العلاقة الوثيقة بين دعوة محمّد ومسيرة الحسين.. وحملت نفسي عائدًا وأنا أحمل صدى من عاشوراء وأهتف بكلّ إخلاص:

يا حسينًا جدّد في أمّتك روح ثورتك في كلّ زمان ومكان فأنت كنت تعيش خصمًا واحدًا هو خصم الردّة القافز على السلطة.. أمّا نحن فنعيش أخصامًا ثلاثة:

خصم الصليبيّة المتجدّدة في الداخل والخارج وهي لا تبغي سلامًا ولا تعايشًا، وخصم الصهيونيّة الفاتكة بالإنسان والأرض تبغي ثأرًا لهزيمتها في المدينة وخيبر، وخصم الخارجين على حكم الإسلام، والناكثين العهد لعلي والحسين في بلاد العرب، وفي لبنان كلّهم يبغون تفتيتًا لوحدة الصف ووحدة الكلمة.. سل عنهم «كامب ديفيد» وعمان وبغداد.. يا حسين العصور.. إنّ في شعبي جرحًا يكاد ينفتق.. اشدد بيدك عليه كي لا تضيع من يده ثمرة انتصار رهيب على عدو شرس هابه كلّ العرب.. ودع الجرح

يندمل، وعانق بثورتك أعناق شعبك في وحدة متراصة كالجبل كي لا تعبث بها المحن، ولا يفصم عراها الزمن.

وإنّ من يحمل من علي والحسين عليهما السلام قشّة ليس كمن يحمل من علي والحسين السيف.. وإنّ من يحمل من علي والحسين انتماء ليس كمن يحمل من علي والحسين المبدأ.. وإنّ من يحمل من علي والحسين الاسم ليس كمن يحمل من علي والحسين الشجاعة والتحدّي وصنع قرار الموت في سبيل الله.. ليصنع النصر على خط الإسلام..

الفَصْلُ الخَامِسُ:
مَوَاضِيعُ مُتَفَرِّقَةٌ

أَوَّلًا:

الآثَارُ المَخْطُوطَةُ

فِي كَرْبَلَاءَ

(١) الآثار المخطوطة في كربلاء[1]

عنيت منذ زمن أن أقوم بتعريف المخطوطات التي تزخر بها مكتبات كربلاء وخزائنها العامة والخاصة، وقد وفقت ولله الحمد على أن أنجز قسطًا وافرًا من مشروعي هادفًا من وراء ذلك خدمة جيلنا الحاضر وإحياء تراث أجيالنا الغابرة. وقد تمكنت أن أخرج إلى النور فصلًا مما أنجزت. نشرت في أعداد شتى من مجلّة(المكتبة) البغدادية بين أعوام(١٩٦٣-١٩٦٧م) ورغبة مني أن لا تبقي الفصول المنجزة الأخرى طي النسيان وآثرت أن أثابر على نشر ما يستجد لدي من معلومات عن المخطوطات، وهي كما يلي:

١٣٥ - نهج السداد إلى شرح واجب الاعتقاد للعلّامة:

تأليف عبد الواحد بن الصفي النعماني. يبحث في الاعتقادات. أوّله بعد البسملة: يقول الفقير إلى رحمة ربه الغني عبد الواحد ابن الصافي النعماني عفى الله عنه وعن والديه وعن جميع المؤمنين والمؤمنات...الخ

آخره: وافق الفراغ منها ضحى يوم الاثنين السادس عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وثمانمائة ٨٩٦ هـ على يد الفقير إلى الله الغني علي بن حسن بن إبراهيم الحطي عفى الله عنهم أجمعين. ويوجد على هامش صفحاته تعليقات وشروح، وقد أكلت الأرضة قسمًا من حواشيه فشوهته. يقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير، وكتب بخط واضح. أوقفه السيّد علي أكبر القزويني المقيم في كربلاء.

---

(١) سلمان هادي آل طعمة، الآثار المخطوطة في كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الخامس والخمسون، العددان التاسع والعاشر، آذار ونيسان ١٩٦٨م، ص١٠٢٢- ١٠٢٥.

١٣٦- اختلاف القراء - لمحمّد بن نصر الله الحنبلي. يقع في جزأين:

الأوّل: في ٤٦٠ صفحة من القطع الوسط، نقص منه ورقة واحدة وابتدأ العبارة الآتية: (... والحفظ من التخطي إلى الخطأ والخطل أنه أجلّ من يرغب إليه ويسأل ذكر عدد أبواب الكتاب وهو ثلاثة وخمسون بابًا) الأوّل في ذكر بعض ما جاء من فضائل القرآن وأهله أخلاقهم ونعوتهم وصفاتهم وما يكره لهم إذ جفوه. آخره: والفائدة من ذكر هذا الفصل هي أن القارئ إذا أراد الوقف على كلمة فيها هاء التأنيث، وقصد متابعة المصحف في حال الوقوف عرف كيف هي مكتوبة.

كتب بالخط الأسود. أمّا عناوينه كتبت بالخط الأحمر.

الثاني: في ٢٧٤ صفحة من القطع نفسه.

أوله: عنوان – ذكر اختلافهم – في حروف فاتحة الكتاب وبالله التوفيق.. نقص منه الورقة الأخيرة وتاريخه مجهول. أوقفه الحاج السيّد علي أكبر القزويني طاب ثراه.

١٣٧- عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر (عجّل الله فرجه):

ليوسف بن يحيى السلمي الشافعي.

أوله بعد البسملة: الحمد لله الواحد العلي الواجد الغني... وبعد: فإنّه جرت مذاكرة بين بعض الإخوان في أنه قد قل المواشي من الناس وكثر الإخوان، وارتفعت الأسعار، وقل البركات، وتقطبت وجوه الآمال وقد كانت مستبشرة..

آخره: فليصلحه بفضله من علم وجه الصواب في ورام وما كان فيه من صواب رُبَّ رمية من غير رامٍ.

لم يذكر تاريخ استنساخه. يقع في ١٧٩ صفحة من قطع الوسط. كتب على ورق المعتاد بخط جيد.

١٣٨- جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات:

للشيخ مفلح بن الحسن بن الرشيد بن صلاح الصيمري[1] مؤلف(التبينات).

أوله بعد البسملة: الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين. وبعد: فقد التمس مني بعض الإخوان الأعزاء عليّ الكرام لدي أن أجمع له صنع العقود والإيقاعات وأن أجردها له في وريقات ينتفع بها أهل المعاملات...

آخره: ثم ما قصدنا إيراده والحمد لله العلي وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين. فرغ من تعليقه العبد الفقير إلى الباري عطا الله بن مسيح الدين الوستمداري يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة تسعمائة وعشرين حامدًا ومصليًّا. ذكره العلّامة الشيخ أغا بزرك الطهراني في(الذريعة) ج ٥ ص ٢٧٩ وقال عنه إنه مرتب على مقدّمة وبابين وقد فرغ منه في ١٠ جمادى الأوّل سنة ٨٧٠ هجرية. يقع في ٢١٢ صفحة من قطع الوسط. وتوجد منه عدة نسخ.

١٣٩- شرح رسالة أبي الوليد بن زيدون:

في الأدب. أوله الحمد لله الذي لا يجب الحمد إلّا له وصلّى الله على سيدنا محمّد المخصوص بأشرف رسالة وعلى آله وصحبه فما أفضل وأكرم صحبه وآله. وبعد: فإني أمرت بشرح رسالة أبي الوليد بن زيدون الآتي ذكرها وغامض براهينها... وقال في ذكر

---

(١) ترجمة السيّد محسن الأمين العاملي في(أعيان الشيعة) ج ٤٨ ص ٩١-٩٣، وعدد مؤلفاته، وأورد طرفًا من أشعاره وذكر أن وفاته في حدود سنة ٩٠٠ هـ، وقبره في قرية سنى آباد من قرى البحرين.. وذكره العلاّمة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي في(أمل الآمل) ج٢ ص ٣٢٤و٣٢٥ فقال: فاضل علّامة فقيه له كتب منها: شرح الشرائع وشرح الموجز ومختصر الصحاح ومنتخب الخلاف رسالة سمّاها جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات وهي دالة على علمه وفضله واحتياطه وهو معاصر للشيخ علي بن عبد العالي الكركي.

منشئ الرسالة هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون الأندلسي الكاتب الشاعر ولد بقرطبة سنة أربعة وتسعين وثلاثمائة، وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالأدب.

نقص آخره. لم يذكر تاريخ تأليفه، عدد صفحاته ١٥٨ صفحة من قطع الوسط وكتب بخط جيد. وعلى بعض صفحاته ختم يشير إلى أنه من موقوفات مكتبة العلّامة شيخ العراقَين الطهراني.

وهذه المؤلفات هي من مخطوطات المكتبة الجعفرية العامّة في كربلاء.

١٤٠- مفتاح العلاج- للشيخ بهاء الدين العاملي:

أوله بعد البسملة: وبه يقيني الحمد لله الذي دلنا على جادة النجاة وهدانا إلى ما يوجب..

آخره: وفرغت بعون الله من تأليفه مع تراكم أفواج العلايق وتلاطم أمواج العوائق وتوزع البال والحل والترحال في أوائل العشر الثالث من الشهر الثاني من السنة الخامسة من العشر الثاني بعد الألف ببلدة كنجه، وأنا أقل الأنام محمّد المشتهر ببهاء الدين العاملي تجاوز الله عن سيئاته والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا في الصفحة الأوّلى من المخطوط لوحة نقشت بالميناء والذهب، وكتب بخط جميل على ورق خفيف، وعلى بعض صفحاته حواش وتعليقات. والكتاب مجلّد بجلد من المقوى السميك المزخرف. يقع في ٢٥٨ صفحة من القطع الصغير وقد أكلت الأرضة قسمًا من صفحاته، إلّا أنها لم تصبها يد التلف.. وهو من مخطوطات مكتبة الفاضل السيّد مجيد السيّد سلمان الوهاب آل طعمة.

١٤١- التقويم الشرعي:

فارسي. يبحث في الأيام الحسنة، والأيام النحس من السنة. لمحمّد صالح الحسيني. يقع في ٦٠ صفحة بقطع الوسط وكتب بخط المؤلف، فارسي(شكسته) باللونين الأحمر والأسود. وتليه مقدّمة وجداول. كتب بتاريخ سنة ١١١٠هجرية. ذكره العلّامة الطهراني في(الذريعة) ج ٤ ص ٣٩٧. وهو من مخطوطات مكتبة العلّامة الشيخ محمّد صالح البرغاني.

(٢) الآثار المخطوطة في كربلاء[١]

١٤٢ – ديوان عبد الباقي العمري:

يقع في ١١٦ صفحة من قطع الوسط، كتب بخط جيد على كاغد أسمر.

أوله: هذا كتاب المنتقى والمجتبى من نعت أهل البيت أصحاب العبا.

وآخره: الراجي عفو ربه ولطفه الخفي الجلي عبد الله ثابت العمري الموصلي وذلك بمدينة السلام بغداد في عاشر ذي الحجة سنة ١٢٧٠هـ.

١٤٣- مجموعة أدعية:

وتشمل على دعاء جوشن كبير وزيارة عاشوراء وأدعية متفرقة أخرى. أوله بعد البسملة: اللهم إني أسألك باسمك يا الله يا رحمان يا رحيم.. الخ.

آخره: كتبه الميرزا أحمد بتاريخ سلخ جمادى الثاني سنة ١١٩١هـ. يقع الكتاب في ٢١٦ صفحة من قطع الوسط، وكتب بخط واضح على ورقة الترمة.

١٤٤- مجموعة تشمل على:

١- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

أوله بعد البسملة. أمّا بعد فهذه نبذة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسميته بكفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ونبذة من أخبار صاحب الزمان عجل الله فرجه

(١) سلمان هادي الطعمة، الآثار المخطوطة في كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والخمسون، العددان الأوّل والثاني، آيار وحزيران ١٩٦٩م، ص٨٤-٨٨.

من إملاء الإمام العلّامة فقيه الحرمين مفتي العراقين محدّث الشام صدر الحفاظ أبي عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي.. الخ.

آخره: قد فرغ من تسويدها محمّد حسن ابن شيخ جواد البصير ابن الحاج مهدي أغائي الكاظمي مسكنًا ومدفنًا.

يقع في ٣١٨ صفحة من قطع الوسط كتب بخط جيد على ورق المعتاد.

٢- أخبار صاحب الزمان:

لمحمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الشافعي.

أوله بعد البسملة: أمّا بعد، حمد الله الذي هو فاتحة كل كتاب، وخاتمة كل خطاب والصلاة على رسوله ﷺ.

آخره: هذا آخر أبواب كتاب البيان، وهو آخر باب الخامس والعشرين من الكتاب المذكور، والحمد لله أولًا وآخرًا كتب هذه المسودة محمّد حسن ابن شيخ جواد أغائي في سنة ١٢٨١هـ.

يقع في ٥٠ صفحة من قطع الوسط وكتب بخط ناعم.

٣- باب في الرسالة المذهبة المعروف بالذهبية.

أوله: أقول وجدت بخط الشيخ الأجلّ الأفضل العلّامة الكامل في فنون العلوم والأدب مروج الدين والمذهب نور الدين علي بن عبد العالي الكركي جزاه الله...

نقص آخره يقع في ١١ صفحة من قطع الوسط. لم يدوّن تاريخه. والكتاب بمجموعة مجلّد بجلد من المقوى وعليه نقوش.

هذه الكتب المذكورة وجدتها في خزانة كتب السيّد مجيد السيّد سلمان الوهاب آل طعمة.

١٤٥- مفتاح الفلاح:

للمولى محمّد بن الحسين بن عبد الصمد المعروف بالشيخ البهائي. يقع في ٢٨٦ صفحة من قطع الصغير وكتب بخط جميل، يبحث في أعمال اليوم والليلة.

وتاريخ نسخه عام ١٠٥٨هـ.

أوله بعد البسملة: الحمد لله الذي دلنا على جادة النجاة. آخره: فرغت بعون الله تعالى من تأليفه مع تراكم أفواج.. الخ ١٠٥٨هـ.

١٤٦- النخبة:

في الفقه، للمولى محمّد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الفيض الكاشاني.

المتوفى عام ١٠٩١هـ، يقع في ٢٤٦ صفحة من قطع الصغير، كتب بخط جميل جدًا في حياة مصنفه، كما يظهر من الصفحة الأوّلى بخط المعتاد على ورق الترمة المائل للسمرة باللون الأسود.

أوله بعد البسملة: الحمد لله الذي أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت النبوة عليهم السلام.... الخ.

آخره: تاريخ ختم الكتاب بخمسين تمت سوى الألف عام، فختمي لتاريخ ختمي تمام. تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل العباد رضي الدين ابن نصر الله الليثي الجزائري عفي عنهما.

هذان الكتابان من مخطوطات مكتبة العلّامة محمّد صالح البرغاني.

١٤٧- شكار نامه ايلخاني:

فارسي، لمؤلفه علي بن منصور الحلواني.

أوله بعد البسملة: وبه نستعين حمد وسباس بي حد وقياس.. الخ.

آخره: تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أضعف عباد الله الصمد عبده محمّد حسين بن نور الدين محمّد الشريف عفي عنهما ١٠٢٨هـ.

وقد علّق عليه العلّامة المعاصر شيخنا أغا بزرك الطهراني في ظهر الصفحة الأوّلى منه بقوله: عمد هذا المؤلف إلى كتاب صيد نامه ملكشاهي الذي ألفه أبو الجوارح الخواجة علي بن محمّد النيسابوري باسم السلطان ملكشاه وزاد فيه ثلاثة أبواب لثلاثة من الجوارح التي لم يكن لها ذكر في صيد نامه ملكشاهي، ورتبه على مقدّمتين وسبعة وعشرين بابًا وجعله باسم السلطان طغا تيمور خان.

يقع في ١٥٣ صفحة من قطع الصغير، وكتب باللون الأسود وعناوينه باللون الأحمر.

١٤٨- رسالة الاستصحاب:

للشيخ مرتضى الأنصاري.

نقص أوله، وابتداؤه بهذه العبارة: على القوم في تخصيص استصحاب حال العقل باستصحاب النفي والبراءة..

آخره: تمت الخير في تاريخ عصر الجمعة شهر شوال ١٢٦٩هـ في المشهد المعظم الغروي(عليه أفضل الصلاة والسلام).

كتب بخط جيد على ورق الترمة باللون الأسود. يقع في ١٩٨صفحة من قطع الوسط.

١٤٩- زاد المعاد:

فارسي. في الأدعية والعبادات وأعمال السنّة. لمحمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي. أوله بعد البسملة: الحمد لله الذي جعل العباد وسيلة لنيل السعادة في الآخرة والأوّلى..

سقط آخره. يقع في ٤٨٠ صفحة من قطع الوسط وكتب بخط المعتاد.

هذه المؤلفات من مخطوطات مكتبة السيّد محمّد سعيد السيّد محمّد علي آل ثابت.

١٥٠- منتخب الدعوات:

مجموعة أدعية قام بجمعها سيدي الوالد حفظه الله السيّد هادي ابن السيد محمّد مهدي بن علي السيّد سليمان ابن السيد مصطفى ابن السيد أحمد آل طعمة الموسوي. وقد علق في الصفحة الأوّلى من الكتاب شيخنا العلّامة أغا بزرك الطهراني فكتب بخط يده ما هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انتخبه السيّد الجليل الحسيب النسيب الفاضل السيّد محمّد هادي ابن السيد محمّد مهدي آل طعمة الموسوي الفائزي الحائري لعمل نفسه من الزيارات والأدعية والأوراد والختوم فيحق أن يسمى بـ منتخب الدعوات لنيل السعادات وفقه الله تعالى في سائر الأحوال لقراءتها للاستفادة منها، كما وفقه لكتابتها تعلمه النزيه في ١٣٨٠هـ حرره بيده المرتعشة في دار كاتبه في سادس محرم الحرام عام ستة وثمانين وثلاثمائة ألف الفاني الشهير بأغا بزرك الطهراني عفا الله عنه وعن والديه.

يقع الكتاب في ٣٧١صفحة من قطع الصغير. وهو من مخطوطات مكتبتي الخاصة.

(٣) الآثار المخطوطة في كربلاء[1]

١٦١ – حق اليقين:

في الحديث. لمؤلفه محمّد باقر بن محمّد تقي.

أوله بعد البسملة: الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد العليم القدير الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

آخره: (قد فرغ من كتابة هذه النسخة الشريفة المسمى(كذا) بحق اليقين أقل خلق الله وأحقر عباد الله الغني محمّد ابن إمام قلي طالقاني في يوم الاثنين غرة شهر شعبان المعظم من شهور ثماني عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفويّة عليه وعلى آله ألف ألف سلام وتحية الحمد لله رب العالمين).

كمل من الأوّل والآخر وكتب بخط جيد على ورق خفيف من نوع الترمة يقع في ٤٧٠ صفحة من قطع الوسط.

والكتاب من مخطوطات مكتبة العلّامة السيّد حسين القزويني الحائري.

١٦٢ – حاشية قاف:

أوله في المنطق وآخره في الأصول. وقد سقطت أوراقه الأوّلى، يبتدئ الكتاب بالعبارة الآتية: قيل إن محمّد لها لازم الصدق على الموضوع بجهة من الجهات... الخ.

---

(١) سلمان هادي آل طعمة، الآثار المخطوطة في كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد التاسع والخمسون، العددان الثاني والثالث، حزيران وتموز ١٩٧١م، ص٢٧٧-٢٧٩.

آخره: وقد حصل الفراغ لأضعف المحصلين وأحقرهم علي بن خضر غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه من تحريره يوم الجمة في أوائل الشهر المبارك المعظم المحرم سنة ثلاثة وخمسين وثمانمائة.

يقع الكتاب في ١٧٦صفحة من قطع الوسط وكتب بخط حسن على ورق خشن، ويوجد على هامشه بعض التعليقات.

١٦٣- دستور العلاج:

فارسي، في الطب. لعلي أكبر مرزا خان مرزا مهدي الموسوي الحسيني الأصفهاني. أوله بعد البسملة: زهي حكيمي جلّ جلاله له بكمال نوال راحت ومرحمت...

آخره: باتفاق معالجة سالف مختارات واكر در آن يك حاذق وصاحب علم كثير بود بيمار معالجة شود از صاحب علم كثير اختيار كنندو ازكم علم معالجة نكند – تمت. تمام شد.

يقع الكتاب في ٥٨٠صفحة من قطع الكبير. وتاريخ كتابته في شهر ذي الحجة الحرام يوم الجمعة سنة ١٢٣٠هـ وعليه ختم المؤلف. كتب بخط واضح على ورق خشن مائل للزرقة.

الكتابان من محتويات مكتبة الفاضل السيّد محمّد رضا ابن السيّد جعفر الأعرجي الحسيني المولود في كربلاء يوم ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٦٨هـ.

١٦٤ – زيارات:

مجموع اشتمل على زيارات الأئمة الأطهار عليهم السلام. كتب القسم الأكبر منه جدي المغفور له السيّد محمّد مهدي ابن السيّد سليمان ابن السيّد مصطفى ابن السيّد أحمد آل

طعمة الموسوي المتوفي يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٢٤هـ كتب بخط خشن في غاية الجودة على ورق المعتاد. وفي هامش الص ١٦٦ تعليق كتب بالفارسية آخرها حرره محمّد رضا الموسوي بن محمّد مهدي الموسوي خادم الحرمين الشريفين في سنة ١٣٣٨هـ.. ويتضح أن العم السيّد محمّد رضا حفظه الله أكمل ما تبقى من هذه الزيارات على النسق نفسه، وذلك للحفاظ على تراث والده خشية التلف.

يقع المجموع في ٢٩٩صفحة من قطع الوسط مغلف بجلد قوي من المقوى. والكتاب من محتويات مكتبتي الخاصة.

١٦٥-ايسا غوجي:

في المنطق. لأثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري المتوفي حدود سنة ٧٠٠هـ. القسم الأوّل أوله بعد البسملة: الحمد لله الواجب وجوده الممتنع نظيره...

آخره: تمت الرسالة الموسومة بايسا غوجي في وقت الأضحى يوم الخميس سلخ من محرم الحرام سنة ست وسبعين وثمانمائة.

القسم الثاني أوله بعد البسملة: الحمد لله على توفيقه ونسأله هداية طريقه ونصلّي على محمّد وعترته عليهم السلام وبعد فهذه رسالة في المنطق... الخ.

آخره: تمت هذه الرسالة يوم الجمعة غرة صفر سنة ست وسبعين وثمانمائة.

يقع الكتاب في ١٤٤ صفحة من حجم الكف، وكتب بخط المعتاد على ورق من نوع الترمة، والكتاب من مخطوطات مكتبة السيّد محمّد سعيد السيّد محمّد على آل ثابت.

١٦٦ – نجاة العباد:

في الفقه. لمؤلفه محمّد حسن ابن الشيخ باقر.

أوله بعد البسملة: لا بأس بالعمل بهذه الرسالة المسمى(كذا) بنجاة العباد المشتملة على الطهارة، ومنها الدماء والصلاة والصوم والاعتكاف مع الحواشي التي علقها عليه الشيخ المرحوم قدس سره والحواشي التي علقتها عليها والعامل بها إن شاء الله تعالى معذور والمرجع في موارد التأمل والاحتياط والإشكال... حرره الأحقر محمّد حسن الحسيني.

آخره: قد تم ما نقص من الكتاب بعون الملك الوهاب بيد أقل صغار الطلّاب موسى بن جعفر الكرمانشاهي أصلًا الحائري مولدًا ومسكنًا ومدفنًا إن شاء الله تعالى يوم الأربعاء سابع شهر الثاني عشر من السنّة الثانية من المائة الرابعة من الألف الثاني من الهجرة النبوية عليه وعلى آله آلاف ثناء وتحية.

والكتاب طبع مؤخرًا. وهذه النسخة كتبت بخط المعتاد على ورق المعتاد، وهي من محتويات مكتبة النهضة الإسلامية.

ثَانِيًا:

أَخْبَارٌ مُتَنَوِّعَةٌ

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر[1]

فاجأتنا رصيفتنا المصباح البغدادية بنعي المرحوم المبرور الشيخ عبد الله المازندراني[2] أحد أساطين علماء الشيعة المجتهدين، ومن أعظم مؤسسي النهضة الدستورية في إيران ومن خيرة المجاهدين في سبيل الدستور والحرية قضى رحمه الله بعد داء عضال أصيب به من بضع سنين وذلك عقيب أقل من سنة من موت رفيقه في جهاده الإمام الخراساني رحمه الله رحمة واسعة وعوض المسلمين عن فقده خيرا.

(١) الشيخ عبد الله المازندراني، كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع، الجزء التاسع والعاشر، كانون الأوّل ١٩١٢م، ص٣٩٦.

(٢) الشيخ عبد الله المازندراني(١٢٥٦-١٣٣٠هـ). وهو الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمّد نصير الجيلاني المازندراني النجفي من أعاظم العلماء وأكابر المدرسين، ولد في مازندران وقرأ فيها مقدّمات الدروس الحوزوية قبل أن يهاجر إلى العتبات المقدّسة في النجف وكربلاء لإكمال درسه، فكان يحضر في كربلاء عند الشيخ زين العابدين المازندراني مختصًا بدرسه ذائعًا صيته في العلم والفضل في كربلاء آنئذ، وبعد وفاة أستاذه عام ١٣١٢هـ بزغ نجم المترجم له أكثر من ذي قبل ورشحته الأوساط الدينية والمرجعية ورجع إليه في التقليد جملة من تلامذة الأستاذ وعامة أهالي رشت ومازندران. توفي في النجف يوم الأحد غرة ذي الحجة عام ١٣٣٠هـ.

خلاصة الأنباء[1]

تعيّن صديقنا الشيخ محمّد أبو المحاسن من فضلاء كربلاء وزيرًا للمعارف العراقية فنرجو للمعارف في العراق على يديه تقدّمًا ورقيًّا، ووصل الخط الحجازي من بغداد إلى كربلاء، وقد دشنه جلالة الملك فيصل بنفسه في احتفال حافل.

المطبوعات الحديثة

المقبولة الحسينية[2]

منظومة شعرية تكفلّت بشرح واقعة الطف بطريق موجز، وفي آخرها أوجز الأنباء في مقتل سيد الشهداء عليه السلام وهي للشيخ هادي آل الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

خلاصة الأنباء[3]

مرت رفات شاه العجم السابق المرحوم محمّد علي من بيروت والشام وكان لتشييعها في البلدين احتفال مهيب، وقد أقلتها السيارات إلى كربلاء لتدفن هناك.

---

(١) خلاصة الأنباء، مجلّة العرفان، المجلد التاسع، الجزء الرابع، كانون الثاني ١٩٢٤م، ص٣٦٧.

(٢) المقبولة الحسينية كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد العاشر، الجزء الثاني، تشرين الثاني ١٩٢٤م، ص١٩٨.

(٣) خلاصة الأنباء، مجلّة العرفان، المجلّد العاشر، الجزء التاسع، آيار ١٩٢٥م، ص٩٤١.

المطبوعات الحديثة

مختصر نهضة الحسين[1]

هذا الكتاب الجديد سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الإمام سيدنا الحسين بن علي عليه السلام، وهو تأليف السيّد هبة الدين الشهرستاني المشهور في علمه وفضله، وقد علل تلك الفاجعة تعليلًا فلسفيًّا نافعًا في بابه، وقد طبع بمطبعة دار السلام في بغداد طبعًا جيدًا على ورق فاخر، وذلك سنة ١٣٤٥هـ فجاء في ١١٦ صفحة بقطع العرفان، ويطلب من إدارة العرفان في صيدا، وثمنه ١٧ قرشًا ذهبًا أو ليرة سورية.

بريد القرّاء

العرفان في كربلاء[2]

بما أن مجلّتكم الغرّاء هي في مقدّمة المجلّات الراقية في العالم العربي، وبما أن بلدتنا محرومة من التمتع بمباحثها العلمية والأدبية. أخبركم أني مستعد لأن أكون وكيلكم في كربلاء. ولي الأمل الوطيد في أنها ستحوز رضاء كثيرين من القرّاء في كربلاء لملائمتها أذواق الكربلائيين.

المخلص

محمّد صبري صاحب المكتبة الإسلامية في كربلاء

---

(١) مختصر نهضة الحسين، مجلّة العرفان، المجلّد الثالث عشر، الجزء الثامن، نيسان١٩٢٧م، ص٩٤٦.

(٢) العرفان في كربلاء بريد القراء، مجلّة العرفان، المجلّد الخامس عشر، الجزء السابع، آذار ١٩٢٨م، ص٨٢٦.

النبأ العظيم أو علي بن أبي طالب[1]

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه السيّد تقي المصعبي آل الهندي من فضلاء كربلاء والطالب سابقًا بمعهدي الحقوق والعلوم السياسية في باريس، وقد اعتمد في مصادر الكتاب على تواريخ عدة، وكتب حديث لأهل السنة دون الشيعة، وفيه ذكر حروب علي عليه السلام وكتبه لمعاوية وأجوبته عليها إلى غير ذلك من شؤون وشجون.

خلاصة الأنباء

«جاءتنا نشرات من كربلاء بتوقيع(إبراهيم جمال الدين)، وبها تأسيس الجمعية الروحانية في كربلاء أهم ما بها أن يكون العضو الذي يريد الدخول فيها متجنبًا الكذب والحسد والغيبة، فعسى أن يكثر الروحانيون لأن الانغماس في المادة أصبح عامًا»[2].

مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء[3]

الجزء الأوّل عدد صفحاته ١٠٨ مطبعة النجاح بغداد – مؤلّفه السيّد محمّد حسن آل كليدار كربلاء، البلدة المقدّسة، التي وقعت في أرضها الحادثة المروعة في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة.

---

(١) تقي المصعبي آل هندي، النبأ العظيم أو علي بن أبي طالب، مجلّة العرفان، المجلّد التاسع والعشرون، الجزء الرابع والخامس، آيار وحزيران ١٩٣٩م، ص٥٢٤.

(٢) خلاصة الأنباء، مجلّة العرفان، المجلّد الثاني والثلاثون، الجزء الرابع، آذار ١٩٤٦م، ص٣٩٧.

(٣) نور الدين آل شرف الدين، مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والثلاثون، الجزءالثاني، كانون الأوّل ١٩٤٧م، ص٢٨٢.

تلك الواقعة التي لطخت تاريخ بني أمية بالخزي والعار، وانقضّت على أساس ملكهم انقضاض الصاعقة فجعلته هباء منثورًا، وأزهقته إزهاق الباطل لأنه من معدنه عليه شيّدوا بنيانه وبنوا أركانه. وسجلت(واقعة كربلاء) تاريخًا مجيدًا للبطولة الإسلامية الحمراء، والتضحية البكر المضرجة بالدماء، فكانت مثالًا يحتذى مدى العصور. وكربلاء هذه عرين ليث الإسلام، ومرقد رمز البطولة والتضحية، من أجل ذلك كانت ولم تزل ولن تزال مهوى أفئدة المؤمنين، ومنارة الأبطال الثائرين في وجه الاستبداد والظلم. فتاريخها تهفو إليه كل نفس، وترهف سمعها إليه أذن كل جيل واعٍ يقدر الإباء والشمم، والبطولة والتضحية في سبيل المبدأ القويم والقضايا العادلة.

وما أحوجنا في ظرفنا العصيب الحاضر للاقتباس من بطولة كربلاء وتضحيتها في سبيل القضية الفلسطينية التي تنهشها ذئاب الاستعمار، وتمزقها بمخالبها في التقسيم لتجعل قسمًا منها بؤرة للصهيونية الماكرة. تناول مؤلف هذا الكتاب تاريخ المدينة المقدّسة(كربلاء) بإيجاز واختصار باذلًا وسعه في التنقيب والبحث لأن المصادر في الموضوع قليلة صعبة التناول وأغلب أبحاث السلسة الأوّلى التي بين أيدينا تتعرض إلى الأشراف الذين قطنوا هذه البلدة الطيبة وسدنة الروضة المقدّسة.

نقصٌ عليك من أنبائها[1]

ما زال متصرف لواء كربلاء السيّد حسين السعد ومدير أوقافها يبذلان الجهود الجبارة بإصلاح صحن العباس بن علي عليه السلام، وبناء جداره بالكاشي الأزرق القديم الملون، وتجديد طابوق قبته ومآذنه بالذهب الخالص، وتبرع أحد تجار بغداد بتجديد واجهة الباب القبلي بالمرمر الخالص.

كربلاء تحتفل بندوتها الجديدة[2]

عقدت في ليلة الأحد المصادف ٣٠ / ٦/ ١٩٥٦م ندوة (رابطة الفرات الأوسط) اجتماعها الأوّل في مدينة كربلاء، وقد حضره بعض أدباء البلدة. وجرت هنالك مناقشات أدبية في محضر هذا الاجتماع لمعالجة بعض القضايا المهمة وهي رفع المستوى الأدبي البحت بين أبناء هذا الجيل، وعدم الخوض في التيارات السياسية، وفي الوقت نفسه عرض الأستاذ سلمان هادي الطعمة سؤالًا كان له أهمية تذكر ألا وهو:

«في كربلاء شعراء مبرزون ظهروا في القرن التاسع عشر ولديهم دواوين قيمة لم تطبع لحد الآن. فهل باستطاعة هذه الندوة أن تحيي تراث هؤلاء؟» فأجاب كل من الأستاذين عباس أبو الطوس ونعمة أمين على أن بإمكان هذه الندوة أن تعمل كل

---

(١) نقص عليك من أنبائها، مجلّة العرفان، المجلّد الرابع والأربعون الجزء الأوّل، تشرين الأوّل ١٩٥٦م، ص١٠٩.

(٢) نقص عليك من أنبائها كربلاء تحتفل بندوتها الجديدة، مجلّة العرفان، المجلّد الخامس والأربعون الجزء الأوّل، تشرين الأوّل ١٩٥٧م، ص٩٩.

شيء فيما لو واصلت سيرها قدمًا إلى الأمام على حل المشاكل الأدبية ومعالجتها معالجة صائبة. وبعد مرور فترة قصيرة تناول الأستاذ عباس أبو الطوس بحثًا مهمًا يتعلق بتطور الأدب الحديث والمدارس الجديدة في الشعر، كما أشار إلى الإكثار من الأدباء الناشئين وهواة الأدب. فعاد المحامي مهدي عباس الحائري واقترح أن يسهم أكبر عدد ممكن من المحامين والأساتذة والتلاميذ لكي يتوسع نفوذ هذه الندوة يومًا بعد يوم. وكان الرأي النهائي للأستاذ صادق محمّد رضا الطعمة وهو إنشاء مكتبة وجمع تبرعات من أعضاء الندوة أولًا والمساهمين ثانيًا. فأيد هذه الفكرة الأستاذ مهدي أبو الحب وقال: إنه رأي له أهمية كبيرة، فهو أهم واجب لا بدّ من تأديته.

كان هذا محضر الجلسة الأوّل من ندوة الشباب، وسيتناول بعض الأدباء الكربلائيين أمثال الأستاذ زكي الصراف ومظهر اطيمش ومهدي جاسم وحسن عبد الأمير محاضراتهم في الاجتماع المقبل وتقدّم الاقتراحات في هذا الصدد.

من أخبار كربلاء[1]

١- يقوم الأستاذ عبد المجيد السالم من أدباء كربلاء بإعداد المجلّد الأوّل من موسوعته الكبرى عن تاريخ كربلاء الموسوم بـ(الروض الزاهر في علماء الحائر)، ويليه ثلاثة مجلّدات ضخمة تبحث عن الأسر والبيوت الكربلائية وحوادث كربلاء المعروفة من القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا.

٢- يصدر خلال هذا الشهر ديوان الشاعر الشعبي الأستاذ كاظم منظور الكربلائي باسم(الأغاريد الشعبية) وقد تمّ طبعه في مطبعة أهل البيت - كربلاء.

٣- تمر في هذا الأسبوع ذكرى مرور ٩ أشهر على وفاة شاعر كربلاء الخالد وفقيد الأدب المرحوم(عباس أبو الطوس)، ومن الجدير بالذكر أن فقيدنا الراحل خدم الأدب العربي خدمات جليلة تذكر، ونشر في الصحف والمجلّات العربية وعلى رأسها مجلّة(العرفان) قصائد وبحوث واسعة في الأدب.. وسوف تحتفل«أسرة الأدب في كربلاء» احتفالًا رائعًا في ذكراه الأوّلى.

٤- لا تزال مجلّة(أجوبة المسائل الدينية) تواصل الصدور في بلد العلم والأدب- كربلاء - وقد أنهت السنة الثالثة ودخلت عامها الرابع، تصدّرها لجنة الثقافة الدينية في«مدرسة الهندية» بكربلاء، نرجو للزميلة ولأسرة التحرير النشاط المستمر.

---

(١) من أخبار كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والأربعون، الجزء الثاني، تشرين الأوّل ١٩٥٩م، ص١٩٧.

وفاة الشاعر الكربلائي[1] مهدي جاسم

حينما كنا بالعراق في الشهر الرابع من هذه السنة بلغنا نعي الشاعر الكربلائي والمربي الفاضل الأستاذ مهدي جاسم، وقد أقام له أدباء كربلاء وشعراؤها حفلة تذكارية تكلّم فيها عدد من الأدباء والشعراء، وهو من الشعراء الذين يستحقون التكريم، ويجد القارئ في العدد القادم مقالًا عنه مؤرخ شعراء كربلاء الأستاذ سلمان هادي آل طعمة.

مجلّة صوت الإسلام[2]

صدر العدد الأوّل للسنة الثامنة من مجلّة(صوت الإسلام) الكربلائية التي تصدّرها جمعية النهضة الإسلامية في كربلاء، ويضم العدد طائفة من المقالات الأدبية والتاريخية والسياسية، وحفل بكل ما لذ من الأخبار الطريفة. نهنئ صوت الإسلام ونتمنى لها كل تقدم وازدهار.

(١) وفاة الشاعر الكربلائي مهدي جاسم، مجلّة العرفان، المجلّد السابع والستون، الأعداد الثامن والتاسع والعاشر، تشرين الأوّل – كانون الأوّل ١٩٧٩م، ص٩٢٤.

(٢) مجلّة صوت الإسلام، مجلّة العرفان، المجلّد التاسع والستون، العددان الأوّل والثاني، كانون الثاني وشباط ١٩٨١م، ص٨٠.

مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء[1]

صدر الجزء الرابع من كتاب(مدينة الحسين) أو مختصر تاريخ كربلاء، لمؤلفه الأستاذ السيّد محمّد حسن الكليدار آل طعمة، والكتاب يتحدث عن فترة من فترات تاريخ كربلاء، ويناقش الآراء والمعتقدات البهائية، ويتعرض في رده على الدكتور علي الوردي، والكتاب سجل تاريخي يفيد كمرجع لكل من يريد أن يكتب عن تاريخ هذه المدينة المقدّسة.

(١) مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد التاسع والستون، العددان الأوّل والثاني، كانون الثاني وشباط ١٩٨١م، ص٨٠.

ثَالِثًا:

الصَّحَافَةُ فِي كَرْبَلَاءَ

الصحافة في كربلاء[1]

لعبت الصحافة في كربلاء دورًا كبيرًا في مضمار الحياة الفكرية، وكان لها نصيب وافر ونشاط ملموس في دفع زخم الحركة الثقافية إلى التطور والتقدم والازدهار. فليست الصحافة الكربلائية بحديثة العهد، إذ إن جذورها تمتد إلى عشرات السنين المنصرمة، ولم تكن أقل شأنًا من أخواتها الصحف المحلية التي ساهمت في رفع المستوى الثقافي والفكري في سائر أنحاء المدن العراقية كبغداد والموصل والنجف والبصرة وغيرها.

وكلنا يعلم أن(كربلاء) ذات أمجاد ثورية خالدة، لها ماضيها التليد وحاضرها المشرّف، فهي بحق مصدر إشعاع فكري في العراق، نظرًا لمكانتها التاريخية المرموقة ولأنها محط رحال المسلمين ومنتجع العلماء والشعراء ومربض الثوار. فلا غرو إذا ما انبثقت منها بين حين وآخر صحف ومجلات تعبّر عن أماني أبنائها الأحرار الذين يتطلعون بشوق وحرارة إلى مستقبل أفضل..

وما دمنا بصدد حديث الصحافة الكربلائية، لا بدّ لنا أن نستعرض تاريخ صدور هذه الصحف والمجلّات، ومدى ما أدته من خدمة نافعة في تطوير الحياة الأدبية والعلمية والسياسية خلال الحقبة التي صدرت فيها تلك الصحف. أمّا أشهرها فهي:

---

(١) سلمان هادي الطعمة، الصحافة في كربلاء، مجلّة العرفان، المجلّد الثامن والأربعون، الجزء الأوّل، أيلول ١٩٦٠م، ص٧٦ – ٧٨.

الغروب:

وهي جريدة يومية سياسية وأدبية صدرت في عام ١٩٣٥م، وكان مؤسّسها الأستاذ عباس علوان صالح، وقد ساهم في تحريرها عدد لا يستهان به من علماء وأدباء كربلاء، وكانت تطبع في مطبعة الشباب بكربلاء وهي لصاحب الجريدة نفسه. وقد عالجت هذه الصحيفة الأوضاع السياسية السائدة في ذلك العهد المندثر الذي كان يخيم بظله الثقيل على المجتمع العراقي، وظلت تصدر في كربلاء وبعد فترة انتقلت إلى بغداد، وفي سنة ١٩٣٧م غربت عن الأنظار بعد أن قامت بتأدية رسالتها الصحفية على الوجه الأكمل.

الأسبوع:

وهي مجلّة أسبوعية أدبية أصدرها الأستاذ عباس علوان الصالح عام ١٩٤٣م في كربلاء، وكانت تضم بحوثًا أدبية قيّمة وتراثًا علميًّا ضخمًا، ثم انتقلت إلى بغداد وظلت تصدر هناك حيث نشر صاحبها كتابًا تناول فيه المعاهدة العراقية الإنكليزية، فصادرته وزارة الداخلية وألغت امتياز مجلّته.

الندوة:

وفي عام ١٩٤١م تشكّلت في كربلاء جمعية أدبية باسم(ندوة الشباب العربي) وأصدرت جريدة يومية باسم(الندوة)، وكان رئيس تحريرها المحامي السيّد محمّد مهدي الوهاب، وقد ساهم في تحريرها أدباء كربلاء أمثال الشيخ محسن أبو الحب والسيّد عبد الرزاق الوهاب ومهدي جاسم وغيرهم. وقد ألغي امتيازها من قبل السلطات المختصة بعد فترة وجيزة، وذلك لأسباب سياسية.

القدوة:

وقد صدرت عام ١٩٥١م وهي جريدة أسبوعية أدبية مؤسّسها الأستاذ رحيم الكيال، وضمّت صفحاتها مواد أدبية ذات مفاهيم وقيم مهمة، وقد حررها نخبة من أدباء الشباب في كربلاء أمثال حسن عبد الأمير وحسين فهمي الخزرجي والدكتور صالح جواد الطعمة ومهدي جاسم والدكتور محمّد جواد رضا واستمرت حتى عام ١٩٥٣م بعد أن صدر منها ستون عددًا فقط، ثم انقطعت عن الصدور لأسباب مادية.

رسالة الشرق:

وبعد مضي عام على غلق جريدة(القدوة) ولدت عندنا مجلّة شهرية دينية وأدبية باسم(رسالة الشرق) كان صاحبها الأستاذ السيّد صدر الدين الشهرستاني، وقد ساهم في تحريرها لفيف من أدباء كربلاء أمثال المرحوم الدكتور عبد الجواد الكليدار وعبد الرزاق الوهاب وعباس أبو الطوس وحسن عبد الأمير وحسين فهمي الخزرجي وكاتب هذه السطور وغيرهم، واستمرت عامًا واحدًا. وبسبب صدور القانون العام للمطبوعات ألغي امتياز المجلّة.

شعلة الأهالي:

وأخيرًا انبثقت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م، وانطلقت الأقلام تكتب بحرية واسعة، بعد أن تحرر العراق من القيود الاستعمارية التي كانت تفرض سيطرتها على الأحرار والوطنيين الذين كانوا طيلة ذلك العهد يكافحون من أجل الحرية والانطلاق. وكانت(كربلاء) في طليعة المدن العراقية التي ساندت هذه الثورة في أول لحظة من تفجيرها، وأيدت بكل إخلاص مفجرها ومصممها اللواء الركن عبد الكريم قاسم،

ولم تلبث في عام ١٩٦٠م أن صدرت جريدة سياسة باسم(شعلة الأهالي) لتعكس على صفحاتها إخلاص وتفاني الكربلائيين في دعم كيان الجمهورية العراقية الخالدة، وصاحب هذه الجريدة الأستاذ المحامي السيّد عبد الصاحب الأشيقر، وقد برهنت أعدادها القليلة التي صدرت حتى الآن على سلوكها النبيل في النهج الديمقراطي السليم الذي تركّز وتبلور في العراق بعد نشوب قيام الثورة المباركة، وهي لا تزال مستمرة في صدورها مواصلة الخدمة العامة في أسلوبها الديمقراطي الرصين.

رَابِعًا:

لِوَاءُ كَرْبَلَاء

لواء كربلاء[1]

توطئة:

بين الألوية العراقية التي تمتاز بقدسيتها وتاريخها الوضاء الحافل بجلائل الأمور وعظام المسائل(لواء كربلاء) المنحصر بين ألوية الحلّة والدليم والديوانية. فقد أخبرتنا الأسفار التاريخية عن معارك خطيرة دارت رحاها في ربوع هذا اللواء الواسع الأرجاء، تجلّت فيها الفضائل والمعجزات، وكما تجلى فيها النبل والثبات على المبادئ الشريفة المقدّسة.

ولئن قضت الظروف المؤلمة أن يكون هذا اللواء في معزل عن الإصلاح الذي تتطلّبه حضارة القرن العشرين وتتطلّبه المدينة الحاضرة. فعلى المستقبل القريب يعلق أهلوه آمالًا جسامًا للنهوض بلوائهم إلى مستوى ألوية بغداد والبصرة والموصل، سواء أكان ذلك من الوجهة العمرانية والتجارية، أم من الوجهة العلمية والأدبية، وما المستقبل على منشدي الإصلاح ببعيد.

قاعدة اللواء:

قاعدة لواء كربلاء اليوم(مدينة كربلاء) الشهيرة في التاريخين: التاريخ القديم والتاريخ الحديث، وربما نقلت الحكومة مركز اللواء إلى بلدة الكوفة التاريخية كما فكّر في ذلك ساسة بغداد قبل خمسة أعوام.

---

(١) عبد الرزاق الحسيني، لواء كربلاء(فصل من كتاب «مباحث في العراق»)، مجلّة العرفان، المجلّد السادس عشر، الجزء الخامس، كانون الأوّل ١٩٢٨م، ص٤٩٧-٥٠٤.

وكربلاء هذه بلدة قديمة عرفت بهذا الاسم قبل الإسلام بزمن طويل. واستيفاء البحث عن قدمها يكلف صاحبه عناءً كثيرًا لعدم وجود منابع تاريخية وافية وموثوق بها يصح الركون إليها.

وقد رأى الأستاذ الكبير السيّد هبة الدين الشهرستاني أنّ من المحتمل أن تكون لفظة كربلاء منحوتة من كلمة(كور بابل) العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من أراضي سدة الهندية ومنها الغاضرية المشهورة اليوم بأراضي الحسينية. ثمّ كربلَّه بتفخيم اللام وهي قريبة اليوم من مدينة كربلاء جنوبًا وشرقًا. ثمّ كربلاء أو عقر بابل، وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضريات وبأطلالها أثريات مهمة، ثمّ النواويس التي كانت مقبرة عامّة قبل الفتح الإسلامي، ثمّ الحير ويقال لها(الحائر) أيضًا وهي اليوم موضع قبر الحسين عليه السلام إلى رواق بقعته المشرفة أو إلى حدود الصحن الشريف، وغير ذلك من القرى الكثيرة التي لم تحضرني أسماؤها اليوم[1].

وقد نقبت في مصادر تاريخية مهمّة وكثيرة لعلني أهتدي إلى معرفة كربلاء القديمة واسمها الحقيقي فلم أعثر على رواية تشفي غليلي غير ما فهمته من حجة في التاريخ واللغة من أن اسم كربلاء الحقيقي مركب من(كرب) أي حرم(ايل) أي الله ومعناهما حرم الله وهو لفظ آشوري يدل على أن هناك كان حرم إله يعبد.

وأرى أنّ إطالة البحث في قدم كربلاء يعييني فيتركني أتخبط في ديجور حالك، لهذا فقد اكتفيت بما قدمته على أن أعود إلى البحث مرّة ثانية متى توافرت لدي دلائل ومصادر أخرى.

---

(١) [مركز تراث كربلاء] تسابقت المصادر التاريخية في ذكر الروايات المختلفة عن اصل نشوء مدينة كربلاء وتسميتها، ينظر للتفاصيل عنها. معجم البلدان: ج٧، ص ٢٢٩ ؛ تاريخ الرسل والملوك: ج٤، ص٥٦.

ومتى ما مرت على ذاكرة الإنسان لفظة كربلاء اغرورقت عيناه بالدموع السخينة وتذكر المآسي التي حدثت في هذه البقعة المشرّفة حين تغلبت القوة الغاشمة على الحق ولعبت الغطرسة الأموية دورها المخزي. حتى إنّ الإمام الحسين بن علي عليه السلام لما حلّ بها سأل بعض أصحابه عن اسم البقعة التي هو فيها، فقيل له يا أبا عبد الله إنّها تسمى كربلاء فقال عليه السلام أرض كرب وبلاء، وهي تبعد عن بغداد ٦٤ ميلًا وتربطها بها اليوم سكة حديدية أنشئت عام ١٩٢٤م.

وكربلاء اليوم مدينة طيبة متسعة تبلغ نفوسها(٢٤٧٧٩) نسمة عدا التوابع، فيها مبانٍ فخمة ورياض نضرة ومناظر بديعة تأخذ بمجامع القلوب. وهي قائمة على ضفة ترعة الحسينية اليسرى تحيط بها كثير من النخيل والأشجار على اختلاف أنواعها. وجادّاتها من حيث العموم مع أسواقها منظمة، وهي من حيث العمران تقسم على قسمين يسمى القسم الأوّل منها(كربلاء القديمة) وهي التي أقيمت على أنقاض مدينة كربلا القديمة في التاريخ، ويدعى القسم الثاني(كربلاء الجديدة) وهي التي بنيت بعد عام(١٣٠٠هـ) على آخر طرز صحّي، إلّا أنّها تهدّمت(مع الأسف) تدريجًا، حيث أقيمت على أرض سبخة تنز فيها المياه فتأكل أساسها، ولهذا يحيط بها اليوم مستنقع كبير يهدد حياة سكانها بأخطار أمراضه الكثيرة الأنواع ومع أنّ الحكومة لا تزال تبذل همًا تذكر في دفنه فإنّ خطره لا يزال يفعل فعله في الأهلين.

ويؤم كربلاء مئات الألوف من الزائرين لضريح سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ولا سيما في أيام الزيارات المخصوصة فإنّ معدل عدد الزوار فيها يبلغ(١٧٥) ألف نسمة هذا عدد سكان المدينة.

وقضية الإمام الشهيد مع يزيد بن معاوية قضية مشهورة لا نرغب في التطرق إلى ذكرها في هذه العجالة لأنّها أشهر من أن تذكر، ولما صرع عليه السلام في العاشر من محرّم الحرام

عام ٦١هـ دفن في(الحائر) وضريحه اليوم مقام في وسط صحن كبير تتلألأ في وسطه القبة مع مئذنتيها المغشاتين بالذهب الخالص تلألأ البدر في كبد السماء.

وعلى مسافة قريبة من صحن الحسين عليه السلام مدفن أخيه العباس المقتول مع أخيه في يوم واحد وهو أيضًا في وسط صحن كبير لا يقل عن بقية صحون الأئمّة عليهم السلام من حيث ضخامة البناء وهندسته وقببه ومآذنه وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد أبناء المسلمين أن يوجدوها في البقاع المقدّسة، ولعلّ في هذا الوصف الموجز ما يغني القارئ من الازدياد منه.

تنظيمات اللواء الإدارية:

يتكون لواء كربلاء من مركز اللواء وتتبعه ناحيتان: ومن قضاء واحد هو(قضاء النجف) وفيه ناحية واحدة هي ناحية الكوفة الشهيرة في التاريخ، أمّا مركز اللواء فمدينة كربلاء وقد تقدم البحث عنها، وأمّا الناحيتان التابعتان للمركز فهما:

١. ناحية الحسينية ومركزها خان العطيشي(بالتصغير) الواقع في منتصف طريق المسيب – كربلاء وهو مرجع جميع أفراد العشائر والمزارعين في الناحية المذكورة.

٢. ناحية شثاثة التي تبعد عن كربلاء ٣٥ ميلًا، وهي بلدة قديمة كانت تعرف باسم شفاثى كحَبَالى – كما جاء في تاج العروس– واشتهرت في زمن الفتح(عين التمر) أيضًا، وفيها من النخيل على اختلاف أنواعه مالا يدخل تحت عدّ، ويروي هذا النخيل مياه كبريتية غزيرة متجمعة في أعين واقعة في وسط البلدة التي تبلغ نفوسها خمسة آلاف نسمة[1].

(١) [مركز تراث كربلاء] ينظر . الزبيدي، تاج العروس، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤)، ج٣، ص٢٨٨.

وفي شثاثة كميات لا يستهان بها من معدن الملح – كما في ضواحي مدينة النجف– كما أنّ فيها معادن أخرى.

قضاء النجف:

النجف بلدة واسعة واقعة على رابية مرتفعة وفوق أرض رملية فسيحة، تطل من الجهتين الشمالية والشرقية على مخيم واسع اسمه –وادي السّلام– فيه القباب الكثيرة والقبور العديدة، وتطل من الجهتين الأخريين على بحر النجف اليابس، ويشاهد القادم إليها على بعد مسافة بعيدة الضريح المقدّس تتجلى فوقه قبة فخمة كأنّها قطعة من الذهب الإبريز تناطح الجوزاء علوًا وتفاخر السحاب سموًا، وفي ركنيها مئذنتان مرتفعتان مصفحتان بقطع الذهب تؤثران في النفوس أثرًا بليغًا.

والبلدة محاطة بسور فخم تصدعت قطع كبيرة منه بعد ثورة عام ١٩٢٠م، ولها سوق كبيرة مستقيمة تبتدئ من سور المدينة الشرقي وتنتهي عند الصحن الشريف، فالواقف على باب البلد يرى داخل الحضرة الشريفة بكل سهولة.

هواء صيفها حار يابس وشتاؤها بارد قارس، وعندما تشتد الحرارة في الصيف يلتجئ سكانُها إلى سرادب منحوتة نحتًا يبلغ متوسط عمق الواحد منها عشرين مترًا، وقد يخرج بعضهم إلى المزارع والبساتين التي تبعد عن البلدة ميلًا واحدًا تطلبًا لنقاوة الهواء، وقد أحصت الحكومة نفوسها أخيرًا فكانوا(٣٠٤٥٠) نسمة.

والذي يؤسف له كثيرًا بعد البلدة عن الفرات، ومعلوم أنّ الماء سبب حياة البشر، وقد حفرت للنجف ترع ونهيرات كثيرة بغية إيصال المياه إليها، غير أنّ ما يجري فيها من الماء لا يسد حاجة الأهلين فضلًا عن الزائرين الذين يقصدون هذه المدينة المشرفة مئات

وألوفًا، فقد دلت الإحصاءات الرسمية على أنّ متوسط عدد الزائرين للنجف في المواسم المخصوصة يتجاوز ال(٤٠٠٠٠٠) نسمة، والهمّة المبذولة اليوم لربط النجف بالكوفة بأنابيب تدفع المياه إلى النجف دفعًا، فإذا تمّ ذلك في الحقيقة فتسعد النجف سعدًا كبيرًا وسيتبدل موقفها الحاضر بحال خطير ربما عاد على العراق بالنفع الجزيل.

والنجف في العراق اليوم وقبل اليوم، كالأزهر في مصر، فكما أنّ الأزهر يخرّج الآلاف من العلماء والجهابذة في كل سنة، كذلك النجف فإنّها تخرّج من العلماء والأساتذة في العالم ما لا يمكن أن تخرّجه أية بلدة عراقية أخرى.

وهي بلدة قديمة عربية كانت مصيفًا للمناذرة، وبعد نقوض تلك الدولة ودفن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيها، تقدمت العمارة فيها وبذل عضد الدولة البويهي أموالًا طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهد المشرف، ثمّ انتقل إليها أرباب الصنائع والحرف وابتدأت تتقدم عمرانيًا بانتعاش الشيعة في القرن الرابع للهجرة، ومنذ ذلك الحين ذاع صيتها في الآفاق وقصدها طلاب العلم والعرفان واشتهرت في التاريخ، وللنجف أسماء: منها النجف والمشهد والغري، وسبب تسميتها بالغري حكاية تاريخية طريفة، تلخيصها أنّ المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء[1] أمر بقتل نديمين له وهو في حالة سكره، فلما صحا ورآهما قتيلين سأل عن السبب فأجيب عما أمر به، فغمه ذلك كثيرًا وأمر بأن يقام طربالان عليهما – والطربال بناء كالصومعة– ثمّ قال: (ما أنا بملك إن خالف الناس أمري لا يدخل أحد من وفود الرب إلّا بينهما) ثمّ جعل له في السنة

(١) [مركز تراث كربلاء] هو أحد اشهر ملوك الحيرة، حكم في الفترتين الأولى(٥١٤-٥٢٤) والثانية(٥٢٨-٥٥٤)، أمه هي ماوية بنت جشم وقد سميت بماء السماء لجمالها وحسنها، حكم المنذر مملكة واسعة اشتملت بالإضافة لقاعدة ملكه في العراق على البحرين وعمان. للتفاصيل ينظر: ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج١، ص٤٥.

يومين يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه(فيغرى) الطربالان بدمه ويحسن يوم نعيمه إلى كل من يلقاه، ومنذ ذلك الحين عرفت النجف بالغري فلما قتل الأمير عليه السلام ودفن فيها استمر التعمير وتطور حتى أصبحت بما هي عليه اليوم كما قدمنا[1].

الكوفة:

أوضحنا في صدر هذا البحث أنّ للواء كربلاء قضاءً واحدًا هو قضاء النجف الذي تتبعه ناحية واحدة هي ناحية الكوفة. والكوفة بلدة جميلة واقعة على ضفة الفرات اليمنى يحيط بها حدائق غناء وبساتين نضرة وتخترقها جادات وأسواق منتظمة، وهي تبعد عن النجف سبعة أميال، ويربطها بها خط تراموای حديدي أنشأته شركة أهلية، وعلى مقربة منها مسجد الكوفة الشهير الذي خططه الفاتح للعراق سعد بن أبي وقاص عام ١٧هـ، ويرى الناظر إلى ما حول هذا المسجد من الآكام والأنقاض فلا يفتأ أن يتخيل أنّه في وسط بلدة الكوفة الذائعة الصيت التي أنجبت علماء وفقهاء وفلاسفة وشعراء وأبطال حرب، وحينما كانت محط رحال العلم تفوق علّتها البصرة في النصف الأخير من القرن الأوّل للهجرة النبوية حتى القرن الثالث منها. وكانت الكوفة مقر خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام شرفها بمقدمه بعد واقعة الجمل المشهورة.

ولقد كانت قبل الحرب الكونية وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق وقبل ثورة عام ١٩٢٠-١٩٢١ مركزًا عامّا لتجارة لواء الشاميّة على الإطلاق، أما بعد التاريخ المذكور فقد تقهقرت تجارتها وأصبحت مقتصرة على ما يجاورها من السكان، وسبب ذلك الضرر

(١) [مركز تراث كربلاء] للتفاصيل حولب هذه الحادثة ينظر: عبد الكريم بن طاووس، فرحة الغري، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، (مركز الغدير للدراسات الاسلامية: د.ك، ١٩٩٨م)، ص١٣.

الذي لحق أصحاب أولي الأموال في الثورة المذكورة[1] ونفوسها اليوم(١٠١٨٢) نسمة.

المعارف في اللواء:

نخر الجهل عظام الأمّة العراقية وأنهك قواها، فتركها صريعة لا حول لها ولا قوّة، وأخذت المعارف في العراق تسير القهقرى زهاء ستة قرون لم تشد الأمّة خلالها مدرسة ولم تقم معهدًا علميًا حتى إذا هبت نسمة الحياة إثر إعلان الدستور العثماني، جرى دم النهضة في عروقها، فانتعشت قليلًا وبدت تصلح ما أفسدته يد الدهر الخؤون.

هكذا كان شأن المعارف في العراق قبل الحرب العامة، لكنّها لم تكن كذلك في لواء كربلاء فإنّ النجف الأشرف ظلت كعبة العلم وروضة الأدب منذ زمن بعيد جدًا يقصدها طلاب العلم من أقاصي المعمورة للارتشاف من مناهلها العذبة والورد من ينابيعها الفياضة، وهكذا كربلاء فإنّها لم تعدم من نهضة علمية ما، غير أنّ العلوم العصرية لم تكن منتشرة في هذا اللواء حتى قبيل الثورة العراقية الشهيرة لأنّ نورها كان

(١) إنّنا نخالف صديقنا الأديب السيّد الحسني في كون سبب انحطاط الكوفة ناجم عن فقدان ثروة الأهلين الطائلة في ثورة عام ١٩٢٠-١٩٢١م؛ لأنّ الحقيقة هي أن الإنجليز حقدوا على الشيعة كثيرًا بعد الثورة المذكورة التي قاد زمامها علماء الشيعة تعضدهم العشائر الشيعية الرابضة في الفرات الأوسط وفي سائر أنحاء العراق، وقد بلغ الحقد البريطاني على الشيعة أنّ الإنجليز أخذوا يناوئون الشيعة في جميع قضاياهم في إضعاف الروح العلمية في البلاد المقدّسة وفي إسقاط لواء كربلاء، وقتل الروح الوطنية فيه، والتدخل في جميع قضايا الأهلين الصغيرة كانت أم كبيرة. وفي الأخير أضعفوا اللواء من الوجهة الإدارية بسلخ قضاء المسيب منه. ذلك القضاء الذي تربطه بلواء كربلاء روابط أدبية وتجارية وعمرانية وغيرها. وإنّنا لم نسمع لا في العهد التركي ولا في غيره بسلخ المسيب عن كربلاء، كذلك لا ندري كيف جاز للإنجليز أن يسلخوا قضاء(أبوصخير) عن النجف وربطه بلواء الديوانية، في حين أن(أبو صخير) تعد اليوم وقبل اليوم محلّة من محلّات النجف وإن بعدت عنها نصف ساعة، ولكن للإنجليز سياسة غامضة لا يعرف أسرارها إلّا هم أنفسهم وإلّا أولئك المتربعون على الكراسي العراقية بنفوذ الإنجليز.

ضئيلًا حتى في لواء بغداد، أمّا بعد أن وضعت الثورة أوزارها، دخلت العلوم العصرية في جميع أرجاء لواء كربلاء كما دخلت في بقية الألوية فاستفاد منها الأهلون فوائد جمة.

وفي النجف اليوم حركة علمية عنصرية خطيرة قد تبدل روحية النجف الحاضرة وتؤثر في مركزها الفقهي، وهكذا القول في كربلاء وإن كانت مدارس الحكومة في هذا اللواء لا تذكر تجاه حاجته الماسة إلى مدارس كثيرة على اختلاف درجاتها، لإحلال الثقافة والتهذيب محل الجهل والأميّة المستولية على فريق من السكان.

وللحكومة في النجف الآن مدرسة ثانوية ومتوسطة وأخرى ابتدائية وثالثة أولية ورابعة عربية للأهلين وخامسة للإيرانيين، وكلها على الطراز العصري الحديث، وفيها من العلمية الدينية عدد كبير، ولها في كل من الكوفة وشثاثة مدرسة أولية وفي كربلاء مدرستان أوليتان وثالثة ابتدائية ورابعة إيرانية أهلية.

مياه اللواء:

ذكرنا في بحثنا عن لوائي الحلة والديوانية أنّ نهر الفرات بعد أن يعبر سدة الهندية ويقترب من ناحية الكفل، ينشطر إلى شقين مهمين، يسمى الشق الأيسر(شط أبو كفوف) ويدعى الفرع الأيمن(شط الكوفة)، فشط الكوفة عند مروره بأراضي ناحية الكوفة، يسقي جميع المزارع والبساتين القائمة على عدوتيه بواسطة النواعير والكرود. وتتفرع من ضفتيه عدة جداول ونهيرات لإرواء البساتين البعيدة عن النهر ثمّ يتجه بعد ذلك إلى قضاء أبي صخير.

أمّا قضية إرواء النجف فقد كانت شغلة الشاغل لجميع الحكومات التي تعاقبت على العراق لا سيما ملوك العجم، وفي التاريخ أساطير كثيرة عن المساعي التي بذلها

ملوك الفرس في سبيل إيصال المياه إلى النجف الأشرف، قد تخرج عن حد المعقول، وأخيرًا حفرت ترعة لهذه الغاية من أبي صخير إلى النجف عام ١٣٠٥هـ(وهي المعروفة اليوم ببدعة عبد الغني) غير أنّها لم تكن كافية لتسد حاجة الأهلين من الماء فأهملت عام ١٣١٤هـ واستعيض عنها بنهير الحيدرية الحالي.

وقد سمحت نفس أحد ممولي الفرس ١٣٤٣هـ، فتبرع بثلاثة الكاك من الربيات لإيصال الماء إلى النجف، غير أنّ الطريقة العقيمة التي اتبعت في ذلك، لم تكن صالحة فسببت حبوط المشروع واسترجع المتمول الفارسي المبلغ الذي كان قد تبرع به، ثمّ ما لبث أن أعاده إلى الحكومة العراقية عام ١٣٤٦هـ مشترطًا أن تمد أنابيب من الكوفة إلى النجف، وتنصب في الكوفة المكائن الكافية لدفع المياه إلى النجف دفعًا لأنّ النجف تعلو عن الكوفة بأكثر من عشرة أمتار، والمساعي مبذولة اليوم لتحقيق هذا المشروع حققه الله تعالى.

أمّا شفاثة فإنّها تستقي مياهها من تفجر الينابيع فيها كما تقدّم، وأمّا كربلاء فإنّها تأخذ ما تحتاج إليه من الماء من نهر الحسينية المتفرع من نهر الفرات على مسافة ميلين عن المسيب.

وقبيل وصول هذا النهر إلى مدينة كربلاء أي عند وصوله(قنطرة الحر) ينشطر إلى فرعين يذهب الأوّل منهما إلى المستشفى الملكي ويسمى(الهنيدي) أو(نهر الخيمكاه)، ويتجه الثاني إلى هور أبو دبس بالقرب من(الرزّازة) حيث بزائزه ويسمى(الرشيدية) والمعروف أنّ السلطان – سليمان القانوني– هو الذي أمر بحفر نهر الحسينية الحالي عام ٩٤٧هـ وقد أرّخ بمادة: (آب روان شد بكربلا حسين).

دخل اللواء وخرجه:

لواء كربلاء كبقية الألوية العراقية يستورد السكر والشاي والتوابل والسجاد الإيراني والأقمشة على اختلاف أنواعها، وجميع ما تستورده بقية الألوية إلّا الخمرة وهو يصدر ما تصدره بقية الألوية من حبوب وتمور وفواكه وأغنام وغيرها، إلّا أنّ النجف تصدر كمية لا يستهان بها من العباءات(مفردها عباءة وهي نوع من اللباس) التي تروج سوقها فيها رواجًا حسنًا.

أمّا محصولات اللواء فهي الأثمار والتمور والشتوي والتبغ وسائر الخضروات، وتتراوح وارداته السنوية(أي حصة الحكومة) بين الثلاثة والأربعة الكاك من الربيات.

طرق المواصلات في اللواء:

يربط مدينة كربلاء ببغداد خط حديدي يبلغ طوله ٦٧ ميلًا، وهذا كل نصيب اللواء من السكة الحديدية في العراق، أمّا طرق المواصلات بين أجزائه وبين سائر الجهات في المملكة فهي السيارات على الأغلب، وفيه بعض السفن الشراعية التي تشحن الحبوب بين الكوفة وسائر البلدان الواقعة على النهر، كما أنّ فيه بعض الزوارق البخارية التي تحمل المسافرين بين الكوفة –الكفل– أبو صخير وبين الأوّلى والهندية.

الخاتمة

تعدّ مجلّة العرفان من المجلّات المهمّة التي ذكرت كربلاء بمواضيع وعناوين متنوّعة وكثيرة وبأقلام كتّاب مختلفين من دول وديانات مختلفة، لذلك نرى أنّ ما كُتبَ بهذه المجلّة تميّز بطابع التنوع في الرؤى والأفكار والطروحات والثقافات التي تُعالج مشاريعَ إصلاحية متنوّعةً في التربية والسياسة والدين والمسائل الاجتماعية العامّة، فمن الأهمية العلمية والمسؤولية التاريخية ارتأينا أن نجمع تلك المقالات والبحوث بكتاب يقدّم للباحثين والمختصين خدمة كبيرة في البحث عمّا كُتِب عن كربلاء فيها دون عناء البحث والمراجعة في جميع المجلّدات لا سيّما وإنّها من المجلّات القديمة وقد لا تتوافر جميع أعدادها.

لقد اجتمعت أهمّية تلك المجلّة مع أهمّية مدينة كربلاء لتظهر لنا هذا الكم من المقالات التي لها اهتمامًا كبيرًا في التراث الثقافي والحضاري لمدينة كربلاء وذاكرتها الثقافية، التي تعدّ جزءًا مهمًّا من هويتها، لذا فإنّ توثيق تلك الذاكرة المتنوّعة وحمايتها من الضياع هو من المهام الأساسية التي تضطلع بها تلك المجلّات منها مجلّة العرفان، خصوصًا وأنّ مدينة كربلاء المقدّسة لها طابعها الروحي والمعنوي المتمثل بوجود المراقد المقدّسة، ولعلّ من الصعب إهمال هذه الهوية أينما وجدت بين دفتي أي كتاب أو مجلّة أو ذاكرة شخص؛ كي لا تضيع، كونها تمثّل عاملًا مهمًّا في الحفاظ على هويتها وكيانها.

إنّ أشكال التعبير المنبثقة عن التراث الثقافي للمدينة سواء أكان في داخلها أو خارجها فهو من أشكال التعبير التي تدلّل على الإحساس بالهوية المعنوية والانتمائية

لتلك المدينة سواء كان ذلك الشخص من أبنائها أم لم يكن من سكنتها، وهذا ما وجدناه في مجلّة العرفان، إذ إنّ الكتّاب فيها يشعرون بانتمائهم إلى كربلاء الشهادة والحرية والثورة ضد الظلم والطغيان، وبطبيعة الحال فإنّ الاستمرارية على هذا النهج يشكل حلقة وصل مهمّة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وبالتالي يعدّ هذا دفاعًا عن التأريخ الضارب في عمق الأرض، وهو دفاع عن الحضارة والفكرة والمستقبل أيضًا.

المحتويات

الفَصْلُ الرّابِعُ: القَضِيَّةُ الحُسَيْنِيَّةُ ٥

السياسة الحسينية أو أسرار مذهب الإمامية ٧

المرأة في وقعة كربلاء ٢٧

حول نهضة الحسين عليه السلام ٣٩

المراسلة والمناظرة ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم ٤٠

مأتم الحسين عليه السلام ٤٠

أو نظرة في مقالات المسلمين ومحبتهم لآل البيت عليهم السلام ٤٠

المواقف السامية في كربلاء ٤٩

كلمات في شهادة الحسين وذكراها ٦٠

يوم عاشوراء يوم التضحية والإباء ٦٢

سياسة الحسين عليه السلام ٦٦

حول مصرع الحسين ٧٥

النهضة الحسينيّة ٨٠

عاشوراء ٨٢

قصص العرب ٨٣

مُثلٌ عليا للأخلاق والأدب ٨٣

الحسين بن عليّ عليهما السلام ٨٣

الحسين ضحيّة المبدأ ٨٤

يوم الدم يوم النور ٩٠

فذكر إن نفعت الذكرى ٩٢

عاشوراء وكربلاء..... ٩٢
حول مصرع الإمام..... ٩٤
الجهاد والتضحية والإباء..... ١٠٠
لا عمل بعد اليوم..... ١٠٢
نساء..... ١٠٨
المثالية والتضحية في واقعة كربلاء..... ١١٣
معنى التضحية في استشهاد الحسين عليه السلام..... ١١٦
(ألقيت في الكلّيّة العامليّة بيروت يوم عاشوراء ١٣٦٧هـ)..... ١١٦
الحسين الشهيد في روائع التضحية..... ١٢٢
في ذكرى عاشوراء..... ١٢٥
هدى النبوّة في يوم عاشوراء..... ١٢٨
هدى النبوّة في يوم عاشوراء..... ١٣٦
يوم عاشوراء..... ١٤٣
ثورة الحسين أنقذت ثورة جدّه..... ١٤٩
في ذكرى الإمام الحسين..... ١٥١
دروس وعبر..... ١٥١
فداء الحسين..... ١٥٨
ذكرى كربلاء..... ١٦٣
عقيلة آل البيت: زينب بنت علي عليها السلام..... ١٧٧
كربلاء؟... لا بل درب علاء!..... ١٨٣
فجر كربلاء..... ١٩٢

الفَصْلُ الخَامِسُ: مَوَاضِيعُ مُتَفَرِّقَةٌ **٢٠٣**

أَوَّلًا: الآثَارُ المَخْطُوطَةُ فِي كَرْبَلَاءَ **٢٠٥**

(١) الآثار المخطوطة في كربلاء ٢٠٧

(٢) الآثار المخطوط في كربلاء ٢١٢

(٣) الآثار المخطوطة في كربلاء ٢١٧

ثَانِيًا: أَخْبَارٌ مُتَنَوِّعَةٌ **٢٢١**

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ٢٢٣

خلاصة الأنباء ٢٢٤

المطبوعات الحديثة ٢٢٤

المقبولة الحسينية ٢٢٤

خلاصة الأنباء ٢٢٤

المطبوعات الحديثة ٢٢٥

مختصر نهضة الحسين ٢٢٥

بريد القرّاء ٢٢٥

العرفان في كربلاء ٢٢٥

النبأ العظيم أو علي بن أبي طالب ٢٢٦

خلاصة الأنباء ٢٢٦

مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء ٢٢٦

نقصُّ عليك من أنبائها ٢٢٨

كربلاء تحتفل بندوتها الجديدة ٢٢٨

من أخبار كربلاء ٢٣٠

وفاة الشاعر الكربلائي مهدي جاسم..... ٢٣١
مجلّة صوت الإسلام..... ٢٣١
مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء..... ٢٣٢
ثَالِثًا: الصَّحَافَةُ فِي كَرْبَلَاءَ..... ٢٣٣
الصحافة في كربلاء..... ٢٣٥
رَابِعًا: لِوَاءُ كَرْبَلَاء..... ٢٣٩
لواء كربلاء..... ٢٤١
الخاتمة..... ٢٥٢

إصداراتنا

١. **أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٢. **العبَّاس قمر بني هاشم عليه السلام.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٣. **كربلاء في عهد العباسيّين.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ٢٠١٣م.

٤. **محاسن المجالس في كربلاء.**
تأليف: السيّد سلمان هادي آل طعمة.
مراجعة وتدقيق وتقديم: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م.

٥. **قرآنيو كربلاء المقدَّسةِ الجزء الأول.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٦. **الخطّ والخطّاطون في كربلاء الجزء الأول.**
تأليف: مركز تراث كربلاء والسيّد سلمان هادي آل طعمة.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٧. **فهرس الوثائق الكربلائيَّة في الأرشيف العثمانيّ (أربعة أجزاء).**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٨. **كربلاء في مذكّرات الرحّالة.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٨هـ- ٢٠١٦م.

٩. **علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيِّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ.**
تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١٠. **القرآءات القرآنيَّة في مخطوطات السيِّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ.**
تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١١. **ندوات مركز تراث كربلاء التراثيَّة.**
إعداد: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.

١٢. **كربلاء في الشعر اللّبناني.**
تأليف: عناية أخضر.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٣. **ديوان الشيخ محمَّد تقي الطبريّ الحائريّ.**
تحقيق: السيِّد سلمان هادي آل طعمة.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٤. **سكَّان محافظة كربلاء -دراسة في جغرافيَّة السكَّان-.**
تأليف: الدكتور عبد عليّ حسن الخفّاف.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٥. **الشيخ محمَّد تقي الشيرازيّ الحائريّ ودوره السياسيّ من عام ١٩١٨- ١٩٢٠م.**
تأليف: د. علاء الصافيّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٦. **صحافة العتبات المقدَّسة.**
إعداد: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٧. **المرجعيَّة الدينيَّة ودورها في بناء الدولة العراقيَّة.**
تأليف: الشيخ الدكتور عماد الكاظميّ.
راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٨م.

١٨. **موسوعة تراث كربلاء المصوَّرة (ثلاثة أجزاء).**
إعداد: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

١٩. **رسالة في الشبهة المحصورة.**
تأليف: السيِّد محمَّد حسين بن محمَّد عليّ بن محمَّد إسماعيل الحائريّ الشهرستانيّ.
تحقيق: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٠. **رسالة في تحقيق معنى الألف واللام**
تأليف: الشيخ محمَّد تقي الهرويّ الحائري.
تحقيق: الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ.
راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.
سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢١. **شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ الحائريّ.**

تأليف: الشيخ حامد رضائي.

ترجمة: حسن علي حسن مطر.

اختصره وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٢. **فقه الحديث عند المحقّق البحرانيّ.**

تأليف: الشيخ أمين حسين بوري.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٣. **يوم الطف.**

تأليف: الشيخ هادي النجفيّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٤. **رسالة في نفي حجّيّة مطلق الظنّ.**

تأليف: الشيخ محمّد تقيّ الهرويّ الحائري.

تحقيق: الشيخ محمّد جعفر الإسلاميّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٥. **رجال الشيخ الأنصاري (ثلاثة أجزاء).**

تأليف: الشيخ مرتضى الأنصاريّ.

تحقيق: الشيخ حسين حلبيان.

مراجعة وضبط: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٦. **أجوبة المسائل الثلاث.**

تأليف: الشيخ يوسف البحرانيّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٧. **علم الهداية في غياهب الظلمات لإدراك الأحكام الشرعيّة.**

تأليف: الشيخ عبد الوهّاب الشريف القزوينيّ الحائريّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م.

٢٨. **كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شرح المختصر النافع.**

تأليف: السيد محمّد بن عليّ الطباطبائيّ الحائريّ الشهير بـ(السيد المجاهد).

راجعه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع: ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

٢٩. **مختصر كتاب ثواب الأعمال.**

تأليف: الشيخ تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ الكفعميّ العامليّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣٠. **الشمعة في أحوال ذي الدمعة.**

تأليف: السيّد هبة الدين الشهرستانيّ.

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣١. **ذخائر المآل في مَدح المصطفى والآل ديوان السَّيِّد حُسَينِ الرَّضَويِّ الحَائريِّ(ت ١١٥٦هـ)**

تأليف: السَّيِّد حُسَينِ الرَّضَويِّ الحَائريِّ(ت ١١٥٦هـ).

تحقيق واستدراك: الدكتور سعد الحدّاد.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

٣٢. **رَتْقُ الفُتوقِ في مَعرِفَةِ الفُروقِ.**

تأليف: الشَّيخ تقيّ الدِّينِ إبراهيم بن عليٍّ الكَفعَميّ (ت ٩٠٥هـ).

تحقيق: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

٣٣. **الزُهرة البارقة لمعرفة أحوال المجاز والحقيقة.**

تأليف: السيّد محمّد باقر الشفتيّ.

تحقيق: مكتبة مسجد السيّد حجّة الإسلام قدّس سرّه.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: مركز تراث كربلاء.

سنة الطبع : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

٣٤. **كربلاء في مجلَّة العرفان. (ثلاثة أجزاء)**

تأليف: مركز تراث كربلاء.

المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.

٣٥. **مجلّة الغاضريَّة - فصليَّة ثقافيَّة.**

تصدر عن مركز تراث كربلاء

٣٦. **مجلّة تراث كربلاء - فصليَّة محكَّمة.**

تصدر عن مركز تراث كربلاء.

٣٧. **حولية تراث كربلاء المخطوط**

تصدر عن مركز تراث كربلاء.

قيد الإنجاز

١. **تقريرات الأُصول من دروس السيِّد إبراهيم القزوينيّ الحائريّ.**
بقلم: تلميذه الشيخ مهدي الكجوري الشيرازي.

٢. **توضيح المقال في بيان أحوال ثلاثة من الأشياخ والرجال.**
تـأليـف: الـشـيـخ أحمـد بـن عـلي مختار الجرفادقائي الحائريّ.

٣. **حجّيّة الظنّ.**
تأليف: السيّد محمّد الطباطبائيّ المجاهد.

٤. **الدرّة الحائريّة.**
تأليف: السيِّد علي نقي الطباطبائيّ.

٥. **الدرّة في العام والخاص.**
تأليف: السيِّد علي نقي الطباطبائيّ.

٦. **الرسالة المحمَّديَّة في أحكام الميراث اللّابديَّة.**
تأليف: الشيخ يوسف البحرانيّ.

٧. **الرسائل الرجاليّة.**
تأليف: الشيخ محمّد عـليّ بن قاسم آل كشكول الكربلائيّ.

٨. **رسالة في إجزاء الغسل عن الوضوء.**
تأليف: السيّد محمّد رضا الأعرجيّ الفحّام.

٩. **شرح الكفاية.**
للشيخ عبد الحسين الرشتيّ.

١٠. **علماء مدينة كـربلاء المقدَّسة.**
تأليف: مركز تراث كربلاء.

١١. **كتاب الإقرار.**
تأليف: الشيخ محمَّد حسين القزوينيّ.

١٢. **مدارك العروة الوثقى.**
تأليف: السيِّد محمَّد رضا الفحَّام.

١٣. **موسوعة السيِّد محمَّد إبراهيم القزوينيّ.**
تأليف: السيِّد محمَّد إبراهيم القزوينيّ الحائريّ.

١٤. **موسوعة إمام الحرمين الهمدانيّ الحائريّ.**
تأليف: إمام الحرمين محمّد بن عبد الوهّاب الهمدانيّ الحائريّ.

١٥. **نهاية الآمـال في كيفيَّة الـرجـوع إلى علم الرجال.**
تأليف: الشيخ محمَّد تقي الهرويّ الحائري.